مكتبة المحبة

تفسير الكتاب المقدس



هوشع

تأليف

متى هنرى

ترجمة

القمص مرقس داود

تفسير هوشع

تأليف ش. هنرى

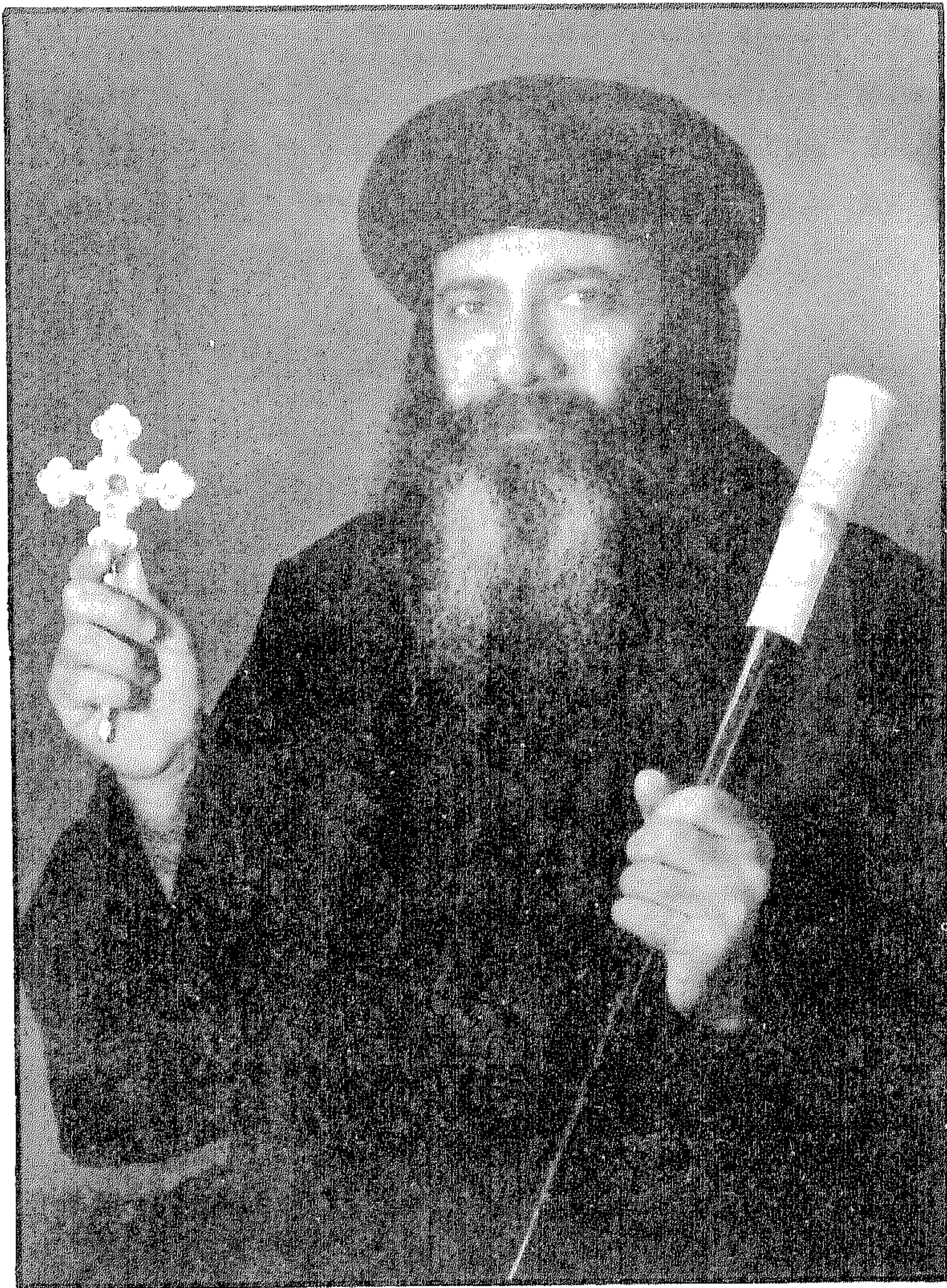
تعريب

القمص مرقس داود



٢٠ ش كامل صدقى بالفجالة

ت ٩٢٩٢٩٤ - [illegible]



مكتبة المحبة　　　　تصوير سليم يوسف

مقدمة السفر

أولا : الانبياء الصغار. أمامنا الآن أسفار الأنبياء الصغار الاثنى عشر، التى ضمها معاً بعض الأقدمين، وحسبوها سفراً واحداً. وهى تسمى أسفار الأنبياء الصغار، ليس لأن محتوياتها أقل سلطاناً أو أقل نفعاً من أسفار الانبياء الكبار، ولا لأن هؤلاء الأنبياء الصغار أقل أهمية فى نظر الله، أو يجب أن يكونوا كذلك فى نظرنا، لكن فقط لأنها أقصر وأقل حجماً من غيرها.

يجب أن نعتقد بأن هؤلاء الأنبياء كرزوا وخدموا كغيرهم، وكل ما فى الأمر أنهم لم يكتبوا كثيراً، ولم يحفظ من تعاليمهم الكثير. فكثيرون من الانبياء البارزين جداً لم يكتبوا شيئاً فقط، وغيرهم لم يكتبوا إلا القليل، ومع ذلك فقد أدى هؤلاء وأولئك خدمات جليلة فى أيامهم.

كذلك الحال فى الكنيسة المسيحية، فقد قام فيها أبطال لم يكتبوا شيئاً، ولم تعرفهم زريتهم بكتاباتهم، ومع ذلك لم يكونوا أقل فى المواهب والنعم والخدمات ممن كتبوا. وهنالك البعض ممن، لم يتركوا للعالم سوى كتابات قليلة، ولا يعتبرون من المؤلفين البارزين، ومع ذلك فان لهم قيمة عظيمة كأعظم الكتاب الذين تركوا مؤلفات ضخمة.

يقول يوسيفوس إن هذه الإسفار الاثنى عشر جمعها معاً فى مجلد واحد أعضاء المجمع العظيم فى عصر عزرا. والمفروض أن الثلاثة الأنبياء الآخرين العلماء الاتقياء، كانوا ضمن أعضاء هذا المجمع.

هذه هى ما بقى من الأسفار المقدسة المبعثرة. إن علماء الأثار يضعون أهمية عظيمة على القطع الصغيرة الأثرية، وهذه هى القطع الصغيرة من النبوة، وقد جمعتها العناية الإلهية. وحرصت عليها الكنيسة لكى لا يضيع منها شيء، كما جاءت رسائل بولس الصغيرة بعد رسائله الطويلة.

تحدث ابن سيراخ عن هؤلاء الأنبياء الإثنى عشر باكرام عظيم كرجال «شددوا (عزوا) يعقوب». (حكمة يشوع ٤٩ : ١٠)

تنبأ تسعة من هؤلاء الأنبياء قبل السبى، والثلاثة الآخرون بعد عودة اليهود إلى وطنهم. وهنالك بعض الاختلاف فى ترتيب هذه النبوات. والترتيب الحالى يتفق مع مافعله العبرانيون القدماء. والكل يتفقون على وضع نبوة هوشع أولا. أما الترجمة السبعينية فترتب الستة الأسفار

الأولى هكذا : هوشع ــ عاموس ــ ميخا ــ يوئيل ــ عوبديا ــ يونان . ومع ذلك فهذه ليست مسألة جوهرية . وإن أردنا ترتيبها بحسب أقدميتها لتعذر علينا الأمر في بعضها .

ثانيا : نبوة هوشع : وأمامنا الآن نبوة هوشع ، وهو أقدم الأنبياء الذين كتبوا ، إذ أقيم قبل إشعياء بوقت قصير . و يقول الأقدمون إنه كان من بيت شمس ، ومن سبط يساكر . وقد ظل يتنبأ زمناً طويلا جداً يقدره اليهود بتسعين عاماً . ولذلك فانه ــ كما يلاحظ جروم ــ تنبأ عن خراب مملكة الأسباط العشر (أى إسرائيل) قبل أن يتم هذا الخراب بزمن طويل ، وعاش حتى رآه ورثاه ، واستخدمه لتحذير اختها المملكة الأخرى (أى يهوذا) .

إن موضوع نبوته هو كشف النقاب عن الخطية ، وإعلان دينونة الله على شعب أبى الاصلاح . أما أسلوبه فهو موجزاً جداً ومفيد ، خلافاً لسائر الأنبياء وفى بعض المواضع يشبه كثيراً سفر الأمثال ، دون علاقة بين عبارة وأخرى . والأحرى أن يسمى أقوال هوشع ، لا عظات هوشع . وفى بعض الأحيان قد يكون قول مأثور موجز قوى أكثر نفعاً من عظة طويلة .

لاحظ أحدهم أن فى نبوتى إرميا وحزقيال عبارات كثيرة يبدو أنها تشير إلى نبوة هوشع ، بل بالحرى أنها مقتبسة منها ، فانه كتب قبلهما بمدة طويلة فان ما ورد فى (ار ٧ : ٣٤ ، ١٦ : ٩ ، ٢٥ : ١٠ وحز ٢٦ : ١٣) يطابق ما ورد فى (هو ٢ : ١١) وما ورد فى (حز ١٦ : ١٦ الخ) مقتبس من (هوشع ٢ : ٨) . وذلك الوعد الوارد فى (إر ٣٠ : ٨ و ٩ وحز ٣٤ : ٢٣) عن أن الاسرائيليين « يخدمون الرب إلههم وداود ملكهم » سبق أن ذكره هوشع (ص ٣ : ٥) . وما ورد فى (حز ١٩ : ١٢) مقتبس من (هو ١٣ : ١٥) .

وهكذا نجد أن الأنبياء يؤيدون و يعززون بعضهم بعضاً ، « وهذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه » (١ كو ١٢ : ١١) .

الاصحاح الاول

فى الأصحاحات الثلاثة الأولى يعلن فكر الله النبى ، ومنه إلى الشعب ، بعلامات ورموز. أما بعد ذلك فبأحاديث فقط . وفى هذا الأصحاح نرى :

١ ــ عنوان السفر كله ع ١

٢ ــ بعض تعاليم خاصة أمر بأن يقدمها لشعب الله

(أ) فهو يجب أن يقنعهم بخطيتهم ، وهى أنهم زنوا عن الله ، وذلك بتزوجه بامرأة زنى ع ٢ و٣

(ب) ويجب أن يخبرهم مقدماً بالخراب القادم عليهم بسبب خطيتهم ، وذلك بالأسماء التى يلقب بها أولاده ، والتى ترمز إلى ترك الله لهم ونبذه أياهم ع ٤ ــ ٦ و٨ ــ ٩ .

(جـ) يجب أن يتحدث بالتعزية لمملكة يهوذا التى كانت لا تزال تحتفظ بعبادة الله النقية ، و يؤكد لهم خلاص الرب ع ٧

(د) ويجب أن يشير إلى الرحمة العظيمة التى حفظها الله لكل من مملكتى إسرائيل ويهوذا فى الأيام الأخيرة ع ١٠ و١١ ، لأنه فى هذه النبوة تختلط مواعيد ثمينة بالرحمة مع تهديدات بالغضب

١ قول الرب الذى صار الى هوشع بن بئيرى فى ايام عزيا و يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا وفى أيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل .

١ ــ هنا نجد اسم ولقب النبى . وهو نفسه يفتتح نبوته بهما ، كباقى الأنبياء ، لإقناع الجميع بأنه مستعد أن يشهد بأن ما كتب هو من الله . فتصديره النبوة باسمه دليل على تمسكه بها .

أما اسمه « هوشع » ، وهى نفسى اللفظة التى استعملت فى اسم « يشوع » ، فمعناه مخلص ، لان الأنبياء كانوا أداة لخلاص شعب الله وهكذا أيضاً الخدام الأمناء . فانهم يساعدون على خلاص نفوس كثيرة من الموت بتخليصها من الخطية .

أما لقبه فهو « ابن بئيرى » . كانت عادتهم ، كما هو الحال معنا الآن ، أن يلقب البعض بأسماء مواطنهم ، مثل ميخا المورشتى ، وناحوم الألقوشى . و يلقب البعض بأسماء آبائهم ، مثل يوئيل بن فنوئيل ، وهوشع ابن بئيرى الذى نحن بصدده . ولعلهم كانوا يلقبون بأسماء آبائهم عندما

كانوا يرون أن هذا يضفى عليهم شرفاً . لكنه غروراً من اليهود ، لا أساس له ، أن يزعموا بانه إذا ما ذكر اسم أب أى نبى كان أبوه أيضاً نبياً .

أما لفظة بئيرى فمعناها بئر . وهذه قد تذكرنا بينبوع الحياة والمياه الحية ، الذى منه يستقى الأنبياء ، ويجب أن يستقوا دواماً .

٢ ــ وهنا نجد مصدر سلطته ومهمته **قول الرب صار إلى هوشع** (١) » أتاه بقوة وفاعلية ، أعلن إليه كأمر حقيقى لا وهمى ، ولا من تخيلاته . أعلن إليه بالطريقة التى بها أعلن الله نفسه لعبيده الأنبياء .

إن ما قاله وكتبه كان بوحى إلهى وكان « بقول الرب » ، كما تحدث الرسول بولس عما تلقاه بمجرد إعلان إلهى ، إذ قال إنه كان « بكلمة الرب » (١ تس ٤ : ١٥) .

ولهذا فقد قبل هذا السفر دواماً ضمن أسفار العهد القديم القانونية الأمر الذى يؤيده ما اقتبس منه فى العهد الجديد (مت ٢ : ١٥ و٩ : ١٣ و١٢ : ٧ ورو٩ : ٢٥ و٢٦ و١ بط ٢ : ١٠) . لأن « كلمة الرب تثبت إلى الأبد » (١ بط ١ : ٢٥) .

٣ ــ وهنا نرى وصفاً خاصاً للعصر الذى تنبأ فيه « **فى أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا وفى أيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل** » . لسنا نجد إلا هذا التاريخ العام عن نبوته ودون تحديد أى جزء منه ، كما نرى قبل هذه النبوة فى نبوات إشعيا وإرميا وحزقيال ودانيال ، وكما نرى بعدها فى نبوتى حجى وزكريا .

هنا لا نجد سوى اسم ملك واحد من ملوك إسرائيل ، مع أنه كان هنالك ملوك كثيرون فى ذلك الوقت . لأنه إذ ذكر ملوك يهوذا لم يكن هنالك داع لذكر ملوك إسرائيل . ولأنهم إذ كانوا كلهم أشراراً فلم يرتض أن يذكرهم ، أو يوليهم هذا الشرف .

ومن هذا الوصف عن حكم الملوك الكثيرين الذين تنبأ هوشع فى عهدهم يتضح :

(١) إنه تنبأ زمناً طويلاً ، وأنه بدأ إذ كان حديث السن جداً ، الأمر الذى أعطاه امتياز القوة والنشاط ، وأنه استمر فى خدمته إلى أن صار كبير السن جداً ، الأمر الذى أعطاه امتياز زيادة الاختبارات والسلطان . كان شرفاً عظيماً له أن يستخدم زمناً طويلاً فى عمل صالح

---

(١) « كلمة الرب التى اتت إلى هوشع » حسب الترجمة الانكليزية .

كهذا ، وكانت رحمة عظيمة للشعب أن يظل بينهم خادم كهذا زمناً طويلا حتى يعرف أحوالهم معرفة جيدة ، و يعنى بأحوالهم هذه بطبيعة الحال ، خادم ألفوه ، ولهذا يكون أكثر نفعاً لهم . لكن بالرغم من هذا يبدو أنه كان أقل نفعاً بينهم . فبقدر ما طال بقاؤه بينهم قل احترامهم له . فانهم فى بادىء الأمر إزدروا بشبابه ، و بعد ذلك ازدروا بشيخوخته .

(٢) أنه جاز ظروفاً وأحوالاً مختلفة . فبعض هؤلاء الملوك كانوا صالحين جداً ، و بطبيعة الحال عضدوه وشجعوه . وكان غيرهم أشراراً جداً ، والأرجح أنهم غضبوا عليه وقاوموه . ومع ذلك فقد ظل على حال واحدة دون أى تغيير .

(ملاحظة) يجب أن يتوقع خدام الله ان يجوزوا المجد والهوان ، الصيت الردى والصيت الحسن (٢ كو ٦ : ٨) ، ويجب أن يوطدوا العزم على أن يتمسكوا بنزاهتهم واستقامتهم فى كلا الحالين ، وأن يلازموا عملهم .

(٣) أنه بدأ يتنبأ فى وقت كان قصاص الله ظاهراً ، عندما كان الله نفسه يتنازع بكيفية مباشرة مع ذلك الشعب الخاطى ، الذى سقط فى يد الرب قبل أن يسقط فى يد إنسان (٢ صم ٢٤ : ١٤) لأنه فى أيام عزيا ، و يربعام معاصره ، حدثت الزلزلة المروعة ، الوارد ذكرها فى (زك ١٤ : ٥) ، وفى (عا ١ : ١) ، و بعد ذلك حدثت ضربة الجراد (يوئيل ١ : ٢ — ٤ وعا ٧ : ١ وهو ٤ : ٣) . لقد أرسل قضيب الله ليعزز كلمته ، وأرسلت كلمة الله لتفسر قضيبه . ومع ذلك فلا هذه ولا ذلك ينجحان إلا إذا كان الله بروحه يفتح الأذن لاستماع التعليم وقبول التأديب .

(٤) أنه بدأ يتنبأ فى إسرائيل فى وقت كانت مملكتهم مزدهرة . فهكذا كانت فى حكم يربعام الثانى ، كما نرى فى (٢ مل ١٤ : ٢٥) حيث قيل إنه « رد تخم إسرائيل » وان الرب « خلصهم بيد » ع ٢٧ . ومع ذلك فقد تجاسر هوشع على أن يخبرهم بخطاياهم ، و ينذرهم بخرابهم .

(ملاحظة) إن كان الناس ناجحين فى العالم فهذا لا يدعو إلى تملقهم فى طرقهم الشريرة ، بل بالحرى يجب توبيخهم بأمانه ، وإخبارهم بوضوح أن نجاحهم لا يضمن سلامتهم ، وان هذا النجاح لايمكن أن يستمر طويلا إذا استمروا فى تعدياتهم .

٢ أول ما كلم به الرب هوشع قال الرب لهوشع إذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب ٣ فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له إبنا ٤ فقال له الرب ادع اسمه يزرعيل لأنني بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل وأبيد مملكة

بيت إسرائيل ٥ و يكون فى ذلك اليوم أنى أكسر قوس إسرائيل فى وادى يزرعيل ٦ ثم حبلت أيضاً و ولدت بنتاً فقال لى أدع اسمها لورحامة لأنى **لا أعود** ارحم بيت إسرائيل أيضاً بل انزعهم نزعاً ٧ وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بالرب ولا أخلصهم بقوس و بسيف وبحرب و بخيل و بفرسان .

ان هذه العبارة « **اول ما كلم به الرب هوشع** » قد تشير :

١ ـــ إلى مجموعة الأنبياء المباركين الذين أقيموا فى ذلك الوقت . فحوالى ذلك الوقت عاش وتنبأ يوئيل وعاموس ، وميخا ، و يونان ، وعوبديا وإشعيا . لكن هوشع كان أول من تنبأ منهم عن خراب إسرائيل . « أول (١) ما كلم به الرب هوشع » . إننا نقرأ فى تاريخ يربعام هذا ، المذكور هنا انه إلى ذلك الوقت « لم يتكلم الرب بمحو إسم إسرائيل » (مل ١٤ : ٢٧) لكنه فى الحال بعد ذلك قال إنه يمحوهم . وكان هوشع هو أول من قال هذا وكان أمراً شاقاً جداً على نفسه أن يكون هو أول من يحمل رسالة أليمة كهذه ، وقبل أن يقدم أحد آخر يعزز كلامه .

٢ ـــ أو بالحرى الى نبوات هوشع نفسه . كانت هذه هى أول رسالة أرسله الله بها إلى هذا الشعب لكى يخبرهم أنهم « جيل شرير وفاسق » (مت ١٢ : ٣٩) . كان يمكنه أن يستغنى من أن يعاملهم بمثل هذه القسوة إلى أن يقوى نفوذه بينهم ، و يذيع صيته فى وسطهم ، و ينال محبتهم وثقتهم . كلا ، فقد كان يجب أن يبدأ بهذا ، لكى يعرفوا ماذا يجب أن يتوقعوه من نبى للرب . يجب أن لايكرز لهم بهذا فقط ، بل يجب أن يكتبه ، و يذيعه ، و يتركه مكتوباً ، كشهادة عليهم . هنا نرى .

أولا : يجب على النبى أن يظهر لهم ـــ كما فى مرآة ـــ خطيتهم ، و يبين لهم بأنها خاطئة جداً ، ومكروهة جداً . لقد أمر « **خذ لنفسك أمرأة زنى وأولاد زنى** » ع ٢ . فتمم الأمر ع ٣ . تزوج امرأة سيئة السمعة **جومر بنت دبلايم** » . لم ترتكب الزنى وهى متزوجة ، فمثل هذه كان يجب أن يحكم عليها بالموت ، لكنها كانت عائشة فى الزنى وهى عزبة . لم يكن التزوج بمثل هذه شراً فى حد ذاته ، بل كان غير لائق ، وغير كريم . ولذلك كان يحرم على الكهنة وإذا تم صار نكبة على النبى و ومن أجل هذا هدد أمصيا بهذه اللعنة وهى أن أمرأته تصير زانية (عا ٧ : ١٧) . أما إن أمر الله بها لغاية مقدسة فلا تعتبر خطية . إن أمر وجب عليه هو أن يطيع ، و يعتمد على الله بأن لا تتلوث سمعته .

---

(١) « بداءة كلام الرب بلسان هوشع » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

لكن أغلب المفسرين يعتقدون أن هذا تم فى رؤيا ، أو أن هذا كان مجرد مثل . وهذه كانت طريقة التعليم الشائعة بين الأقدمين ، لاسيما الأنبياء . فما كان يقصدون به الآخرين كانوا « يحولونه تشبيها الى أنفسهم » (١ كو ٤ : ٦) . يجب أن يأخذ لنفسه « إمراة زنى » ، وأن يكون له منها أولاد ينظر إليهم كل واحد بأنهم « أولاد زنى » ولدوا في زنى ، حتى وإن كانوا قد ولدوا ولادة شريفة ، لأنه أمر عادى جداً أن المرأة التى تعيش هكذا وهى متزوجة .

والآن يقول الله لهوشع : لقد صار هذا الشعب عاراً لى ، وسبب لى حزناً وغماً ، كما تسبب لك إمرأة زنى وأولاد زنى . « **لأن الأرض قد زنت زنى** » وفى كل نواحى الشر صارت « **تاركة الرب** » .

لكن عبادتهم الوثنية بصفة خاصة هى الزنى الذى اتهموا به هنا . ان إعطاء المجد ــ اللائق بالله وحده ــ لأى خليقة يعتبر إهانة لله كما تعتبر المرأة إهانة لزوجها إذا اضطجعت فى حضن غريب . انه يعتبر هكذا بصفة خاصة إذا صدر ممن لهم صورة التقوى ، ودخلوا فى العهد مع الله . إنه نقض لعهد الزيجة . انه خطية كريهة جداً ومشينة . إنه يسلب العقل ويخلب القلب .

العبادة الوثنية زنى معيب ، أشر من أية خطية أخرى . هى « ترك الرب » . الذى نحن ملتزمون به بالتزامات أقوى من التزام المرأة لرجلها .

« الأرض قد زنت زنى » ليس أن اشخاصاً معينين هنا وهنالك ارتكبوا خطية العبادة الوثنية ، بل إن كل الأرض تدنست بها . صارت الخطية شائعة فى كل البلاد ، وصار المرض وبائياً .

ياله من أمر ممقوت أن يكون للنبى ، الطاهر المقدس « إمرأة زنى وأولاد زنى » . و ياله من تدريب لصبره . وإذا ما أصرت على زناها فلا ينتظر منه إلا أن يعطيها كتاب طلاق . أو ليست هذه اهانة أشد لله القدوس ان يكون له شعب كهذا يدعى باسمه وله مكان فى بيته ؟ يالعظمة صبره معهم . و ياله من عدل أن ينبذهم . فهذا بمثابة تزوجه « بجومر بنت دبلايم » ، التى ربما كانت فى ذلك الوقت عاهرة ذائعة الصيت . كانت أرض إسرائيل تشبه « جومر بنت دبلايم » .

وكلمة « جومر » معناها « فساد » ، و « دبلايم » معناها « كعكتان » أو « قرصا تين » . هذا يشير إلى أن إسرائيل كانوا قريبين من الهلاك ، وإن السبب فيه هو ترفهم وتنعمهم . كانوا « كالتين الردىء الذى لا يؤكل من رداءته » (إر ٢٤ : ٨) و كانوا أردياء جداً . هذه تشير إلى أن الخطية وليدة الثروة الوفيرة ، وإلى أن الهلاك وليد إساءة استعمال الثروة الوفيرة .

و يؤول البعض الأمر الذى أعطى للنبى بهذا المعنى : إذهب خذ لنفسك إمرأة زنى . لأنك إن أردت أن تبحث عن إمراة شريفة طاهرة لما وجدتها لأن كل الأرض ، وجميع شعبها ، انجرفوا فى خطية الزنى التى تلازم العبادة الوثنية عادة .

ثانيا : ويجب أن يبين لهم النبى أيضاً ــ كما فى مرآة ــ هلاكهم . وهذا ما فعله عن طريق الأسماء التى أطلقت على الأطفال الذين ولدوا من تلك المرأة الزاينة . لأنه كما أن « الشهوة إذا حبلت تلد خطية ، كذلك الخطية إذا كملت تنتج موتاً » (يع ١ : ١٥) .

١ ــ لقد تنبأ عن سقوط العائلة الملكية بالإسم الذى أمر بأن يطلقه على أول طفل ، وكان ولداً : « أدع اسمه يزرعيل » ع ٤ . لقد أطلق إشعيا النبى على بنيه أسماء نبوية (إش ٧ : ٣ ، ٨ : ٣) وهكذا فعل هذا النبى هنا .

إن لفظة « يزرعيل » معناها « زرع الله » ، وهكذا كان ينبغى أن يكونوا . وتعنى أيضاً « الله يبدر» (انظر هامش الكتاب المقدس » انهم سيكونون كغنم مشتتة على الجبال ، لا داعى لها . لا تدعم إسرائيل ، فهذا الإسم يدل على الشيطان ، لأنهم خسروا كل شرف هذا الاسم . بل أدعهم « يزرعيل » ، وهذا يشير إلى التشتت ، لأن الذين تركوا الرب لابد أن يتشردوا إلى ما لا نهاية .

إلى ذلك الوقت كانوا مبعثرين كبدار ، أما الآن فليشتتوا كتبن .

سبق أن أطلق اسم يزرعيل على إحدى المدن التى كانت مقراً لملوك إسرائيل ، وكانت مدينة جميلة ، تقع فى واد جميل . وقد دعى هذا الطفل « يزرعيل » إشارة الى المدينة « **لأننى بعد قليل أعاقب بيت ياهوعلى دم يزرعيل** » . لاحظ هنا :

(أ) من هو الذى كانت لله خصومة معه : « بيت ياهو» ، الذى كان من نسله الملك الحالى ، يربعام . لقد تألم بيت ياهو من أجل خطايا ياهوو لأن الله كثيراً ما وضع خطية الآباء على الأبناء وافتقدهم بسببها .

إن « مملكة بيت إسرائيل » قد يقصد بها إما العائلة الملكية فى ذلك الوقت ، عائلة ياهو التى « أبادها » الله بسرعة (لأن زكريا بن يربعام هذا لم يملك غير ستة شهور ، وكان هوآخر ذرية ياهو) . أو قد يقصد بها كل المملكة بصفة عامة ، وهى التى ظلت فاسدة شريرة ، والتى أبيدت فى حكم هوشع الملك ، بعد ذلك بسبعين سنة ، وهى فى نظر الله قليل « بعد قليل » .

(مـلاحظة) ليست عظمة الملوك ، ولاقوة الممالك ، ضماناً لها من حكم الله عليها بالإبادة إذا ظلت متمردة عليه .

(ب) مـا هـو أسـاس هـذه الخصومة . « إنى أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل (١) » . الـدم الذى سفكه ياهو فى يزرعيل ، عندما أباد إبادة تامة بيت أخاب ، وكل حلفائه ، وكل عبدة البعل ، وذلك إذ أرسله الله ، فأطاع أمره .

لـقـد وافـق الله عـلـى مـا فـعل (٢ مل ١٠ : ٣٠) « قد أحسنت بعمل ما هو مستقيم فى عينى » . ومع ذلك نرى الله هنا ينتقم لذلك الدم من بيت ياهو عندما انتهى الوقت الذى وعد بأن تملك فيه أسرته ، حتى الجيل الرابع .

لـكـن كـيـف يمـكـن أن يـكـافـأ الـعمل الواحد وفى نفس الوقت يقتص منه ؟ هذا حق وعـدل . فـالـعمل فى حد ذاته كان صالحاً ، لأنه كان تنفيذ حكم عادل صدر على بيت أخاب ، وعـلـى الأسـاس كوفىء لكن ياهو لم ينفذه بطريقة مستقيمة . فقد كان يهدف إلى مجد نفسه ، لا إلـى مجد الله ، ومـزج بين أحـقـادة الـشـخـصـية وتنفيذ عدل الله . لقد نفذه بغضاً للخطاة لابغضا للـخـطـيـة . لأنـه أبـقـى الـعجل الذهبى ، « ولم يتحفظ للسلوك فى شريعة الرب » (٢ مل ١٠ : ٣١) . ولـذلـك فـانـه عـنـدمـا أمتلأ مكيال إثم بيته ، وحان الوقت لله لكى يحاسبهم ، كانت أول مادة حاسبهم عليها (وإذ كانت هى الأولى فقد اكتفى بها عن الباقى) من أجل دم بيت أخآب ، الـذى دعى هنا « دم يزرعيل » . ولذلك فانه عندما استئصل بيت بعشا كان ذلك « لكونه كبيت يربعام ولأجل قتله أياه » (١ مل ١٦ : ٧) .

(مـلاحـظـة) على الذين يوكل إليهم تنفيذ العدل أن يحرصوا على ان يكون الباعث طيباً والهـدف طـيـبـاً ، وأن لا يرتكبوا هم أنفسهم تلك الخطايا التى يعاقبون الآخرين من أجلها ، لئلا يحاسبوا على إجراءاتهم العادلة يوماً ما كقتلة .

(حـ) إلى أى مدى تتقدم الخصومة . سوف لا تكون تأديباً بل هلاكاً . يرى البعض أن هـذه العـبارة « إننى أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل » تشير لا إلى الإنتقام من سفك الدم ، بل إلـى تكرار سفك الدم هذا : سأعاقب بيت ياهو كما عاقبت أخاب ، لأن ياهو لم يتعظ من قصاص أسـلافـه ، بـل سـلـك فـى خـطـوات عـبـادتهـم الـوثنية . و بعد هلاك بيت ياهو « أبيد مملكة بيت إسرائيل » سأبدأ بإبادتها حتى ولو كانت الآن مزدهرة .

---

(١) « إنـى افـتـقد دماء يزرعيل فى آل ياهو » حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « إنى انتقم لدماء يزرعيل من بيت ياهو » حسب الترجمة الانكليزية .

بعد موت زكريا ، آخر ملوك بيت ياهو، بدأت مملكة العشرة الأسباط فى الإنهيار، وصارت تضمحل بكيفية محسوسة . واستعداداً لخرابها صار لها هذا التهديد إنى **« أكسر قوس إسرائيل فى وادى يزرعيل »** ع ٥ ، أو « إنى أكسر قوة أبطال إسرائيل » حسب التفسير الكلدانى سوف يحطم الله قوتهم فيعجزوا عن الدفاع عن مقاومة أنفسهم وعن أعدائهم . كما أن تشبيت القوس بمتانة وتجددها فى اليد يدلان على تزايد القوة (تك ٤٩ : ٢٤ ، أى ٢٩ : ٢٠) ، هكذا يشير كسر القوس إلى اضمحلال القوة .

سوف يكسر القوس « فى وادى يزرعيل » ، الذى كانت تودع فيه الأسلحة على ما يرجح . أو ربما شهد هذا الوادى موقعة حربية ضعفت فيها جداً مملكة إسرائيل .

(ملاحظة) لا يوجد حصن يمنع قصاص الله . فانه عندما يخرج ضد أى شعب تتحطم أقواسه القوية ، وتنهدم حصونه .
فى وادى يزرعيل سفكوا ذلك الدم الذى ينتقم الله العادل له منهم فى نفس ذلك المكان ، كما يشنق بعض المجرمين فى نفس المكان الذى ارتكبوا فيه جرائمهم لكى يتناسب القصاص مع الخطية .

٢ ــ وتنبأ عن ترك الله لكل الأمة ، وذلك بالإسم الذى أطلقه على المولود الثانى ، وكان بنتاً ، كما كان الأول ولداً ، إشارة إلى أن كلا من البنين والبنات أفسدوا طرقهم .

يظن البعض أن هذه تشير إلى أن إسرائيل تخنثوا (صاروا كالنساء) ولهذا ضعفت قوتهم ، وصاروا ضعفاء .

« أدع اسم هذه البنت لورحامة » أى « ليست محبوبة » كما ترجمت فى (رو ٩ : ٢٥) ، أو « غير مرحومة » كما ترجمت فى (١ بط ٢ : ١٠) والتفسيران واحد . هذه تعبر عن مصير بيت إسرائيل « لأنى لا أعود أرحم بيت إسرائيل » . إنها تشير ضمناً إلى أن الله سبق أن أظهر لهم رحمة عظيمة لكنهم أساءوا استخدام رحمته ، وخسروها ، وإنه سوف لا يعود يظهر لهم أية رحمة .

(ملاحظة) إن الذين يتركون مراحمهم من أجل بعض الأباطيل الكاذبة يجب بأن يتوقعوا أن تتركهم مراحمهم ، وأن يُتركوا هم لأباطيلهم الكاذبة (يونان ٢ : ٨) . والخطية تحول رحمة الله حتى عن « بيت إسرائيل » ، شعبه الذى يعترف به ، الذين تصبح محزنة جداً عندما يقول الله بأنه لا يعود يرحمهم .

و بعد ذلك يقول « بل أنزعهم نزعاً » .

(مـلاحظة) عندما تتوقف مجارى الرحمة يجب أن لا نتوقع إلاّ أن تنفح جامات الغضب . والذين لايعود الله يرحمهم ينزعون نزعاً كالأقذار والأوساخ .

إن الكلمة « تنزع » تستعمل بعض الأحيان لمغفرة الخطية (١) . و يظن البعض أن هذا هو المقصود هنا : لا أعود أرحمهم ولو كنت قد صفحت عنهم إلى الأبد .

(مـلاحـظـة) إن كـان الله قـد تأنى طو يلا ، فانه لا يحتمل إلى الأبد مع شعب يكره أن يصلح .

أو : « لا أعـود أرحمـهـم بـأى حال من الأحوال لكى أصفح لهم . إن كان الله يمنع رحمته الغافرة فلا تنتظر أية رحمة أخرى . لأن الرحمة الغافرة تفتح الباب لسائر المراحم الأخرى .

و يـرى الـبـعـض أن هـذه الـعـبارة تتحدث بالتعز ية فيفسرونها على هذا الوجه : لا أعود أرحمـهـم إلـى أن أصـفح عنهم ، أى إلى أن يأتى الفادى إلى صهيون « و يرد الفجور عن يعقوب » (رو ١١ : ٢٦) .

و وردت العبارة فى التفسير الكلدانى « وإن تابوا أصفح عنهم » . حتى أشر الخطاة يجدون عند الله مغفرة (مز ١٣٠ : ٤) إن رجعوا لأنفسهم وتابوا .

ثـالـثـا : يجـب أن يـبين لهم الرحمة التى حفظها الله ليهوذا فى الوقت الذى كان فيه يو بخ بيت إسرائيل ع ٧ « **وأما بيت يهوذا فأرحمهم** » .

(مـلاحـظـة) مـع أن البعض ينبذون بعدل بسبب عصيانهم إلا أن الله يحتفظ لنفسه دائماً ببقية تبقى آنية وآثار للرحمة . وعندما يتمجد العدل الإلهى فى البعض يكون هنالك غيرهم تتمجد فيهـم الـنعمة المجانية . ومع أن البعض يقطعون لعدم الإيمان فانه تكون لله كنيسة فى هذا العالم إلى منتهى الدهور .

ممـا زاد رفـض إسـرائـيـل شناعة أن الله رحم يهوذا دون أن يرحم إسرائيل . ومما عظم رحمة الله ليهـوذا أن الله لم يـرفـضـهـم ــ رغـم انهـم هـم أيـضـاً ارتـكـبوا الشرور ــ كما رفض إسرائيل ، « أرحمهم وأخلصهم » .

---

(١) ورد فى هامش الكتاب المقدس « حتى أصفح عنهم » بدلا من « بل انزعهم نزعاً » .

(ملاحظة) إن خلاصنا يعزى كلية لرحمة الله لا إلى أى استحقاق فينا .

١ ــ هذا بلا شك يشير إلى الخلاص الوقتى الذى أجراه الله ليهوذا مراراً ، بكيفية مميزة ، وإلى المراحم التى أظهرها لهم دون إسرائيل . عندما خربت جيوش أشور السامرة ، وحملت العشرة الأسباط إلى السبى تقدمت لأورشليم لتحاصرها . لكن الله رحم بيت يهوذا ، وخلصهم بتلك المذبحة العظيمة التى صنعها الملاك فى ليلة واحدة فى محلة الأشوريين . وعندئذ خلصوا « **بالرب إلههم** » فى الحال ، لا « **بقوس و بسيف** » . بينما استمرت الأسباط العشرة فى السبى ، وأرضهم يحتلها العدو ، « ونزعوا نزعاً » . وجدنا أن الله « رحم بيت يهوذا وخلصهم » ، و بعد سبعين سنة أعادهم لأرضهم « لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروح رب الجنود » (زك ٤ : ٦) .

« أخلصهم بالرب إلههم » أى بنفسى . الله يتعظم بقوته ، يتمم العمل بيديه . إن الخلاص الذى يتعهد الله بأن يكون هو منشئه ، خلاص أكيد ومضمون . لأنه إن بدأ يعمل فلن يعترضه معترض .

وذلك الخلاص الذى يتممه بنفسه خلاص مقبول جداً . « هكذا الرب وحده اقتاده » (تث ٣٢ : ١٢) . كلما قل تدخل الإنسان فى أى خلاص ، وزاد تدخل الله ، إزداد ضياء ، وازدادت حلاوته .

« أخلصهم بكلمة الرب » (حسب التفسير الكلدانى) ، من أجل المسيح ، الكلمة الأزلى و بقوته .

« لا أخلصهم بقوس و بسيف » أى
(١) أنهم يخلصون عندما يصلون إلى حالة الضعف التى فيها لا يكون لديهم « قوس أو سيف » للدفاع عن أنفسهم . (قض ٥ : ٨ و١ صم ١٣ : ٢٢) .
(٢) ويخلصون بالرب عندما يكفّون عن الاعتماد على قوتهم وأسلحتهم الحربية (مز ٤٤ : ٦) .
(٣) ويخلصون بسهولة دون عناء السيف والقوس (ع ٧ و إش ٩ : ٥) . « أخلصهم بالرب إلهم » . أما قوله عن نفسه بأنه هو « إلههم » فانه بهذا يوبخ العشرة الأسباط ، الذى نبذوه عن أن يكون إلههم ، الأمر الذى لأجله نبذهم هو . وفى هذا إشارة إلى السبب الحقيقى الذى من أجله رحم بيت يهوذا وخلصهم ، مميزاً إياهم عن بيت إسرائيل . كان بناء على وعده لهم بأن يكون هو « الرب إلههم » ، وجزاء لهم لأمانتهم والتصاقهم به ، و بكلمته ، و بعبادته .
٢ ــ وقد يشير أيضاً إلى خلاص يهوذا من العبادة الوثنية ، الأمر الذى أهلهم وأعدهم

لأنواع أخرى من الخلاص . وهذا فى الواقع خلاص « بالرب إلههم » . وهو يتم فقط بقوة نعمته ، ولا يمكن مطلقاً أن يتم بسيف أو قوس .

فى نفس الوقت الذى فيه نزعت مملكة إسرائيل نزعاً فى عهد حكم هوشع جرى إصلاح عظيم فى مملكة يهوذا مدة حكم حزقيا ، ومن أجل هذا حفظت من الدمار . وفى بابل خلصهم الله أولاً من العبادة الوثنية ، و بعد ذلك من سبيهم .

٣ ـــ والبعض يرون أن هذا الوعد يشير الى الخلاص العظيم الذى كان مزمعاً أن يتم فى ملء الزمن على يدى « الرب إلههم » ، يسوع المسيح ، الذى أتى إلى العالم « ليخلص شعبه من خطاياهم » .

٨ ثم فطمت لورحامة وحبلت فولدت ابنا ٩ فقال أدع أسمه لوعمى لأنكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم .

١٠ لكن يكون عدد بنى إسرائيل كرمل البحر الذى لا يكال ولا يعد . و يكون عوضا عن أن يقال لهم لستم شعبى يقال لهم أبناء الله الحى ١١ ويجمع بنو يهوذا و بنو إسرائيل معاً ويجعلون لأنفسهم رأساً واحداً و يصعدون من الأرض لأن يوم يزرعيل عظيم .

هنا نرى نبوة

أولا : عن رفض إسرائيل لوقت ما ، الأمر الذى يشير إليه إسم طفل آخر أعطى لهوشع من امرأته الزانية ع ٨ و ٩ ولازلنا نلاحظ أن هؤلاء الأطفال ، الذين حملوا فى أسمائهم تلك الو يلات المروعة لإسرائيل كانوا كلهم « أولاد زنى » ع ٢ ، كلهم ولدوا من تلك المرأة الزانية التى تزوجها هوشع ، إشارة إلى أن هلاك إسرائيل كان نتيجة طبيعية لخطية إسرائيل . فلو لم يتمردوا على الله أولا لما كان قد رفضهم . والله لا يترك اناساً إلا إذا تركوه هم أولاً . هنا نجد .

١ ـــ ولادة هذا الطفل « **ثم فطمت لورحامة وحبلت فولدت إبناً** » يلاحظ هنا تعوق فى ولادة هذا الطفل ، الذى كان اسمه يحمل نذيراً لرفضهم التام ، إشارة إلى صبر الله معهم ، وعدم رغبته فى إنزال غضبه التام عليهم . يظن البعض أن ولادتها إبناً آخر يشير إلى إصرار الشعب على شرورهم . كانت الشهوة لازالت تحبل وتلد خطية . « لقد زادوا فى عمل الشر » حسب تفسير الكلدانيين . كانوا عريقين فى الزنى ، وعنيدين .

٢ ـــ الإسم الذى أطلق عليه « **ادع اسمه لوعمى** » أى « ليس شعبى » (أنظر هامش الكتاب المقدس) . عندما قيل لهم أن الله لا يعود يرحمهم لم يبالوا بذلك ، بل نفخوا

أنفسهم بهذا الغرور أنهم شعب الله الذين لا يمكن إلا أن يرحمهم . ولذلك نزع هذا العكاز منهم ، وتخلى عن كل علاقة بهم « **لانكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم** » . سوف لا تكون لى بكم أية علاقة ، لا أكون لكم ملكاً ، أو حامياً ، أو مدافعاً . « لا أكون لكم إلهاً » وهذه تشمل الكل . لا أكون لكم كما كنت من قبل ، ولا ما تتوقعونه باطلا . لا أكون لكم كما كنت اود أن أكون لو كنتم قد لصقتم بى .

لاحظ قوله « لستم شعبى » لا تتصرفون كما يليق بشعبى ، لا تبالون بى ، ولا تطيعوننى ، كما يجب أن يكون شعبى . لستم شعبى ، بل شعب تلك الآلهة القذرة . ولذلك سوف لا أعترف بأنكم شعبى ، سوف لا أحميكم ، ولا أطلب منكم شيئاً ، ولا أطلبكم ، ولا أخلصكم من أيدى مضايقيكم . بل ليأخذوكم ، لأنكم لستم شعبى .

لا تنتظروا أن أكون لكم إلهاً ، بل أدوا ولاءكم لمدعى الألوهية ، ولذلك لا أكون لكم إلهاً . سوف لا تجدون فى آية مسرة ، ولا تنتظرون أية بركة منى .

(ملاحظة) إن دخولنا فى العهد مع الله يتوقف كلية عليه وعلى نعمته . لأنه هو البادىء « أنا أكون لهم إلهاً » و بعد ذلك « يكونون لى شعباً » . « نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا » (١ يو ٤ : ١٩) . أما إخراجنا من ذلك العهد فانه يتوقف كلية علينا وعلى حماقتنا . فنقض العهد تقع مسئوليته على الإنسان « لستم شعبى » ولذلك « أنا لا أكون لكم إلهاً » . إن كان الله يبغض أى أناس فلأنهم هم أبغضوه أولا .

لقد تم هذا فى إسرائيل عندما « نزعوا نزعاً » إلى أرض أشور ، ولم يعرفهم موضعهم فيما بعد (مز ١٠٣ : ١٦) لم يعودوا بعد « شعب الله » ، لأنهم فقدوا معرفته وعبادته . لم يرسل إليهم أنبياء ، ولم تعط لهم مواعيد ، كما أعطى للسبطين فى سبيهم . بل لم يعودوا بعد شعباً ، لكنهم اختلطوا بالأمم التى سبوا إليها ، وضاعوا فى وسطهم .

ثانيا : عن إخضاع ورد إسرائيل فى ملء الزمان . هنا — كما رأينا سابقا — تذكر الرحمة فى وسط الغضب . وكما ان الرفض لا يكون كلياً كذلك لايكون نهائياً ع ١٠ و ١١ . « **لكن يكون عدد بنى إسرائيل كرمل البحر** » . انظر كيف أن نفس اليد التى جرحت تمتد لكى تشفى ، وكيف أن الذى مزق يعصب برقة (ص ٦ : ١) . إنه « ولو أحزن (بتهديداته) فانه يعود فيرحم حسب كثرة مراحمه » (مراثى ٣ : ٣٢) ، « و باحسان أبدى » يجمع (إش ٥٤ : ٨) . إنها لمواعيد ثمينة جداً تلك التى أعطيت هنا لإسرائيل الله ، والتى يمكن أن تكون لنا نحن الآن .

١ — يظن البعض أن هذه المواعيد تمت بعودة اليهود من السبى البابلى عندما انضم الكثيرون من العشرة الأسباط الى يهوذا ، وانتفعوا بامتياز الحرية التى نادى بها كورش ، وخرجوا من الممالك المختلفة التى تشتتوا فيها ، وصعدوا إلى أرضهم ، وأقاموا زربابل رئيساً لهم و وامتزجوا معاً فصاروا شعباً واحداً ، و بعد أن كانوا قبلاً أمتين منفصلتين وفى أرضهم ، حيث أعلن الله بأنبيائه أنه قد رفضهم ورفض أن يكون لهم إلها ، أراد أن يعترف . على لسان أنبيائه — بأنهم أبناؤه ، و بأنه سيظهر لهم . ومن كل ارجاء البلاد يصعدون إلى الهيكل للعبادة .

ولنا الحق بأن نعتقد انه وإن كان هذا الوعد يشير إلى المستقبل ، إلاّ أنه قصد به أن يكون لتعضيد وتشجيع وتعزية المسبيين فى بابل ، إذ قدم لهم تأكيداً عاماً بالرحمة التى حفظها الله لهم ولأرضهم . لم يكن ممكناً أن تهلك أمتهم طالما كانت هذه البركة فيها ، وطالما كانت محفوظة لها .

٢ — و يرى البعض أن هذه المواعيد سوف لا تتم ، أو على الأقل لا تتم إتماماً تاماً . إلا بعد التجديد العام لليهود فى الأيام الأخيرة ، والأمر الذى ينتظر حصوله عندما يأتى العدد الوفير جداً من اليهود المشتتين الآن كرمل البحر ، و يعتنقون الإيمان بالمسيح و يدخلون كنيسة العهد الجديد . عندئذ ، وعندئذ فقط يعترف الله بأنهم شعبه ، وأبناءه ، حتى وإن كانوا تحت علامات رفضهم المظلمة . إن علماء اليهود يتطلعون الى هذا الوعد على أساس أنه لم يتم بعد

٣ — لكنه مؤكد أن هذا الوعد تم عند إقامة ملكوت المسيح ، بالكرازة بالإنجيل ، ودخول اليهود والأمم فى هذا الملكوت ، لأن الرسول بولس طبق هذه العبارة على هذه الحقيقة (رو ٩ : ٢٥ ، ٢٦) وكذلك فعل الرسول بطرس عندما كتب لليهود الذين فى الشتات (١ بط ٢ : ١٠) .

المقصود باسرائيل هنا هو كنيسة العهد الجديد ، إسرائيل بالروح (غل ٦ : ١٦) ، كل المؤمنين الذين يسلكون فى خطوات إبراهيم المؤمن ، و يرثون بركاته ، الذى هو أبو كل المؤمنين ، يهوداً كانوا أو أمما (رو ٤ : ١١ و ١٢) . والآن لنرَ ما هو هذا الوعد الذى أعطى لإسرائيل هؤلاء .

(أ) إنهم سيتضاعفون جداً ، و يزداد عددهم سوف يكونون « **كرمل البحر الذى لا يكال ولا يعد** » . إن كان إسرائيل حسب الجسد ينقص فان إسرائيل الروحى سيزيد عدده ، فلا يحصى . لقد تم هذا الوعد بانضمام العدد الوفير جداً الذين انضموا للمسيح بكرازة الإنجيل فى العصور الأولى للمسيحية ، وما بعدها إلى الآن ، ألوف من كل سبط فى إسرائيل ، ومن الأمم الأخرى ، « جمع كثير لا يستطيع أحد أن يعده » (رؤ ٧ : ٤ ، ٩ وغل ٤ : ١٧) . بهذا تم تماماً الوعد الذى أعطى لإبراهيم عندما دعاه الله ابراهيم ، اى « أباً لجمهور من الأمم » (تك ١٧ : ٥) والوعد الآخر الوارد فى (تك ٢٢ : ١٧)

يظن البعض أنهم لم يشبهوا برمل البحر بسبب كثرة عددهم فقط ، بل أيضاً كما أن رمل البحر حد للمياه فلا تطغى على الأرض ، هكذا الإسرائيليون الحقيقيون سور حصين فى الاماكن التى يعيشون فيها ليبعدوا عنها قصاصات الله . فالله لا يمكن أن يؤذى سدوم طالما كان لوط فيها .

(ب) إن الله سوف يجدد عهده مع إسرائيل العهد الجديد ، ويجعلهم كنيسة لنفسه بنفس الطريقة التى أسس بها كنيسة العهد القديم ، بل بامتيازات أعظم . « **و يكون عوضاً عن أن يقال لهم لستم شعبى يقال لهم ابناء الله الحى** (١) هناك تقبلون فى العهد ثانية ، و يعترف بكم بأنكم شعبى . الامم المهجورون فى اماكنهم المختلفة ، واليهود المرفوضون فى اماكنهم أيضاً ، سينالون نعمة و بركة . هناك . حيث نبذ الآباء من اجل عدم إيمانهم ، يؤخذ الأبناء لدى إيمانهم هذه قيامة من الاموات مباركة ان يتخذ الله لنفسه شعباً ممن لم يكونوا شعباً .

بل أن الامتياز قد ازداد اتساعاً ، فانكم الآن لستم شعبى فقط ، كما كنتم سابقاً ، بل أنتم « أبناء الله الحى » ، سواء كنتم بالميلاد يهوداً أم أمماً .

لما كان إسرائيل تحت الناموس كان ابناً لله ، ابنه البكر ، لكنهم كانوا وقتئذ قاصرين . أما الآن تحت النعمة ــ فقد نموا فى الإدراك وفى الحرية (غل ٤ : ١ ، ٢) .

(ملاحظة) . [١] إنه امتياز ، لا يعبرعنه ، لكل المؤمنين أن يكون الله الحى أباً لهم ، الله الحى إلى الابد ، ويمكنهم أن يعتبروا أنفسهم أبناءه ، بالنعمة و بالتبنى .

[٢] سوف يعترف ببنوية المؤمنين . سوف يقال لهم ، لتعزيتهم وراحتهم ، بل سوف يقال لهم لشرفهم ومجدهم ، على مسمع من العالم « أنتم أبناء الله الحى » . فعلى القديسين ان لا يزعجوا أنفسهم ، وعلى الآخرين أن لا يحتقروهم ، لأنه سوف يستعلن أبناء الله ، آجلا أو عاجلاً ، وسوف يعرف كل العالم سموهم ورفعتهم ، ومقدار قيمتهم فى نظر الله .

[٣] مما يزيد فى تعزيتهم ، وفى كرامتهم ومجدهم ، أن يتشرفوا بعلامات محبة الله فى نفس المكان الذى ظلوا فيه طويلاً تحت علامات غضبه . هذا يحمل تعزية للمؤمنين من الأمم

---

(١) « وسيكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى أنهم هناك يدعون ابناء الله » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

أنهم لا يحتاجون إلى الصعود لأورشليم لكى يقبلون كأبناء الله ، و يعترف بهم بأنهم هكذا . نعم ، إنهم يمكنهم البقاء حيث هم ، « وفى الموضع » ذاته ، مهما كان فى أقصاء الأرض ، « فى الموضع » الذى كانوا فيه بعيدين ، الذى قيل لهم فيه « لستم شعب الله » بل مفرز ين منهم (إش ٥٦ : ٣ ، ٦) فى نفس ذلك الموضع ، دون أن يتركوا وطنهم وأقاربهم ، يمكنهم أن يقبلوا بالإيمان « روح التبنى » الذى يشهد لأرواحهم أنهم أبناء الله (رو ٨ : ١٥) .

(٣) إن الذين كانوا متفرقين ومتنازعين سوف يتجمعون معاً ع ١١

« **ويجمع بنو يهوذا و بنوا إسرائيل معاً** » . فاتحاد يهوذا وإسرائيل معاً ، هاتين المملكتين اللتين كانتا فى نزاع مستمر ، يأكلان و ينهشان بعضهما بعضاً ، قد ذكر هنا فقط كعينة ، أو كمثل ، للنتيجة السعيدة لقيام ملكوت المسيح فى العالم ، واتحاد ألد الاعداء بعضهمم مع بعض ، ويحبوا بعضهم البعض .

تم هذا حرفياً عندما اتحد قلبياً الجليليون ، الذين كانون يسكنون الجليل التابعة للعشرة الأسباط ، والأرجح انهم كانوا من سلالتهم ، مع اليهود ـــ سكان اليهودية ـــ فى إتباع المسيح وإعتناق إنجيله . ولقد كان تلاميذه الأولون بعضهم يهوداً و بعضهم جليليين .

كانت أول بلاد تباركت بنور الإنجيل « أرض ز بولون وأرض نفتاليم » (مت ٤ : ١٥) . ومع أنه لم يكن هنالك سلام قط بين اليهود والجليليين إلا أنهم ، لدى إيمانهم بالمسيح ، اتحدوا معاً ، ولم يبق هنالك أى أثر للنفوذ الذى كان بينهم قبلا . بل عندما آمن أهل السامرة صارت هنالك وحدة تامة بينهم و بين اليهود ، ومع أنه كانت هنالك عداوة أشد بينهم (أع ٨ : ١٤) .

وهكذا جمع معاً يهوذا وإسرائيل . ومع ذلك فان هذا لم يكن إلاّ رمزاً للمصالحة الأقوى والأمتن التى تمت بين اليهود والأمم عندما أز يل حاجز الناموس الطقسى بموت المسيح . أنظر (أف ٢ : ١٤ ـــ ١٦) فالمسيح مات « ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يو ١١ : ٥٢ و أف ١ : ١٠)

(٤) إن يسوع المسيح يجب أن يكون مركز دائرة اتحاد كل إسرائيل الله الروحى . فانهم كلهم سيتفقون على أن « **يجعلوا لأنفسهم رأساً واحداً** » . وهكذا لايمكن أن يكون إلا من عينه الله ، أى المسيح .

(ملاحظة) يسوع المسيح هو رأس الكنيسة ، رأسها الوحيد ، ليس فقط رأسها الذى يدير دفة أمورها ، كما هو حال الرأس فى الحكومات ، بل رأسها الذى له النفوذ الحيوى ، كما هو حال

راس الجسد الطبيعي . والإيمان بالمسيح هو جعله رأساً لنا ، أي أن نقبل تعيين الله ، ونسلم أنفسنا لإرشاده وسلطانه . وهذا بالتضامن والشركة مع كل المسيحيين الصالحين الذين يجعلونه رأساً لهم . وهكذا بالرغم من أنهم كثيرون إلا أنهم يصيرون واحداً فيه ، واحداً مع بعضهم البعض يقول المثل اللاتيني :

إن اتفق إثنان مع ثالث اتفق كلاهما معاً .

(٥) وإذ جعلوا المسيح رأساً لهم « **يصعدون من الأرض** » يصعدون من كل الاجناس ، ومن كل الأرجاء لينضموا إلى الكنيسة كما كان يحدث في عصر الناموس ، إذ كانوا يصعدون من كل أرجاء أرض إسرائيل إلى أورشليم للعبادة (مز ١٢٢ : ٤) « حيث صعدت الأسباط » . وهذه إشارة واضحة إلى انضمام الأمم للكنيسة (إش ٢ : ٣) « وتسير شعوب كثيرة و يقولون هلم نصعد إلى جبل الرب » .

هذا لايدل على تغيير الإقامة ، لأنه قيل إنه يتم « في نفس الموضع » ع ١٠ ، بل على تغيير الفكر ، على صعود روحي الى المسيح .

« يصعدون من الأرض » . لأن الذين سلموا أنفسهم للمسيح كرأس لهم ينزعون عواطفهم ومحبتهم « من هذه الأرض » و يوجهونها « إلى ما هو فوق » (كو ٣ : ١ ، ٢) ، لأنهم ليسوا من العالم (يو ١٥ : ١٩) بل سيرتهم في السماء (في ٣ : ٢٠) .

« يصعدون من الأرض » ولو كانت وطنهم . يخرجون برغبتهم لكي « يتبعوا الخروف حيثما ذهب » (رؤ ١٤ : ٤) .

(٦) وعندما يتم كل هذا يكون « **يوم يزرعيل عظيماً** » . إن كان يوم نكبة يزرعيل عظيماً فان يوم مجد يزرعيل يكون عظيماً . سوف يكون هذا يوم إسرائيل ، يكون يومهم ، بعد أن كان لأعدائهم يومهم الطويل .

دعي إسرائيل هنا « يزرعيل » أي زرع الله ، الزرع المقدس » (إش ٦ : ١٣) ، خير الأرض . هذا الزرع مزروع الآن في الأرض ومدفون تحت تربتها ، لكن سوف يكون ذلك اليوم عظيماً عندما يحين وقت الحصاد .

كان يوم الكنيسة عظيماً عندما كان الرب يضم إليها كل يوم الذين يخلصون . في ذلك اليوم فعل لها القدير عظائم .

الاصحاح الثانى

إن الهدف من هذا الأصحاح يشبه تماماً ما ورد فى الأصحاح السابق ، وهو يشير إلى نفس الحوادث وإلى مسبباتها . هنا نرى ، كما رأينا فى سابقه :

(١) إن الله — عن طريق نبيه هوشع يكشف لهم خطيتهم ، و يتهمهم بها ، وهى خطية العبادة الوثنية ، زناهم الروحى ، خدمتهم للأصنام ونسيانهم الله والتزاماتهم من نحوه ع ١ ، ٢ ، ٥ ، ٨ .

(٢) ويهددهم بأن ينزع منهم وفرة كل الخيرات التى استخدموها فى عبادة الأوثان ، و يتركهم للهلاك بدون شفاء ع ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ — ١٣ .

(٣) ومع ذلك يعدهم أخيراً بأن يعود إليهم برحمته من أجل نفسه ع ١٤ و يعيد إليهم وفرة الخيرات السابقة ع ١٥ و يشفيهم من ميلهم للعبادة الوثنية ع ١٦ ، ١٧ ويجدد عهده معهم ع ١٨ — ٢٠ و يباركهم بكل الخيرات ع ٢١ — ٢٣ .

١ قولوا لأخوتكم عمى ولأخواتكم رحامة

٢ حاكموا أمكم حاكموا لأنها ليست امرأتى وأنا لست رجلها لكى تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها ٣ لئلا أجردها عريانة وأقفها كيوم ولادتها واجعلها كقفر وأصيرها كأرض يابسة وأميتها بالعطش ٤ ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنى ٥ لأن أمهم قد زنت . التى حبلت بهم صنعت خزياً . لأنها قالت أذهب وراء محبىّ الذين يعطون خبزى ومائى وكتانى زيتى وأشربتى .

يعتبر البعض كلمات هذا الأصحاح الأولى ختاماً للأصحاح السابق ، و يضيفونها للمواعيد التى نراها هاهنا عن العظائم التى كان الله يريد أن يصنعها لهم . إذا ما جعلوا المسيح رأساً لهم ، والتفوا حوله ، فليقولوا بعضهم لبعض بانتصار وفرح ، وليقل الأنبياء لهم « عزوا عزوا شعبى » . هذه هى مهمتهم الآن . قولوا لهم « **عمى** » و « **رحامة** » . قولوا لهم هذا مرة أخرى . لأنهم لن يبقوا بعد تحت عار ولعنة « لوعمى » و « لورحامة » . سوف يكونون الآن ثانية شعبى ، وسوف ينالون رحمة .

إن إسرائيل الله الروحى ، المكون من اليهود والأمم بدون تمييز ، سوف يدعون بعضهم بعضاً أخوة وأخوات و سوف يعترفون بعضهم ببعض بأنهم شعب الله ، و بأنهم محبوبون منه . ولهذا

السبب سوف يعانقون بعضهم بعضاً ، ويحثون بعضهم بعضاً لشكر الله من أجل هذا « الخلاص المشترك » الذى يشتركون فيه معاً ، وللسلوك كما يحق لهذا الخلاص .

أو بالأحرى ، لأن الكلمات التالية يبدو أنها تطابق هذه الكلمات ، فان هذه أيضاً قصد بها الإدانة والإذلال . و يبدو أن الأم الوارد ذكرها فى ع ٢ هى نفسها الأخوة والأخوات ع ١ ، كنيسة العشرة الأسباط ، جسم الشعب ، الذين كانوا أخوة . و يبدو أنها بصفة خاصة هى نفسها الرؤساء والقادة الذين كانوا بمثابة الأم التى نشأتهم وربتهم .

لكن من هم الأبناء الذين يجب أن يحاكموا أمهم هكذا ؟

١ ــ إما أن يكونوا هم الأتقياء الذين كانوا بينهم ، الذين شهدوا ضد شرور عصرهم . فليتجاسروا على الاستمرار فى الشهادة ضد عباداتهم الوثنية ، ونجاساتهم الشنيعة السائدة بينهم . يجب على من لم يحنوا ركبة لبعل أن يناقشوا من أحنوا ، ويحاولوا إقناعهم بالحجج التى وضعت هنا فى أفواههم .

(ملاحظة) على الأشخاص العاديين كل واحد فى مكانه ــ أن يظهروا ويجتمعوا ضد النجاسات العامة والإهانات التى تلحق باسم الله و بعبادته . على الأبناء أن يحتجوا ــ بروح التواضع والاحتشام ــ ضد آبائهم إذا ما ارتكبوا أى خطأ . « حاكموا أمكم حاكموا » كما احتج يوناثان على شاول أبيه من أجل داود .

٢ ــ أو قد يكون المقصود هم المتألمون الذين بينهم ، الذين اشتركوا فى مصائب عصرهم . يجب أن لا يشتكوا من الله ، يجب أن لا يخاصموه أو يلقوا التبعة عليه ، كأنه قد قسا عليهم ، ولم يكن معهم كأب رقيق . كلا ، بل ليحاكموا أمهم ، و يلقوا عليها كل التبعة فهى وحدها المسئولة . قارن ذلك بما ورد فى إشعياء ٥٠ : ١ « من أجل ذنوبكم طلقت أمكم (١) . إن ذنوبها هى السبب فيما حل بها وفيما حل بكم من نكبات . والآن لننظر كيف يجب أن يحاكموها .

أولا : يجب تذكيرها بعلاقتها مع الله ، و بالعطف الذى أظهره لها ، و بالمراحم التى سكبها عليها و بالمراحم القادمة التى قصد أن يهبها لها . فليخبروا أخوتهم وأخواتهم أنهم كانوا « عمى ورحامة » ، كانوا شعب الله ، وآنية رحمته وانهم كان ممكناً أن يستمروا هكذا لولا خطاياهم ع ١

---

(١) « طلقت أمكم من أجل ذنوبها » حسب الترجمة الانكليزية .

(ملاحظة) إن علاقتنا بالله واعتمادنا عليه يز يدان فى شناعة ابتعادنا عنه وتمردنا عليه .

ثانيا : يجب أن يوجهوا إليها ــ باسم الله ــ تهمة نقض عهد الزيجة بينها و بين الله . يجب أن يخبروها بأن الله لم يعد ينظر إليها بعد كزوجة له ، ولا يعتبر نفسه زوجاً لها « أخبروها **بأنها ليست امرأتى وأنا** لست رجلها » ع ٢ وأنها بزناها الروحى قد خسرت كل شرف و بركات وتعز يات علاقتها بالله ، وأنها قد أغاظته حتى أعطاها كتاب طلاق .

(ملاحظة) ليس هنالك أى اعتبار لايقاظنا للتوبة أقوى من أننا بالخطية أغظنا الله فاضطر إلى أن لا يعترف بنا وأن ينبذنا . لقد حان الوقت لكى نلتفت حولنا ونفكر فى الطر يق الذى يجب أن نسلكه إذا ما هددنا الله بأن ينبذنا . لأنه و يل لنا إن لم يكن هو رجلنا .

يجب أن يوجهوا إليها هذه التهمة ع ٥ « **أن أمهم قد زنت** » ع ٥ « وان جماعتهم قد ركضت لتزنى وراء الأنبياء الكذبة » (حسب تفسير الكلدانيين) ، أو بالأحرى « وراء الأوثان » التى شجعهم عليها أنبياؤهم الكذبة .

وهذه التهمة ان « **التى حبلت بهم صنعت خز ياً** » بعمل الأصنام وعبادتها . لقد دعى الصنم « خز ياً » (ص ٩ : ١٠) ، ولذلك فالعبادة الوثنية « خزى » . إن « السجود لساق الشجرة » ليس إهانة لله فقط ، بل خزى وعار للبشر (إش ٤٤ : ١٩) .

أو قد تشير إلى أن الخطاة لم يخزوا ولم يستحوا ، بل كانوا جر يئين وقحين فى عمل الخطية ، « لم يخزوا خز يا ولم يعرفوا الخجل (إر ٦ : ١٥) .

أو أنها قد « أخزت ، جعلت كل من ينظر إليها يخزى منها ، فخجل بنوها من علاقتهم بها .

ثالثا : يجب ان يوبخوها من أجل جحودها المروع من نحو الله المحسن إليها وإذ نسبت لأصنامها الفضل فى البركات التى اعطاها لها الله ، و بعد ذلك قالت إن هذا هو السبب فى انها اعطتها الولاء اللائق بالله وحده ع ٥ . بهذا « صنعت خز ياً » حقاً ، **لأنها قالت أذهب وراء** محبى الذين يعطون خبزى ومائى » . لاحظ هنا .

١ ــ إصرارها الخبيث على الاستمرار فى العبادة الوثنية ، رغم كل ما قاله الله لإبعادها عنها ، سواء بانبيائه ، أو بأعمال عنايته . « إنها قالت » مهما قيل عكس ما قالت ــ « أذهب وراء محبىّ أو الذين يجعلوننى أحبهم » ، الذين لا يمكن إلا أن أحبهم » .

يرى تفسير الكلدانيين أن هذه تشير إلى الأمم التى سعت إسرائيل وراء محالفتها ، والتى اعتمدت عليها ، والتى أمدتها بما احتاجت إليه .

لكنها بالأحرى تشير الى الأصنام التى عبدوها ، والتي دعوها « محبى » لكى يبرروا محبتهم لها .

تأمل من هم الذين « يصنعون خز ياً » . هم الذين يصرون على الاستمرار فى الخطية ، والذين يعترفون جهراً باصرارهم على الاستمرار فيها .

وتأمل فى حماقة عبدة الأوثان إذ يدعون ما لاحياة فيها محبيهم . فلنتعلم بأن ندعو الله محبنا ، ولنفكر فيه أفكاراً سامية ، ولننظر بعين التقدير العظيم إلى بركاتنا التى لنا فيه وفى محبته .

٢ ــ الخطأ الجسيم الذى بنى عليه هذا الإصرار: أذهب وراء محبى لأنهم « يعطون خبزى ومائى » اللازمين لحفظ الجسد ، « **صوفى وكتانى** » اللازمين لكسوه الجسد ، « **زيتى وأشربتى** » اللازمين لبهجة النفس .

(ملاحظات) ــ (١) إن الأشياء الحسية هى أفضل ما تشتهيه القلوب اللحمية ، وأقوى المغريات ، والتى من اجل السعى وراءها لا يبالى البشر بما يتبعونه . لقد وضع إله إسرائيل أمامهم « فرائضه وأحكامه » (تث ٤ : ٨) ، التى هى « أشهى من الذهب وأحلى من العسل » (مز ١١ : ١٠) ، ووعدهم بمحبته التى تجعل سروراً فى قلوبهم أعظم من الحنطة والخمر والز يت (مز ٤ : ٧) . لكنهم لم يجدوا قط فى كل هذا أية لذة . ولذلك وجهوا أفضل محبتهم وعواطفهم لما ظنوا أنه مصدر ز يتهم وأشربتهم . يالها من عقول فاسدة تلك التى تتجه نحو الأرض وتتجرد من كل ما هو سماوى .

(٢) إنها إساءة بالغة وإهانة لله عندما نسعى وراء ملذات ومسرات الجسد ونترك ذاك الذى لا يعطينا فقط ما هو أفضل ، بل يعطينا أيضاً حتى تلك التى نسعى وراءها . فعبدة الأوثان اتخذوا سيريس Ceres آلهة لقمحهم ، و باخوس Bacchus إلهاً لخمرهم ، وهكذا ، وتخيلوا بحماقتهم أنهم يحصلون منها على قمحهم وخمرهم ، ناسين الرب إلههم ، الذى أعطاهم تلك الأرض الطيبة ، وأعطاهم « قوة لاصطناع الثروة » منها (تث ٨ : ١٨) .

(٣) يتقسى الكثيرون فى الخطية بسبب نجاحهم العالمى . عندما كانوا يعبدون الأوثان كانت لهم خيرات وفيرة ، فتوهموا أن أصنامهم هى التي أعطتها لهم ، ومن أجل هذا استمروا فى

عبادتها . هذا ما قالوه : فنبخر لملكة السماوات .... فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نر شراً (إر ٤٤ : ١٧ و١٨) .

رابعا : يجب أن يقنعوها بان تتوب وتصلح حياتها . إذ أصرت على زناها تخلى عنها الله . إذن « **فلتعزل زناها** » ع ٢ يجب أن تقتنع بأنه من الميسور لها أن تصلح حياتها ، وأن الأصنام يمكن تركها ، مهما كانت عزيزة ، وإذا ما اصلحت حياتها صارلها خير.

(ملاحظة) يجب أن تكون مهمتنا مع الخطاة أن ندفعهم للتوبة ، لا إلى اليأس .

« لكى تعزل زناها **وفسقها** » . إن تكرار ذكر هذه الخطية التى كانت ساقطة فيها « زناها وفسقها » يدل على كثرة أنواع عبادتهم الوثنية التى كانوا ساقطين فيها ، وهذه كلها يجب تركها لكى يصطلحوا مع الله .

يجب أن تعزل زناها وفسقها « عن وجهها » كأشياء قبيحة لا تحتمل أن تنظر إليها . يجب أن تقول لها « **اخرجوا** ([1]) » (اش ٣٠ : ٢٢)

يجب أن تعزل زناها وفسقها عن وجهها « **ومن بين ثدييها** » أى يجب أن لا تفعل كما تفعل الزانيات اللاتى يكشفن عن موقفهن الشرير ، وتغرين الآخرين لشرهن ، وذلك بطلاء وجوههن ، وتعرية ثدييهن وتزيينها .

وهكذا يجب ألا تزين عبادتها الوثنية بالزينات المختلفة . يجب أن لا تشغل نفسها بها محاولة ان تجذب الآخرين اليها أن يجب أن تعزل كل هذه . إن الأحرار على كل طريق خاطىء ابتعاد عن الله كالزنى . وهنا نرى ما الذى طلب منها التوبة والرجوع عنه .

١ — إن التائبين الحقيقيين يجب أن يتركوا الخطايا الظاهرة والخطايا الخفية . يجب أن يتركوا ليس فقط الزنى الظاهر للعيان ، بل أيضاً الزنى الكامن بين الثديين ، يجب أن يتركوا الخطية التى تتدحرج تحت اللسان كلقمة حلوة .

٢ — يجب أن يتجنبوا مسببات الخطية التى فى الخارج ، ويميتوا ميولها التى فى الداخل . عبدة الأوثان ساروا وراء عيونهم التى زنت وراء أصنامهم (حز ٦ : ٩ ، تث ٤ : ١٩) ، ولذلك يجب أن يعزلوها « عن وجههم » ، لئلا يجربوا بعبادتها . « لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت » (أم ٢٣ : ٣١) .

---

(١) « خرجوا من هنا » حسب الترجمة الانكليزية

لكن هذا لا يكفى ، فالفأس يجب أن توضع على « أصل الشجرة » . يجب أن تتغير ميول وشهوات القلب الفاسدة ، يجب أن نعزل من بين الثديين » ، لكى يكون المسيح وحده هوه المالك على القلب (نش ١ : ١٣)

خامسا : يجب أن يبينوا لها الخراب التام الذى لابد أن يكون نتيجة أليمة لخطيتها إن لم تتب وتصلح حياتها ع ٣ « **لئلا أجردها عريانة** » . لم تذكر هذه كحكم صدر عليها ، بل كتحذير أعطى لها ، لكى تتجنبه . « يجب أن تعزل » زناها لكى لا أجردها عريانه ، الأمر الذى يشير إلى أن الله ينظر لكى يرحم الخطاة إذا أظهروا فقط أنهم أهل لهذه الرحمة . لقد هددت هنا بأن يعاملها الله كما يعامل الزوج العادل الغيور أخيراً زوجته الزانية التى ملأت بيته فسقاً ولا تريد أن ترجع عن غيها . فانه يطردها مع أولادها من بيته ، و يتركهم يتوسلون فى الشوارع . « **ولا أرحم أولادها** » ع ٤ . سوف يهلك معها أولادها الناشئون « لأنهم أولاد زنى » ولانهم يسلكون فى « سيرتهم الباطلة التى تقلدوها من الآباء » (١ بط ١ : ١٨) .

هنا يهددون بأن يجردوا عرايا ، و بأنهم يموتون جوعاً . لقد توهموا بأن أصنامهم اعطتهم واعطتهم وماءهم صوفهم وكتانهم . لكن الله إذ يجردهم من هذه كلها يعرفهم بأنه هو الذى أعطاها لهم .

١ ــ سوف تجرد عريانة « لئلا أجردها » من كل زينتها التى افتخرت بها ، والتى تلاطف بها محبيها . أجردها « وأوقفها كيوم ولادتها » . أخرجها من العالم عريانة كما دخلته . هذا ما يحدث عند الموت (أى ١ : ٢١)

« أجردها » وهكذا أعرضها للبرد ، وأعرضها للخزى . وتلك التى « صنعت خزياً » يحق لها عدلا أن تتعرض للخزى .

كان اليوم الذى خرجوا فيه من مصر حيث لم يكونوا أفضل من عبيد أرقاء معدمين هو « يوم ولادتهم » . وقد هددهم الله هنا بأن يعيدهم إلى تلك الحالة التعسة التى وجدهم فيها . يجب أن يجردوا من كل ما لديهم مما أكسبهم نعمة واحتراماً فى أعين جيرانهم ، وسترهم من أى ازدراء أنظر حز ١٦ : ٤ و ٣٩ .

٢ ــ سوف تموت جوعاً . سوف لاتحرم من أمجادها فقط ، بل أيضاً من تعزياتها وحاجياتها الضرورية . سوف تموت جوعاً ، « تصير **كقفر وكأرض يابسة وتموت بالعطش** » . تلك التى كانت تفتخر كثيراً بخبزها ومائها ، بزيتها وأشربتها ، التى أعطاها لها محبوها ، سوف

تحتاج حتى إلى القوت الضرورى . سوف تعطى الأرض غلتها للسكان بسبب امتناع مطر السماء وإن أعطت أخذه العدو ، وهكذا يهلك أصحابها جوعاً .

يظن البعض أن هذا هو معنى العبادة : سوف أجعلها كما كانت فى البرية (القفر) ، وأقيمها كما كانت فى « أرض يابسة » ، حيث كادت (تموت بالعطش) فى بعض الأحيان .

وهذا يفسر الجزء الأول من الآية « وأوقفها كيوم ولادتها » لأنه فى البرية الموحشة تكون إسرائيل أولا كشعب . سوف يكونون فى حالة تعسة كما كان آباؤهم ، الذين سقطت جثثهم فى القفر ، ومن هذه الناحية كانوا أسوأ من البنين الذين حفظوا ليرثوا أرض الموعد . أما الآن فاننى « لا أرحم أولادها لأن امهم قد زنت »

٦ لذلك هأنذا أسيج طريقك بالشوك وأبنى حائطها حتى لاتجد مسالكها ٧ فتتبع ولا تدركهم وتفتش عليهم ولا تجدهم . فتقول اذهب وارجع إلى رجلى الأول لأنه حينئذ كان خير لى من الآن .

٨ وهى لم تعرف إنى أنا أعطيتها القمح والمسطار والزيت وكثرت لها فضة وذهباً جعلوه لبعل ٩ لذلك أرجع وآخذ قمحى فى حينه ومسطارى فى وقته وأنزع صوفى وكتانى اللذين لستر عورتها ١٠ والآن اكشف عورتها أمام عيون محبيها ولا ينقذها أحد من يدى ١١ وأبطل كل أفراحها أعيادها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها ١٢ وأخرب كرمها وتينها اللذين قالت هما أجرتى التى أعطانيها محبى وأجعلهما وعراً فيأكلهما حيوان البرية ١٣ وأعاقبها على أيام بعليم التى فيها كانت تبخر لهم وتتزين بخزائمها وحليها وتذهب وراء محبيها وتنسانى أنا يقول الرب .

يستمر الله هنا فى التهديد بما يفعله لهذا الشعب الخائن الغارق فى العبادة الوثنية ، هو ينذر لكى لايجرح ، ويهدد لكى لايضرب ، « إن لم يرجع يحدد سيفه » (مز ٧ : ١٢) . أما إن رجع فانه يرد سيفه فى غمده . لم يرجعوا لذلك جاء عليهم كل هذا . وأذ قد هددوا من قبل فهذا يبين بأن ما حل بهم كان تنفيذاً للحكم الإلهى عليهم من أجل شرهم . وهذه قد « كتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور » (١ كو ١٠ : ١١) .

أولا : سوف يرتبكون ويحمقون فى كل مشوراتهم ، ويخزون فى كل انتظاراتهم . هذا ما هددوا به فى ٦ و ٧ . ولهذا التهديد أضيف وعد بأن هذه كلها ستكون واسطة لإقناعهم بحماقتهم ، وإعادتهم إلى واجباتهم . وهكذا يخرج من الشر خير ، إشارة إلى الرحمة التى حفظها الله لهم . وإن كانت هذه هى الثمار الحسنة والنتيجة الطيبة للضيقة ، فهل تسمى النبوة ، أو الضيقة نفسها ، تهديداً أو وعداً ؟

١ ـــ سوف يقيم الله مصاعب ومتاعب فى طريقهم حتى لا تنجح مشوراتهم العامة أو أعمالهم ، وحتى لايقدروا أن يتقدموا فيها . « **هأنذا أسيج طريقك بالشوك** » بعقبات ، كالشوك ، الذى هو نتيجة الخطية واللعنة ، وهو يخدش ويجرح ويمزق و يضايق . وعندما يسيج به الطريق الذى نحن فيه فانه يعرقل تقدمنا ، و يلزمنا بالرجوع إلى الوراء .

لقد سبق أن قالت « أذهب وراء محبى » ، أتابع إرتباطاتى ومحالفاتى مع القوات الأجنبية ، وأعتمد عليها . لكن الله قال : سوف تعرقل طرقها فى هذه المشروعات ، وتعجز عن أن تتقدم فيها : « أسيج طريقك بالشوك » ، وإن لم يفلح هذا « **أبنى حائطها** (١) » . إن أمكن التغلب على الصعوبات الخفية ، ولم تنجح فى تحطيم مساعيها أعطى الله صعوبات أشد ، لأنه لابد أن يغلب متى حاكم « تزكو فى قضائك » (مز ٥١ : ٤) .

سوف يكون السياج قوياً والحائط متيناً « **حتى لاتجد مسالكها** » . وتغيير صيغة الكلام هنا من المخاطب إلى الغائب(بعد أن قال « طريقك » قال « مسالكها »)أمر عادى فى الكتاب المقدس ، سيما فى طريقة الكلام الجدية : أيها الخاطىء ألا تلاحظ أننى سوف أسيج « طريقك » ؟ وأنتم يا كل المتفرجين ألا تلاحظون نتيجة هذا ؟ أنتم تلاحظون أنها لا تقدر أن تجد مسالكها .

سوف تشبه السائح الذى لا يقتصر الأمر على أنه لايعرف أى الطرق يسلك من بين الطرق الكثيرة التى أمامه ، بل لا يجد على الإطلاق طريقاً يسلكه .

و بعد ذلك « **تتبع محبيها ولا تدركهم** » . سوف تسعى للتقرب من الأشوريين والمصريين ، وتعتمد عليهم لحمايتها . لكنها لا تنال غرضها . إما أنهم يرفضون التحالف معها ، أو لايقدمون لها أية خدمة ، سوف تكون مساعدتهم عبثاً ، و يكونون مثل « عكاز القصبة المرضوضة » (٢ مل ١٨ : ٢١) .

« **وتفتش عليهم ولاتجدهم** » . سوف تلجأ إلى أصنامها ، لكنها لا تجد فيها تلك المعونة التى كانت تمنى نفسها بها . فالآلهة التى اعتمدت عليها وتوددت لها لايمكنها أن تفعل شيئاً ، بل لا تقدر أن تقول لها كلمة لتشجيعها . والآن

(١) هذا قصاص عادل ، كالذى حل بأهل سدوم عندما « ضربوا بالعمى فعجزوا عن أن يجدوا الباب » (تك ١٩ : ١١) و بالأراميين (٢ مل ٦ : ١٨) .

---

(١) « أبنى حائطاً » حسب الترجمة الانكليزية « أحوطه بحائط » (أى أحوط الطريق) حسب ترجمة اليسوعيين .

(ملاحظة) إن أكثر الخطاة عناداً فى طرقهم الخاطئة هم أكثر من يتعرقلون فيها . « شوك وفخ فى طريق الملتوى » (أم ٢٢ : ٥) ، وهكذا « يكون الله معه ملتوياً » (مز ١٨ : ٢٦) ، « و يسلك بالخلاف مع من يسلك بالخلاف معه » (لا ٢٦ : ٢٣ و ٢٤) . وقد شكا النبى الباكى فى مراثيه من أن الله قد « سيج طرقه » (مراثى ٣ : ٧ و ٩) . كثيراً ما كانت طرق الله ، وطرق تأدية الواجب ، مسيجاً حولها بالشوك ، أما الطريق الشرير فيتخلله الشوك .

(٢) وهذا توبيخ رحيم ، ورحمة حقيقية ، كما لقى بلعام عندما وقف الملاك فى طريقه ليمنعه من أن يتقدم خطوة أخرى إذ كان ذاهباً ليلعن إسرائيل (عد ٢٢ : ٢٢) .

(ملاحظة) إن العراقيل والعقبات فى الطريق الشرير بركات عظيمة ، ويجب اعتبارها هكذا . هى سياجات الله لحفظنا من التعدى ، ولمنعنا من الانحراف عن المراعى الخضراء ، « ولتحول الإنسان عن عمله (١) » (أى ٣٣ : ١٧) ، ولتجعل طريق الخطية كرباً ، فلا نتمادى فيه ، ولتمنعنا منه ، سواء أردنا أو لم نرد . ويجب أن نشكر الله من أجل نعمته التى تصدنا عن الشر ، ومن أجل أعمال عنايته التى تمنعنا عنه .

٢ ــ وهذه الصعوبات التى يقيمها الله فى طريقهم سوف تثير فى عقولهم أفكار الرجوع عن الشر . « **فتقول** » : حيث أننى لا أقدر أن ألحق بمحبى « **أذهب وأرجع إلى رجلى الأول** » ، أى أرجع إلى الله ، وأخضع نفسى له ، وأبدى رغبتى فى أن يأخذنى إليه ثانية ، لأننى عندما كنت ملتصقة به « **كان خير لى من الآن** » . لقد استخلص **أمران** من هذا الشعب المتمرد الشرير .

(١) إعتراف عادل بحماقتهم فى ارتدادهم . لقد اضطروا الآن للاعتراف بأنهم طالما كانوا ملتصقين بإلههم كان لهم خير أفضل من حالتهم منذ تركوه .

(ملاحظة) كل الذين غيروا خدمة الله بخدمة العالم والجسد أضطروا ــ آجلا أو عاجلا ــ للاعتراف بأنهم قد غيروا إلى أردأ ، وأنهم طالما كانوا فى رفقة طيبة ، وسائرين فى طريق واجباتهم الصالحة مدققين فى صرف أوقاتهم ، وفى أقولهم وأفعالهم ، فقد كان لهم خير . لقد كانت لهم تعزيات حقيقية ، متمتعين بأنفسهم أكثر مما كانوا منذ أن ابتعدوا عن الله .

---

(١) « غرضه » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) عـزم طيب على العودة إلى تأدية واجباتهم . « أذهب وأرجع إلى رجلى الأول » . وهـى واثـقـة جداً من صلاحه ومن استعداده للصفح ، حتى أنها تحدثت دون أن تشك فى قبوله لها ثانية ، وإظهار محبته لها ، وتحسين حالتها لأقصى حد .

(مـلاحـظـة) إن المـفـشـلات الـتى نلتقى بها فى سعينا وراء الراحة من الخليقة يجب أن تـدفـعـنـا ـــ إن لم يدفعنا شىء آخرـــ أخيراً إلى الخالق الذى فيه وحده توجد الراحة . « إذا تعبت مـوآب عـلى المرتفعة وجب عليها أن تدخل إلى مقدسها » (إش ١٦ : ١٢) . وعندما ينحط الإبن الضال إلى الدرك الأسفل ولايجد حتى الخرنوب ، وهو أتفه طعام ، و يتذكر أن الخبز فى بيت أبيه يكفى و يفضل ، عندئذ يقول « أقوم وأذهب إلى أبى » (لو ١٥ : ١٧ و ١٨) .

ثـانـيـا : وسـوف تـؤخذ منهم ضرور يات الحياة لأنهم أهانوا الله بها ع ٨ و ٩ . لقد كانت أرضهم غنية بالخيرات الوفيرة . والآن أنظر هنا .

١ ـــ كـيـف أعـطـيـت إليـهـم خـيـرات وفـيـرة . لم يـعـطـهـم الله قمحاً فقط ليسد أعوازهم الـضـرور يـة ، بل أعطاهم خمراً للبهجة ، وز يتاً للز ينة . « **أعطيتها القمح والمسطار والز يت** » . بل قـد « **كثرلهـا فـضـة وذهـبـاً** » لـكـى تتاجر بها مع أمم أخرى ، وتأتى بمنتجاتها إلى بلادها ، ولكى تختزنها لذر يتها . « الذهب والفضة » يدومان أكثر من القمح والمسطار والز يت .

وأعطاهم أيضاً « **صوفاً وكتاناً لستر عورتهم** » ولز ينتهم (حز ١٦ : ١٠) .

(مـلاحـظـة) الله مـحـسـن كـريم حـتـى لمـن يـرى مـقـدماً أنهم سوف يكونون جاحدين غير شاكر ين إياه .

٢ ـــ كيف أنهم ـــ بخسة ودناءة ـــ أساءوا استعمال خيراتهم الوفيرة .

(١) لـقـد سـلـبـوا الله مجـده الـلائـق ، مـن أجل هذه الخيرات « **وهى لم تعرف أنى أنا أعـطـيتهـا القمح والمسطار** » . لم تتذكر هذا لقد أخبرهم الناموس والأنبياء مراراً وتكراراً أن كل مـا يـتـمـتـعـون به من خيرات إنما هو من جود الله وكرمه . لكن أنبياؤهم الكذبة وكهنة أصنامهم أخـبـروهم مراراً كثيرة بأنهم يستمدون القمح من الإله الفلانى ، والمسطار من الاله الآخر ، الخ ، حتى أنهم نسوا علاقتهم بالمحسن العظيم ، والتزاماتهم من نحوه . لم تفكر فى هذا . ولم تشأ أن تعترف بـه . هـذا « خـفـى عنهم بارادتهم » (٢ بط ٣ : ٥) ، فصاروا أحط من « الثور الذى يعرف قانيه والحمار الذى يعرف معلف صاحبه » (اش ١ : ٣)

« لم تعرف أنى أعطيتها » لأنها لم تشكره من أجل عطاياه ، ولم تفكر فيما يجب أن تقدمه ، ولم تعطه نصيبه منها ، بل تصرفت كأنها تجهل المحسن إليها .

(٢) وخدموا وأكرموا أعداءه بها . « **جعلوه لبعل** » . لقد زينوا تماثيلهم بالذهب والفضة (إر ١٠ : ٤) ، وزينوا انفسهم من أجل عبادة تماثيلهم ع ١٣ « **كانت تبخر لهم وتتزين بخزائمها وحليها** » . أنظر (حز ١٦ : ١٧ ـــ ١٩) . « جعلوه لبعل » أى صنعوا به البعل ، أى تمثال البعل .

(ملاحظة) انها اهانة شديدة لإله السماء أن نجعل عطاياه لنا طعاماً ووقوداً لشهواتنا ، مع أنه قد أعطاها لنا لتعيننا على خدمته وطاعته .

٣ ـــ كيف أنهم سيجردون بعدل من تلك الخيرات الوفيرة : « **لذلك أرجع** » . أغير مسلكى معهم ، وأتخذ طريقاً آخر « **وآخذ قمحى** » وسائر الخيرات التى أعطيتها إياها ، « انزعها » .

لاحظ بأن الله ينسب خيراتهم لنفسه « قمحى ، مسطارى ، صوفى ، كتانى » . لقد سبق أن نسبوها لأنفسهم « خبزى ومائى إلخ » ع ٥ ، أما الله فارادهم أن يعرفوا بانها ليست ملكا لهم . فانه فقط سمح لهم بأن يستخدموها ، وكلهم على إدارتها كوكلاء ، محتفظا بملكيتها لنفسه . هو « خبزى ومسطارى » .

يريدنا الله أن نعرف بأننا لا ننال منه فقط كل ما نتمتع به بل أنه لايزال يحتفظ بملكيته لها ، وبأنها ملك له أكثر من أن تكون ملكاً لنا ، ولذلك يجب ان تستخدم من أجله ، ويجب أن نقدم له حساباً عنها .

ولذلك فانه ينزع منهم خيراتهم الوفيرة لأنهم خسروها بعدم الاعتراف بحقه فى ملكيتها ، كما تنزع الأرض من مستأجرها إذا إدعى حق ملكيته لها .

إنه « ينزعها » لكى لا يساء استعمالها فيما بعد ، كما قيل عن الخليقة انها « ستعتق من عبودية الفساد » التى تئن تحتها (رو ٨ : ٢١) .

هذا كله ينزعه « فى وقته » فى نفس الوقت الذى كانوا يتوقعون فيه الحصول عليها ، الذى كانوا يظنون أنهم يضمنونها . سوف تتحطم السفينة فى الميناء . فى ذلك اليوم ، « يهرب الحصاد » (إش ١٧ : ١١) . سوف ينزعه عن طريق طقس غير عادى ، أو عن طريق أشخاص غير عقلاء .

(ملاحظة) إن الذين يسيئون استخدام مراحم الله لهم ـ لإهانته ـ لا يمكن أن يتوقعوا التمتع بها طويلا .

ثالثا : سوف يفقدون كل كرامتهم ، و يعرضون للازدراء ع ١٠ « أكشف عورتها » أفضح كل شرورها السرية ، وأجعلها علانية ، لخزيها . سأبين ـ بالقصاص الذى يوقع من أجلها ـ مقدار شناعتها ، وقبحها ، وفسادها . كان الأمر مختفياً ، أما الآن فسيظهر. كانوا يهونون من أمر الخطية ، أما الآن فستظهر خاطئة جداً .

هذا يتم « أمام عيون محبيها » فى أعين الأمم المجاورة التى توددت إليها لعقد محالفة معها ، والتى اعتمدت عليها . سوف تحتقرها ، وتسمى منها بسبب ضعفها ، وفقرها ، وسوء سلوكها . سوف يعتقدون أنها لم تعد أهلا لصداقتهم . أنظر كيف تم هذا (مراثى ١ : ٨) « كل مكرميها يحتقرونها لأنهم رأوا عورتها » .

أو « أمام الشمس والقمر » اللذين عبدتهما كمحبيها . أمامهما « تكشف عورتها » . قارن هذا بما ورد فى (إر٨ : ١ ، ٢) « فى ذلك الزمان يخرجون عظام ملوك يهوذا وعظام رؤسائه و يبسطونها للشمس والقمر ولكل جنود السماوات التى أحبوها والتى عبدوها » .

(ملاحظة) الخطية تسبب الخزى ، والذين يصنعون خز ياً يجب أن يتوقعوا الخزى ، أى نصيب كان يجب أن تنتظره هذه الزانية الوقحة إلا نصيب الزانية التى يشهد بها فى كل المدينة .

وعندما يأتى الله ليعاملها هكذا « **لا ينقذها أحد من يده** » ، لا الآلهة ولا الناس الذين وثقت فيهم .

(ملاحظة) إن الذين لاير يدون أن يسلموا ذواتهم ليد رحمة الله لا يمكن أن ينجوا من يد عدله .

رابعا : سوف يفقدون كل سعادتهم ، و يتركون حزانى ع ١١ « وأبطل كل افراحها » . يبدوا إذن أنهم وإن كانوا قد « زنوا عن إلههم » الا أنهم أمكنهم أن يجدوا فى قلوبهم أن « يفرحوا طرباً كالشعوب » ، الأمر الذى نهاهم الله عنه (ص ٩ : ١) .

(ملاحظة) كثيرون ممن هم واقعون تحت الإثم والغضب لايزالون مرحين جداً و يعيشون فى جزل وطرب . ولكن سواء كان قلبهم ـ فى ضحكهم ـ حز يناً أم لا ، فمن المؤكد أن عاقبة فرح كهذا حزن (أم ١٤ : ١٣) ، لأن الله يبطل كل أفراحهم » قال أحدهم : « الخطية والفرح

لا يمكن أن يجتمعا معاً طويلا » وإن لم ينزع البشر الخطية من أفراحهم نزع الله الفرح من خطيتهم » .

١ ـــ سوف يبطل الله كل فرص أفراحهم المقدسة « **أعيادها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها** » . لقد رتب الله هذه لكى تمارس بطقوس دينية ، وفي فرح و يبدو أنهم وإن كانوا قد ابتعدوا عن عبادة الله النقية ، الا أنهم استمروا فى ممارسة هذه الاعياد والمواسم ، لا فى هيكل الله فى أورشليم ، فانهم كانوا قد هجروه منذ زمن طويل ، بل بما فى دان و بيت إيل ، حيث أقيم عجلان ذهبيان ، أو فى أماكن أخرى للاجتماع معاً .

لقد مارسوها لا لتمجيد الله ، ولا بباعث التقوى الحقيقية من نحوه ، بل فقط لأنها كانت أوقات فرح وولائم ، موسيقى ورقص ، والتقاء الاصدقاء ، ولأنهم قبلوها من تقليد آبائهم . وهكذا إذ فقدوا قوة التقوى وأنكروها ، حفظوا صورتها ، إشباعاً لرغباتهم الجسدية الباطلة . وهكذا أصبحت رؤوس شهورهم وسبوتهم ـــ بهذه الكيفية ـــ إثما لا يطيقه الله (اش ١ : ١٣) . والآن لنلاحظ :

(١) فقد نسب الله هذه الأعياد لهم ودعاها « رؤوس شهورهم وسبوتهم » دون أن ينسبها لنفسه ، لأنه لم يعترف بها .

(٢) إنه « سيبطلها » .

(ملاحظة) عندما يبطل الناس حياة الطقوس ومادتها بخطاياهم فمن العدل أن يبطل الله ـــ بقصاصاته ـــ بقايا مظهرها وظلها .

٢ ـــ و يبطل مصادر أفراحهم العالمية . لقد أحبوا رؤوس الشهور والسبوت لمجرد أنها كانت فرصة للفرح ، وليس من أجل الطقوس الدينية التى كانت تمارس فيها . وهذه الاعياد كانوا قد أبطلوها منذ زمن طويل . والآن أراد الله أن ينزع عنهم كل الضروريات التى كانوا يقيمون بها هذه الأعياد ع ١٢ « **أخرب كرمها وتينها** » .

(ملاحظة) إن كان الناس يخربون كلمة الله وفرائضه ، التى يجب أن يكرم بها فى أعيادهم ، فمن العدل أن يخرب كرمهم وتينهم اللذين يمتعون بهما أنفسهم .

عندما كانوا يمتعون أنفسهم بهما كانوا ينسبون كل المجد فيها لمحبيهم « **الذين قالت هما أجرتى التى أعطانيها محبى** » . إننى مدين بهما للنجوم ولعبادتى إياها ، مدين لجيرانى ولمخالفتى معهم . ولذلك فان الله سيخربها ، يلفحها بريح عاصفة ، أو يأتى بعدو غريب فيجعل البلاد

خربة ، وتصير الكروم « وعراً » ، وتهدم السياجات ، كما هي العادة في الحروب . الكرم والتين يصيران مكشوفين ، « **فيأكلها حيوان البرية** » .

أو أشجار الثمر ستلفح بريح شرقية فتصبح عديمة الثمر كأشجار الغابة . وإذ تذبل ، ولا تصلح لأى شيء ، فان ما يبقى فيها من ثمر « يأكله حيوان البرية » .

او أن أعداءهم ، المتوحشين كحيوان البرية ، يلتهمونها . والآن :

(١) هذا يكون تدميراً لأفراحهم . فان الله « يبطل أفراحها » وكيف يتمم هذا ؟ إن إبطال رؤوس الشهور والسبوت يبطل أفراحها . فانهم يستطيعون بسهولة جداً أن يستغنوا عنها دون أن يشعروا بأية خسارة . لكننى « أخرب كرمها وتينها » ، أنزع ملذاتها الجسدية ، وعندئذ تدرك بأنها قد هلكت فعلا .

(ملاحظة) إن تخريب الكرم والتين يبطل كل الأفراح الجسدية . فالمرء يقول وقتئذ كما قال ميخا « إلهتى قد أخذ نموها فماذا لى بعد » (قض ١٨ : ٢٤) .

(٢) وهذا سيكون قصاصاً منها من أجل عبادتها الوثنية ع ١٣ « **وأعاقبها على أيام بعليم** » سأناقشها الحساب عن كل عبادة البعل الذى اتخذوه إلها لهم من أيام آبائهم إلى هذا اليوم . إننا نقرأ عن عبادتهم للبعل منذ أيام القضاة ، ولعل هذا هو المقصود بقوله « أيام نعد » . ففى الوصية الثانية ، التى تحرم العبادة الوثنية ، هدد الله بأن « يفتقد ذنوب الآباء فى الابناء » (خر ٢٠ : ٥) . وبعدل تفتقد هذه الخطية هكذا ، أكثر من أية خطية أخرى ، لأنها تدعم نفسها بنفسها بتقادم العهد . وإذ كان مكيال إسرائيل قد كمل وقتئذ فقد طلب منهم تقديم الحساب عن كل خطاياهم السالفة ، وطلب من هذا الجيل .

أو أن « أيام بعليم » هى أيام أعيادهم التى كانوا يحتفلون بها تكريماً لأوثانهم . إن أيام الفرح الخاطىء يجب أن تفتقد فى أيام الحزن . كانت تلك الأيام هى « **التى فيها كانت تبخر** » للأصنام ، ولزيادة تعظيم تلك الأعياد كانت « **تتزين بخزائمها وحليها** » حتى إذا ما بدت مكرمة ظن بأن الإكرام الذى فعلته للبعل قد ازداد .

او أنها كانت كزوجة تزين نفسها بالخزائم والحلى التى أعطاها لها زوجها ، لكى تصير محبوبة لدى محبيها الذين تتبعهم والذين تفكر فيهم دواماً .

ولكنها « **تنسانى أنا يقول الرب** » .

(مـلاحـظـة) إن خـيـانـتـنـا لله وابـتـعـادنـا عنه يعز يان لنسياننا إياه ، ونسياننا لطبيعته وصفـاتـه ، وعـلاقـتـه بنا ، والتزاماتنا من نحوه . كثيرون ممن يحتجون بضعف ذاكرتهم ، و ينسون الـروحـيـات ، يمكنهم أن يتذكروا جيداً كل شيء آخر . نعم ، إ نسيانهم مراحمهم يعزى لتفكيرهم فى الأباطيل الكاذبة .

١٤ لـكـن هـأنذا أتملقها وأذهب بها إلى البر ية وألاطفها ١٥ وأعطيها كرومها من هناك
ووادى عـخـور بـابـاً للرجـاء . وهـى تغنى هناك كأيام صباها وكيوم صعودها من أرض مصر ١٦
و يـكـون فـى ذلـك الـيـوم يـقـول الرب إنك تدعينى رجلى ولا تدعيننى بعد بعلى ١٧ وانزع أسماء
البعليم من فمها فلا تذكر أيضاً بأسمائها ١٨ وأقطع لهم عهداً فى ذلك اليوم مع حيوان البر ية وطيور
السماء ودبـابـات الأرض وأكسر الـقـوس والسيف والحرب من الارض وأجعلهم يضطجعون آمنين
١٩ وأخـطـبـك لـنفسى إلى الأبد وأخطبك لنفسى بالعدل والحق والإحسان والمراحم ٢٠ أخطبك
لـنـفـسـى بـالأمـانـة فتعرفين الرب ٢١ و يكون فى ذلك اليوم انى استجيب يقول الرب استجيب
الـسـموات وهي تستجيب الأرض ٢٢ والأرض تستجيب القمح والمسطار والز يت وهى تستجيب
يـزرعـيـل ٢٣ وأزرعها لنفسى فى الأرض وأرحم لورحامة وأقول للعمى أنت شعبى وهو يقول أنت
إلهى .

إن حـالـة إسـرائـيـل ، وقـد خـر بتهـم خـطـيتهم ، لا تبدو مظلمة جداً فى الجزء الأول من الأصـحـاح . أمـا فى الجزء الاخير فتبدو حالتهم ، وقد أدركتهم النعمة الإلهية منيرة وبهجة ، بكيفية مـفـاجئة ، فان هذه المواعيد أتت عقب التهديدات مباشرة . والعجيب جداً أن هذه المواعيد جاءت مـقـتـرنـة ، بـل مستخلصة من التصر يح بخطاياهم التى بنيت عليها التهديدات « لقد ذهبت وراء محبيها ونسيتنى أنا يقول الرب » ع ١٣ ، « **لكن هانذا أتملقها (١)** » .

لـكـن (٢) هذه كلمة استدراك تناسب المقام ، وتلتها مباشرة « هانذا أتملقها » . عندما قـيـل « ونسيتنى » أو « تنسانى » يخيل للمرء أنه كان يجب تعقبها « لذلك أنا أتركها ، وأنساها ، ولن أعد أطلبها » . كلا ، بل قال الرب « لكن (أو لذلك) هانذا اتملقها » .

(ملاحظة) إن افكار الله وطرق رحمته أبعد جداً جداً عن أفكارنا وطرقنا . ومبرراته يجدها فى نفسه لافى اى شيء فينا . نعم إن صلاحه يتخذ من رداءتنا فرصة للظهور فى أبرز صورة (اش ٥٧ : ١٧ ، ١٨) .

---

(١) « أغريها » حسب الترجمة الانكليز ية « اتكلم لقلبها » حسب هامش الكتاب .

(٢) « لذلك » حسب الترجمة الانكليز ية وترجمة اليسوعيين

« لـكـن » (لذلك) لأن إعلانات الغضب لم تؤثر فيها ، فقد أراد الله أن يجرب إن كانت عطية الرحمة تؤثر فيها .

و يـتـرجم البعض هذه الكلمة هكذا : « بعدئذ » أو « رغم ذلك » ، إنني « أتملقها » . وعلـى أي حال فـالمعنى واحد . فواضح أن القصد هو تعظيم النعمة المجانية للذين يرحمهم الله لمجرد الرحمة . أما ما وعد به اسرائيل هنا فهو:

أولا : أنهـم ولـو كـانـوا الآن بدون تعزية ، وقريبين من اليأس ، ألا أنهم سوف ينتعشون مـرة اخـرى بـالـتعزيات . والآمال ع ١٤ و١٥ هذا ما يوضحه الله هنا باشارة إلى معاملته لذلك الـشعب عندما أخرجهم من مصر ، عن طريق البرية إلى كنعان ، كما شبهت حالتهم الأسيفة في الـسبي بحالتهم في مصر» ، « يوم ولادتهم » ع ٣ . سوف يعاد تكوينهم من جديد بمعجزات المحبة والرحمة التي كونتهم أولا ، وسوف يتمتعون بنشوة الفرح كما كانوا أولا .

لـيـس مـن الهين أن نـقـول مـتـى تم هـذا في مملكة العشرة الأسباط . لكن لاشك في أنه يهدف بـصـفـة خـاصة إلى دخول اليهود والأمم في كنيسة العهد الجديد . وهويطبق ، بل لنا كل الحق أن نـعـتـقـد أنـه قـصد به أن يطبق ، على تجديد أشخاص معينين ورجوعهم إلى الله . والآن نلاحظ .

١ ــ الطرق الرحيمة التي أراد الله أن يتخذها معهم :

(١) « **أذهـب بها إلـى الـبـريـة** » كما فـعـل أولاً عـنـدما أخرجهم من مصر ، حيث علـمـهـم ، وأدخـلهم في العهد مع نفسه . سوف تصبح لهم أرض سبيهم الآن ، كما كانت البرية لهم وقتئذ ، « كور المشقة الذي اختارها فيه الله » (اش ٤٨ : ١٠) . انظر أيضاً (حز ٢٠ : ٣٥ ، ٣٦) . « وآتـي بـكـم إلى برية الشعوب وأحا كمكم هناك وجهاً لوجه كما حاكمت أباءكم في برية أرض مصر» .

لقد قال الله إنه « سيجعلهم كقفر» (او كبرية) ع ٣ ، وكان هذا في صيغة تهديد . أما الآن ، وقـد صـارت الـعبادة جزءاً من وعد بأنه يذهب بهم إلى البرية ، فالمعنى أنه بنعمته سيوجه أفكـارهـم إلى حالتهم ، سوف تكون لهم قلوب ذليلة تحت أعمال العناية الإلهية المذلة ، إذ صاروا مـسـاكين فـيـنـبغي أن يكونوا مساكين بالروح ، « و يستوفوا عن ذنوبهم » (لا ١٦ : ٤١) وعندئذ يهيأون للتكلم بالتعزية معهم .

عـنـدمـا خـلـص الله إسـرائيل من مصر ، سيرهم في البرية حتى بعد أن « يذلهم ويجربهم يحسن إليهم في آخرتهم » (تث ٨ : ٢ ، ٣ ، ١٥ ، ١٦) وهذا هونفس ما سيعمله معهم ثانية .

(ملاحظة) إن الذين يحتفظ لهم الله بالرحمة يأتي بهم إلى البرية أولاً ، إلى العزلة والوحدة ، لكى يستطيعوا ، إذ يبتعدون عن غوغاء هذا العالم ، أن يتحدثوا إليه بأكثر حرية ـــ إلى حزن النفس بالشعور بالإثم والخوف من الغضب ، الأمر الذى يجعل النفس مرتبكة وحائرة ، وبهذه الطريقة يعدهم للتعزية ـــ وفى بعض الأحيان إلى الضيقة الخارجية والمتاعب ، لكى بهذا يفتح الأذن لتسمع التأديب .

(٢) و بعد ذلك « أتملقها وألاطفها (١) » ، أقنعها « أخاطب قلبها » ، أى انه بكلمته و بروحه يوجه قلوبهم ليرجعوا إليه ، و يشجعهم على أن يعملوا هكذا . يتملقهم بمواعيد رحمته ، كما خوفهم من قبل بتهديدات غضبه ، يتكلم معهم بمحبة ، بانبيائه و بأعمال عنايته ، كما تكلم معهم قبلا بخشونة (إش ٤٠ : ١ ، ٢) .

« على يد عبيدى الأنبياء أتكلم بالتعزية مع قلبها » (حسب تفسير الكلدانيين) . هذه تشير إلى إنجيل المسيح ، وإلى تقدمات النعمة الإلهية بالإنجيل ، الأمر الذى يلاطفنا به لكى نترك خطايانا . ونلتفت إلى الله ، الذى يتحدث إلى قلب الخاطىء المقتنع بخطاياه بما يناسب حالته من جميع الوجوه ، و يتحدث بتعزيات وفيرة جداً لمن يحزنون من أجل الخطية ، و ينوحون أمام الله .

وعندما يتحدث الروح القدس إلى القلب حديثاً فعالا ، يصل إلى الضمير (وهذا هو امتياز الله وحده) ، فأى تغيير مبارك يحدث .

(ملاحظة) إن أفضل طريقة لرد النفس الضالة إلى الله هى معاملتها بالرقة واللطف . إننا بالوعد بالراحة فى المسيح ندعى لحمل نيره علينا (مت ١١ : ٢٨ ، ٢٩) . وعمل التجديد يمكن أن يقدم بالتعزيات كما يقدم بالتبكيت .

(٣) « **وأعطيها كرومها من هناك** » من نفس الزمان ومن نفس المكان حيث أحزنها و يروح بها ، وأتى بها لترى حماقتها وتذل نفسها ، من ذلك فصاعداً « يحسن إليها » . لا يتكلم معها بالتعزية فقط ، بل يحسن إليها ، و يلاشى ما سبق أن فعله ضدها .

لقد سبق أن « خرب كرمها » ع ١٢ ، أما الآن فانه يعطيها كروماً كثيرة ، كأنها سوف تسترد كرماً بدل كل كرمة خربت ، وهكذا تنال ما فقدته مع رباً . سوف لا تأخذ قمحاً لسد

(١) « أخاطب قلبها » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

أعوازها الضرورية فقط ، بل تأخذ كروماً للبهجة والفرح . هذه تدل على امتيازات وتعزيات الإنجيل المعدة لمن يخرجون من البرية مستندين على المسيح حبيبهم (نش ٨ : ٥) .

(ملاحظة) للمسيح كروم تعزيات مستعد أن يمنحها لمن يتوبون و يرجعون إليه . وهو يستطيع أن يعطي كروماً من البرية . وهذه الكروم يرحب بها أكثر من كل الكروم الأخرى ، كما يرحب المتعب بالراحة .

(٤) واعطيها « **وادى عخور بابا للرجاء** » كان وادى عخور هو الذى رجم فيه عخان (يش ٧ : ٢٤ – ٢٦) ، معناه « وادى التعب » لأن عخان كدر إسرائيل ، وهناك كدره الله . كانت هذه هى بداية الحروب فى كنعان . وكان نزع الحرام فى ذلك المكان أساساً للرجاء بأن يستمر الله يرافقهم و يكمل انتصاراتهم . وهكذا عندما يعود الله إلى شعبه بالرحمة ، و يرجعون هم إليه بتأدية واجباتهم فان هذا يكون بدء حياة سعيدة لهم . إذا ما نزعوا الحرام من وسطهم ، وإذا ما رجموا عخان الذى كدر محلتهم ، وذلك بإماتة الخطية ، صار إخضاعهم لذلك العدو الذى فيهم عربونا للانتصار على كل ملوك كنعان .

أو ، إن كانت الإشارة هنا للاسم ، كان المعنى أن التعب من أجل الخطية ، إن كان بإخلاص ، يفتح بابا للرجاء ، لأن الخطية التى تتعبنا لا يمكن أن تهلكنا .

كان وادى عخور مخصباً جداً ومثمراً . و يظن البعض أنه هو نفس وادى عين جدى ، الذى كان مشهوراً بكرومه (نش ١ : ١٤) .

لقد أعطى الله هذا الوادى لإسرائيل كعينة وعربون لكل أرض كنعان . وهكذا يعطى الله بإنجيله لكل المؤمنين تلك الهبات والنعم والتعزيات فى هذه الحياة كعربون للخيرات الأكمل التى للملكوت السماوات ، و يعطيهم رجاء أكيداً لأمتلاكها امتلاكاً كاملا فى الوقت المعين .

٢ – المفرح العظيم الذى به يتقبلون مراحم من نحوهم . « **وهى تغنى هناك كأيام صباها** » هذه تشير بوضوح إلى ترنيمة الظفر النبوية التى رنمها موسى و بنو إسرائيل عند البحر الأحمر (خر ١٥ : ١) . عندما يتخلصون من السبى يكررون تلك الترنيمة ، فتكون لهم ترنيمة جديدة ، لأنه يرنم بها فى مناسبة جديدة ، ليست أقل من المناسبة السابقة .

سبق أن قال الله إنه سيبطل كل افراحها ع ١١ . أما الآن فانه يعيدها إلى الحياة ، « **تغنى كيوم صعودها من أرض مصر** » .

(ملاحظة) عندما يكرر الله مراحمه السابقة فعلينا نحن أيضاً أن نكرر تسبحاتنا السابقة . فقد رنم في العهد الجديد . بترنيمة موسى (رؤ ١٥ : ٣) .

هذا الوعد بترنم إسرائيل يتم في إنجيل المسيح الذي يقدم الينا مادة غنية للفرح والتسبيح ، وحيثما قبل في قوته وسع القلب للفرح والتسبيح . وهذه هي تلك الأرض التي تفيض لبناً وعسلا ، التي يفتح لها وادي عخور « باباً للرجاء » . حقاً أننا نفرح في الضيقات .

ثانيا : وإن كانوا قد تمادوا في عبادة البعل ، فسوف يهجرونها الآن نهائياً ، سوف يكفون عن كل مظاهر العبادة الوثنية ، وكل ملابساتها ، و يلتصقون بالله وحده و يعبدونه بالطريقة التي رسمها ع ١٦ ، ١٧ .

(ملاحظة) إن أضمن عربون وأقوى علامة على رضا الله عن أي شعب ، هي تدخله الفعال ليفصل بينهم و بين خطاياهم المحبوبة .

كانت عبادة البعل هي الخطية المحيطة بسهولة بشعب إسرائيل ، كانت هي إثمهم ، كانت هي الخطية التي تسلطت عليهم . أما الان فان عبادة الأوثان بطلت تماماً ، وسوف لا تبقى اقل آثار لها بينهم .

١ ـــ سوف لا تذكر أصنام البعل ، لا يذكر أي واحد من تلك التي كان الشعب في أيام البعليم يصرخون لها قائلين « يابعل أجبنا يابعل أجبنا » (امل ١٨ : ٢٦) .

« **وأنزع أسماء البعليم من فمها** » حتى نفس الأسماء تنزع من أفواههم . سوف يبطل ذكرها فتنسى تماماً ، كأن أسماءهم لم تعرف قط في إسرائيل من قبل . سوف تكون مبغضة حتى لا يطيق الشعب أن يذكروها هم أنفسهم ، ولا يطيقون أن يسمعوا الآخرين يذكروها ، وهكذا يندر أن يعرف ذريتهم أنه كانت توجد أمثال هذه . سوف يخجلون جداً من محبتهم السابقة للبعل حتى أنهم يبذلون كل ما في وسعهم ليمحوا ذكرياتها . سوف يربطون أنفسهم بأقوى الربط للتمسك بحرفية تلك الوصية التي تحرم العبادة الوثنية « لا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يسمع من فمك » (خر ٢٣ : ١٣) ، كما فعل داود (مز ١٦ : ٤) . وهكذا عبر الرسول بولس عن شدة الكراهية التي بها ينبغي أن نبغض كل الشهوات الجسدية التي ينبغي أن لا تسمى بيننا (أف ٥ : ٣) .

وكيف يمكن أن يغير الكوشي جلده ؟ (إر١٣ : ٢٣) . ورداً على هذا السؤال نقول إن قوة الله تستطيع ، وهو يريد . فهو يقول « أنزع أسماء البعليم » ، كما قال أيضاً إني أقطع أسماء الأصنام من الأرض » (زك ١٣ : ٢) .

(ملاحظة) إن نعمة الله في القلب تغير لغته ، إذ تجعل ذلك الإثم الذى كان محبوباً مكروهاً . « لأني حيئنذ أحول الشعوب الى شفة نقية » (صف ٣ : ٩) .

قال أحد علماء اليهود إن هذا الوعد يخص الأمم كما يخص إسرائيل . ونحن نعلم انه تم برجوع الأمم ــ بواسطة إنجيل المسيح ــ من العبادات الوثنية التى كانوا مرتبطين بها (ا تس ١ : ٩)

٢ ــ ونفس كلمة « بعل » سوف تنبذ حتى بمعناها البرىء . لقد قال الله « **إنك تدعينني رجلي ولا تدعينني بعد بعلي** » . ومعنى الكلمتين واحد : « زوجي » ، وكلتاهما استعملتا للتعبير عن الله . (إش ٥٤ : ٥) « لأن بعلك هو صانعك » . « بعلك » أي مالك ، ونصيرك ، وحاميك .

لعل الكثيرين من الصالحين كانوا ــ بناء على هذا ــ يستخدمون كلمة « بعلي » عند عبادة إله إسرائيل وعندما كان جيرانهم الأشرار يحنون ركبهم للبعل كانوا هم يفتخرون بأن الله هو بعلهم .

وهنا يقول لهم الله : لكنكم لا تدعونني فيما بعد بعلي ، لأنني أنزع نفس أسماء البعليم .

(ملاحظة) إن ما هو برىء في حد ذاته يجب الكف عنه وعن استعماله إذا ما أسيء استخدامه وأدى إلى العبادة الوثنية ، وذلك لكي لا يعمل أى شيء يحفظ ذكريات الأصنام ، وبالأولى لكي لا يعمل أى شيء يدعم عبادتها . إن كانت دعوة الله « برجلي » تفيد نفس الغرض عندما ندعوه « بعلي » وجب اختيار الأولى بالأحرى ، لئلا إذا دعوناه « بعلي » يتذكر الآخرون بعلهم السابق .

يرى البعض أن هناك سبباً آخر في دعوة الله « رجلي » لا « بعلي » كلتا الكلمتين معناهما زوجي ، لكن « رجلي » تنم عن المحبة والرقة والدالة ، أما « بعلي » فتنم عن الأحترام والخضوع . « رجلي » تعنى الرجل الذى لي ، « بعلي » تعنى سيدي أو ربي .

في عصر الإنجيل أعلن الله لنا نفسه بكيفية تشجعنا على أن نتقدم بدالة إلى عرش النعمة ، وان نستعمل هناك حرية مقدسة متواضعة . يجب أن ندعو الله « سيدنا » ، لأنه هو

كذلك ، لكننا تعلمنا بالأحرى . أن ندعوه « أبانا » . « رجلى » تعنى الرجل الرب (تك ٤ : ١) ، وتشير إلى أنه فى عصر الإنجيل يكون زوج الكنيسة « الإنسان يسوع المسيح » ، الذى شابه إخوته ، ولذلك يجب أن يدعوه « رجلى » لا « بعلى » .

ثالثا: إنهم وإن كانوا قد جازوا ضيقات مستمرة ، كأن كل الخليقة قد اشهرت الحرب ضدهم ، فانهم سوف يتمتعون الآن بالسلام الكامل . والهدوء ، كأنهم قد عقدوا معاهدة صداقة مع كل الخليقة ع ١٨ . « **في ذلك اليوم** » عندما يكونون قد تركوا أصنامهم ووضعوا انفسهم تحت حمى الله « **أقطع لهم عهداً** » .

١ ـــ سوف يحفظون من الشر ، لا شىء يؤذيهم أو يسىء إليهم . يقول المثل اللاتينى «عندما يكون الله فى سلام معنا فانه يجعل كل الخليقة في سلام معنا إيضاً » . سوف لا تؤذيهم الخليقة الضعيفة ، كما كان الحال عندما أكل « حيوان البرية » كرومها ع ١٢ ، وعندما صارت « الوحوش الرديئة » إحدى وسائل قصاص الله عليهم (حز ١٤ : ٥١) .

لقد أدخلت ضمن هذا العهد « **طيور السماء ودبابات الأرض** » لأنها هى أيضاً إذا استخدمها الله كأداة لإتمام عدله قد تصبح ضارة جداً . لكنها سوف لا تبقى هكذا فيما بعد . بل بفضل هذا العهد ، تصبح نافعة للبشر .

(ملاحظة) إن لله سلطأنا على المخلوقات الضعيفة ، وهو يستطيع أن يدخلها فى أى عهد يريده ، و يستطيع أن يجعل « حيوان الصحراء يمجده » كما وعد (إش ٤٣ : ٢٠) ، و يشترك فى تعزيات شعبه .

وإن كانت المخلوقات الضعيفة قد أصبحت ملتزمة بخدمتنا فواجبنا فى هذا العهد أن لانسىء استعمالها بل يجب أن نخدم الله بها .

يظن البعض أن هذا الوعد قد تم فى السلطان المعجزى الذى أعطاه المسيح لتلاميذه « ليحملوا الحيات » (مر ١٦ : ١٧ و١٨) . وهو يتفق مع الوعود التى أعطيت لإسرائيل بصفة خاصة عند عودتهم من السبى (حز ٣٤ : ٢٥) « وأقطع معهم عهد سلام وأنزع الوحوش الرديئة من الأرض » ، ومع الوعود العامة لكل القديسين (أى ٥ : ٢٢ و٢٣) « ولا تخشى وحوش الأرض لأن وحوش البرية تسالمك » ، و (مز ٩١ : ١٣) « على الأسد والصل تطأ ، الشبل والثعبان تدوس » .

لكن ليس هذا هو كل ما فى الأمر فالخطر الذى يتعرض له الناس بعضهم من بعض أشد مما يلقاه من الوحوش المفترسة ، ولذلك أعطى وعد آخر هو أن الله يبطل الحروب ، ينزع السلاح من يد العدو « اكسر القوس والسيف والحرب » . هو يقدر أن يعمل هذا عندما يريد (مز ٤٦ : ٩) ، يعمله لمن ترضيه طرقهم ، لأنه يجعل أعداءهم أيضاً يسالمونهم (أم ١٦ : ٧) .

هذا يتفق أيضاً مع الوعد الذى أعطى ، وهو أنهم فى عصر الإنجيل « يطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل » (إش ٢ : ٤) .

٢ ــ ينجون من خوف الشر . فالله لا يحفظهم سالمين فقط ، بل « **يجعلهم أيضاً يضطجعون آمنين** » كالذين يعرفون أنهم تحت حماية السماء ، ولذلك لا يخشون من قوات الجحيم .

رابعا : و بالرغم من أن الله قد أعطاهم كتاب طلاق من أجل زناهم ، فانهم إن تابوا قبلهم ثانية فى العهد مع نفسه ، فى عهد زيجة ع ١٩ و ٢٠ . كان قطع الله عهداً من أجلهم مع الخليقة الضعيفة رحمة عظيمة ، لكنه لا يوازى شيئاً بجانب هذه الرحمة وهى أنه أدخلهم فى العهد مع شخصه ، وتعهد بأن يصنع معهم خيراً . لاحظ :

١ ــ طبيعة هذا العهد . أنه « عهد زيجة » ، مؤسس على الاختيار والمحبة ، ومرتبط بأقرب الصلات : « أخطبك لنفسى » ، وقد كرر هذه العبارات ثلاث مرات .

(ملاحظة) كل الذين كرسوا لله باخلاص قد خطبوا له . والله يعطيهم أقدس وأقوى ضمان بأنه يحبهم ، ويحميهم ، و يدبر لهم كل أعوازهم ، و يفعل لهم ما يفعله الزوج لزوجته ، ويميل قلوبهم ليقترنوا به ، و يقبلهم إذ يفعلون هذا . إن النفوس المؤمنة قد خطبت للمسيح (٢ كو ١١ : ٢) . وكنيسة العهد الجديد هى « العروس وامرأة الخروف » (رؤ ٢١ : ٩) . وإن لم يخطبهم الله لنفسه بقوة نعمته فانهم لن يقدروا أن يرتبطوا معه بهذه العلاقة . إن الانفصال عنه فانه يتم من جانبنا ، لأننا نحن الذين نبعد أنفسنا عن الله ، أما الاتحاد به فيتم من جانبه هو ، فانه يخطبنا لنفسه .

٢ ــ مدة هذا العهد « أخطبك لنفسى **إلى الأبد** » . إن العهد نفسه لا ينقض . فالله من جانبه لا ينقضه ، وأنتم لا تنقضونه . و بركاته أبدية . قال أحد علماء اليهود : هذا وعد لها بأن تصل إلى حياة الدهر الآتى ، وهى حياة أبدية لا نهائية .

٣ ــ كيفية قطع هذا العهد .

(١) « **بالعدل والحق** » ، أى أن الله يعاملهم باخلاص وحق وفقاً للعهد الذى قطع معهم ، لقد نقضوا العهد لكن الله بار . وكأن الله قال : إننى أجدد العهد بالحق والعدل والبر . لقد رتب الأمر بحيث يقبل الله حتى هؤلاء البنين العصاة فى أسرته ثانية ، دون أى مساس بعدله ، بل ان عدله قد وفاه وسيط هذا العهد لجده .

لكن ما هو المبرر الذى يجعل الله يقبل فى العهد معه شعباً عامله كثيراً بمثل هذه الخيانة ؟ ألا يمس هذا حكمته ؟ كلا ، يقول الله ، « سأفعل هذا بالحق (١) » . لا بتعجل ، بل بتفكير طويل . دعونى وحدى أعلل هذا ، وأبرر تصرفى .

(٢) « **بالإحسان والمراحم** » . سوف يعاملهم الله بالرقة والرحمة إذ يقطع العهد معهم . ويكون أميناً لكلمته . وكما يكون عادلا فى حفظ العهد معهم يكون رحيماً فى حفظهم فى العهد . إنهم معرضون لضعفات كثيرة . فان شدد فى ملاحظة أى خطأ يرتكبونه خسروا بركات العهد بسرعة .

ومن اجل هذا وعد بأن يكون العهد عهد نعمة . وضع برحمة جزيلة مراعاة لضعفاتهم ، بحيث لا يخرجون من العهد لأى تعد يرتكبونه ، بل باحسان أبدى يرحمهم » (إش ٥٤ : ٨) .

(٣) « بالأمانة » . سوف تتم كل مادة فى العهد بانتظام . « امين هو الله الذى دعاهم سيفعل أيضاً » (١ تس ٥ : ٢٤) ، « لن يقدر أن ينكر نفسه » (٢ تى ٢ : ١٣) .

٤ ــ الوسائط التى بها يحفظون متمسكين بالعهد من جانبهم ، وأمناء له « **فتعرفين الرب** » . ليس هذا وعداً فقط بأن يعلن الله نفسه لهم بأكثر كمال ووضوح ، بل بأنه يعطيهم قلباً ليعرفوه . سوف يعرفون المزيد عنه ، سوف يعرفونه بكيفية أخرى لم يعهدوها من قبل .

كان أساس ارتدادهم أنهم لم يعرفوا بأن الله هو المحسن إليهم ع ٨ ، فنعماً لهذا سيتعلمون من الله كلهم ليعرفوه .

(ملاحظة) يحفظ الله مسرته بنفوس البشر باعطائهم فهماً جيداً ومعرفة سليمة للأمور (عب ٨ : ١١) .

---

(١) « بالحكم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

خامساً: وإن كانت السماء قد صارت لهم نحاساً، والأرض حديداً، فان السماء الآن سوف تعطى نداها، وبهذا تعطى الأرض ثمارها ع ٢١ و٢٢. إذ خطب الله لنفسه كنيسة العهد الجديد، وكل المؤمنين عن طريقها، فكيف لايهبها مجاناً مع شخصه ومع ابنه كل شيء، كل ما هو للحياة والتقوى، كل ما يحتاجونه أو يرغبون فيه؟ «كل شيء لهم» لأنهم «للمسيح»، خطبوا له. ومع بر ملكوت الله الذى يطلبونه أولاً تزاد لهم هذه كلها (مت ٦ : ٣٣).

ومع ذلك فهذا الوعد باعطاء «القمح والمسطار» يمكن تفسيره روحياً. فان الوعد بالبركات الزمينة، ندى السماء ودسم الأرض وهذا ما وضع أولاً كما كان الحال فى بركة يعقوب (تك ٢٧ : ٢٨) إنما يرمز إلى الوعد بسكب البركات الروحية والنعم التى تخص الروح.

سبق أن هدد الله بأن ينزع منهم «القمح والمسطار» ع ٩. أما الآن فقد وعد باعادتها، وذلك بالطريق العادى حسب نظام الطبيعة. عندما كانوا تحت قصاصِ المجاعة دعوا الأرض لكى «**تستجيب القمح والمسطار**» لإعالتهم وإعالة عائلاتهم. والأرض يسرها أن تقدمها إليهم، لكنها لا يمكنها أن تعطى دون أن تأخذ، لا يمكنها أن تعطى القمح والمسطار إلا إن كانت «تغنيها سواقى الله» (مز ٦٥ : ٩). ولذلك فانها تدعو السماء من أجل المطر، المبكر والمتأخر فى حينه، تتوق إليه. وعندما يمنع المطر تتوسل من أجله وهى فى حالتها الحزينة.

أما السماوات فتقول: ليست لدينا أمطار إلا اذا فتح ميازيبه من بيده مفاتيح السحاب. ولذلك فان لم يساعدكم الرب لا نقدر أن نفعل لكم شيئاً.

لكن عندما يأخذهم الله فى العهد معه فان عجلة الطبيعة تدور فى مصلحتهم، وتفيض ينابيع الرحمة فى المجارى العادية. «**فاستجيب يقول الرب**». أو «أقبل صلواتكم» (حسب تفسير الكلدانيين). يتعطف الله و يلتفت إلى صلواتهم.

وعندئذ «استجيب السماوات»، ثم «وهى تستجيب الأرض» وتسكب عليها مطراً فى حينه، ثم «الأرض تستجيب القمح والمسطار» وتمدهما بالرطوبة، «وهى تستجيب يزرعيل» تغذى وتنعش سكان يزرعيل.

لاحظ هنا تعاون كل العناصر معاً، كحلقات فى سلسلة و واعتمادها كلها على الله أصل كل خير و بركة.

(ملاحظة) يجب أن نتوقع كل بركاتنا من الله بالطريقة العادية و بالوسائل التى رتبها . وعندما نحرم منها فى أى وقت فعلينا أن نتطلع إلى الله ، « لنرفع أعيننا إلى الجبال من حيث يأتى عوننا » (مز ١٢١ : ١ و ٢) .

لاحظ كيف أن الخليقة مستعدة لخدمة شعب الله . فالقمح يصرخ إلى الأرض ، والأرض تصرخ للسماوات ، والسماوات تصرخ إلى الله . وكل ذلك لخدمة شعب الله .

ولاحظ كيف أن الله مستعد للإغاثة « **إنى أستجيب يقول الرب أستجيب** » . وإن كان الله يسمع صراخ السماوات من أجل شعبه فبالأولى يسمع شفاعة ابنه من أجلهم ، فانه « أعلى من السماوات » (عب ٧ : ٢٦) .

ولاحظ اللذة الخاصة التى يتمتع بها من دخلوا فى العهد مع الله إذ يتلذذون بخيرات الخليقة ، وهم يرونها آتية إليهم من يد الله ، و يتتبعون كل المجارى إلى أن يصلوا إلى النبع الأصلى ، و يتذوقون محبة العهد فى المراحم العامة التى تزيدها حلاوة .

سادسا : وأنهم وإن كانوا مشتتين الآن ، ليس فقط كشمعون ولاوى اللذين انقسما فى يعقوب وتفرقا فى إسرائيل (تك ٤٩ : ٧) ، بل مشتتين فى كل أنحاء العالم ، فان الله سوف يحول هذه اللعنة إلى بركة ، كما فعل مع تلك اللعنة . إننى أروى الأرض فقط من أجلها ، بل « **أزرعها لنفسى فى الأرض** » سوف لا يكون تشتتها كتشتت التبن فى البيدر، حيث يذريه الريح ، بل كتشتت الحبوب لزيادة نموها وتكاثرها حيثما تشتت تأصلت فى الأرض إلى أسفل ، وامتدت إلى فوق لكى تثمر. « الزرع الجيد هو بنو الملكوت » (مت ١٣ : ٣٨) .

« أزرعها لنفسى » . هذه تشير إلى اسم « يزرعيل » . ومعنى هذا الإسم « مزروع من الله » أو « مزروع من أجل الله » . وكما أن الله هو الذى شتتها فانه هو الذى يزرعها ، والذى يزرعه لابد أنه ينميه . عندما دخلت المسيحية إلى كل أرجاء العالم ، وصار لها شهود فى كل مكان ، عندئذ تم هذا الوعد « أزرعها لنفسى فى الأرض » .

(ملاحظة) إن إعظم بركة لهذه الأرض هى أن الله له كنيسة فيها . ومن هنا يعزى كل المجد الذى له فيها . فهى التى زرعها لنفسه ، وهى التى ، من أجل هذا ، يحفظها لنفسه .

سابعا : وكما كانوا « لوعمى » أى ليس شعبى ، و « لورحامة » أى لا يجدون رحمة من الله ، سوف يعادون إلى محبته ، و يدخلون فى العهد مع شخصه ع ٢٣ كانوا قبلا غير مرحومين ،

بل كان يبدو أنهم منبوذون . ثم أنهم لم يكونوا شعبى ، ولم يميزوا كشعبى ، ولم يعاملوا كشعبى ، بل كانوا متروكين ليختلطوا مع الأمم .

كان هذا هو حال اليهود المرفوضين ، وكان هذا أيضاً هو حال العالم الوثنى ، بل أسوأ من هذا ، وهذا ما أشار إليه الرسول بولس (رو ٩ : ٢٤ و ٢٥) ، إذ كانوا « لا رجاء لهم و بلا إله فى العالم » . ولكن عندما أنضم إلى الكنيسة المسيحية جمهور وفير من اليهود والأمم ، لدى إيمانهم بالمسيح ، فعندئذ .

١ ــ رحم الله الذين كانوا غير مرحومين « أرحم لورحامة » . والذين ظلوا طويلا بعيدين عن الرحمة ، وكانوا أبناء غضبه ، وجدوا من الله رحمة ، وصاروا أبناء محبته . ولولم تتدخل الرحمة اللانهائية لظلوا إلى الأبد غير مرحومين .

(ملاحظة) طالما كنا فى هذا العالم فيجب أن لا نيأس من رحمة الله قط .

٢ ــ وقطع الله عهداً مع من كانوا غرباء ونزلاً .

هو يقول لهم : « أنت شعبى » الذى أعترف به وأباركه ، وأحميه وأدبر له كل أعوازه .

(ملاحظات) (١) إن ملخص سعادة المؤمنين تنحصر فى العلاقة المتبادلة بينهم و بين الله ، فانه هو لهم ، وهم له . هذا هو تاج كل المواعيد .

(٢) وهذه العلاقة مؤسسة على النعمة المجانية . نحن لم نختره بل هو الذى اختارنا (يو ١٥ : ١٥) . هو يقول أولا « هم شعبى » ، ويجعلهم راضين بأن يكونوا هكذا فى يوم قوته . و بعد ذلك يلتمسون هم منه بأن يكون لهم .

(٣) وكما أننا لا نحتاج إلى أى شىء آخر يسعدنا أن نكون شعب الله ، كذلك لا نحتاج إلى أى شىء يريحنا و يبهج قلوبنا أكثر من أن يؤكد لنا هو بأننا شعبه ، و يقول لنا ، بروحه القدوس الذى يشهد لأرواحنا ، « أنت شعبى » .

(٤) والذين قبلوا الرب الهاً لهم يجب أن يطالبوه بأن يكون هكذا لهم ، يجب أن يذهبوا إليه بالصلاة و يقولون « أنت إلهى » ، ويجب أن نكون مستعدين للاعتراف به هكذا أمام الناس .

(٥) ومما يضيف إلى بركات عهدنا مع الله أننا فيه نجد شركة القديسين ، الذين وإن كانوا كثيرين إلا أنهم واحد . لم يقل « أقول لهم أنتم شعبى » بل « أنت شعبى » . لأنه ينظر إليهم كشخص واحدا فى المسيح . وعلى هذا الأساس يتكلم إليهم و يقطع العهد معهم .

وهم أيضاً لا يقولون له « أنت إلهنا » فهم ينظرون إلى أنفسهم كجسد واحد ، و يرغبون بفكر واحد وفم واحد أن يمجدوه . ولذلك يقولون « أنت إلهى » .

أو أنها تشير بأن ذلك العهد الذى قطعه الله قديما مع شعبه إسرائيل بصفة عامة ، يقطعه الآن فى العهد الجديد مع المؤمنين كأفراد ، و يقول لكل واحد منهم ، حتى لأضعف واحد ، بنفس المسرة التى كان يجدها قديماً مع « ألوف إسرائيل » ، « أنت شعبى » ، و يدعو كل واحد ، و يشجعه على أن يقول « أنت إلهى » ، و يفتخر بهذا كما أفتخر موسى وكل إسرائيل (خر ١٥ : ٢) : هو إلهى وإله آبائى .

الاصحاح الثالث

لازال النبى يؤكد نفس الشيء لذلك الشعب غير المكترث ، و بنفس الطريقة التى اتبعها قبلا ، بالرموز أو العلامات ، ولذلك من معاملات الزوج مع زوجة زانية . فى هذا الأصحاح نجد :

(١) الصفة الردية التى اتصف بها شعب إسرائيل وقتئذ . فقد كانوا ، كما قيل عن أهل اثينا (أع ١٧ : ١٦) مملوئين من عبادة الأوثان ع ١

(٢) الحالة السيئة التى أدى إليها سببهم ، ومظاهر أخرى عن مخاصمة الله لهم ع ٢ — ٤

(٣) الاصلاح المبارك الذى يحصل لهم فى الأيام الأخيرة ع ٥

١ قال الرب لى إذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبنى إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب ٢ فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبجومر ولثك شعير ٣ وقلت لها تقعدين أياماً كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل وأنا كذلك لك ٤ لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك و بلا رئيس و بلا ذبيحة و بلا تمثال و بلا أفودو ترافيم ٥ بعد ذلك يعود بنو إسرائيل و يطلبون الرب إلههم وداود ملكهم و يفزعون إلى الرب وإلى جوده فى آخر الأيام .

يظن البعض أن هذا الأصحاح يشير إلى مملكة يهوذا ، ذات السبطين ، كما كانت الزانية التى تزوجها النبى (ص ١ : ٣) تمثل العشرة الأسباط . لأن هذه كانت سوف لا تطلق كما طلقت العشرة الأسباط ، بل تترك مهجورة فترة طويلة ، و بعد ذلك تعاد كما حصل السبطين .

لكن هؤلاء دعوا « **بنى إسرائيل** » الذى كان لا يطلق الآ على العشرة الأسباط . ولذلك فالأرجح أن هذا المثل قيل عنهم ، كما كان الحال مع المثل السابق .

« **وقال الرب** » للنبى « **إذهب أيضاً** » أى إذهب مرة أخرى .

(ملاحظة) لإقناع الخطاة بخطاياهم وإذلالهم يجب أن يعطوا فرضاً على فرض ، وأمراً على أمر، ووصية على وصية (إش ٢٨ : ١٠) . إن لم يصدقوا الآية الأولى جرب آية أخرى (خر ٤ : ٨ و٩) .

أولا : والآن نلاحظ فى هذا المثل

١ ـــ أن صلاح الله ورداءة إسرائيل يظهر كل منها الآخر بكيفية عجيبة ع ١ . فان إسرائيل تشبه « **امرأة حبيبة صاحب** » إما أنها حبيبة من تزوجها ، أو حبيبة شخص يلاطفها فقط . ومع ذلك فهى « زانية » . هكذا كان الحال بين الله وإسرائيل .

نحن نقول عن الذين يتبادلون المحبة إن المحبة لا تسقط بينهم . أما هنا فنجد قدراً وفيراً جداً من المحبة ، حتى من محبة الله نفسه ، قد فقدت ، وأريقت على شعب جاحد لا يستحقها . إن إله إسرائيل يحتفظ بقدر وفير جداً من المحبة لبنى إسرائيل ، ومع ذلك فانهم جيل شرير زان . « إبهتى أيتها السماوات من هذا واقشعرى وتحيرى جداً » (إر ٢ : ١٢) .

(١) لأن صلاح الله لم يضع حداً لرداءتهم . فالرب يحبهم ، و يعطف عليهم ، و يظهر لهم عطفه دواماً . وهم يعرفون . ولا يمكن إلا ان يعترفوا ، بأنه كان لهم صاحباً وأباً . مع ذلك فانهم « **ملتفتون إلى آلهة أخرى** » آلهة يقدرون أن يروها ، و ينجذبون بحبها .

إنهم ينظرون إليها بعين الإعجاب ، فيقدمون إليها كل عبادتهم . و بعين الإعتماد عليها ، فينظرون كل بركاتهم منها . وإن كانوا قد منعوا من أن يحنوا ركبة للأصنام فانهم نظروا إليها نظرة المحبة وكانت « لهم عيون مملوءة فسقاً روحياً » (٢ بط ٢ : ١٤) .

« **ومحبون لأقراص الزبيب** » ، لقد انضموا لعبدة الأوثان لأنهم كانوا يعيشون فى مرح و يشربون خمراً كثيراً . كانوا يعطفون على الآلهة الأخرى من أجل الخمر الكثير الذى كانوا يشربونه فى هياكلها .

إن العبادة الوثنية والشهوات الجسدية تتمشيان معاً عادة . والذين يكون إلههم بطنهم كالسكارى ، يسهل عليهم أن يتخذوا من أى شىء آخر إلهاً .

كان كهنة الله يحرم عليهم شرب الخمر عند دخولهم للخدمة ، وكان النذيرون يحرم عليهم شرب الخمر تحريما باتاً . أما عبدة الآلهة الأخرى فكانوا يشربون الخمر فى الكؤوس (عا ٦ : ٦) ولم يكن يكفيهم إلاّ « أقراص الزبيب (١) » .

---

(١) « أقراص الخمر » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) لأن رداءتهم لم تضع حداً لصلاح الله، ولم توقف تيار محبته لهم. هذا عجيب جداً من الرحمة أن تكون «حبيبة صاحب» ولو كانت «زانية». هكذا «**محبة الرب لبني إسرائيل**».

قال الله: إذهب وأحبب امرأة كهذه، وأنظر إن كنت تجد في قلبك أن تفعل هذا. كلا، فانك لا تقدر. فان قلب أي انسان لا يمكن أن يتسع لمحبة كهذه. ومع ذلك فهذه هي محبتي لبني إسرائيل. هي محبة لعديمي المحبة، هي محبة لغير المحبوبين، للذين خسروها أكيداً.

(ملاحظة) في عطف الله على الخطاة المساكين نجد أن أفكاره وطرقه أسمى جداً جداً من أفكارنا وطرقنا، وأن محبته أكثر تنازلا وعطفا من محبتنا، ومما يمكن أن تصل إليه. هنا، كما في كل شيء آخر، نجده إلهاً إنساناً (ص ١١ : ٩).

٢ ــ الطريقة التي وجدت للجمع مرة أخرى بين الله الصالح جداً و بين الشعب الشرير جداً. كان هذا هو الهدف، وحيث يهدف الله فلابد أن يتمم. و يا للدهشة والعجب أن نرى الثغرة الواسعة جداً كالبحر ترمم فعلا. إن المعجزات لا تتوقف طالما كانت الرحمة الإلهية لا تتوقف لاحظ هنا:

(١) الطريقة التي اتبعت لكي يذلهم الله ويجعلهم يعرفون أنفسهم ع ٢ «**فاشتريتها لنفسي بخمسة عشر شاقل فضة وبجومر ولثك شعير**» أي لاطفتها لكي تصطلح و وتترك طرقها الشريرة، وتعود إلى زوجها الأول، كما رأينا في (ص ٢ : ١٤) «أتملقها وألاطفها»، كما فعل اللاوي عندما سار وراء سريته، التي زنت عليه وسارت وراء رجل آخر، وطيب قلبها (قض ١٩ : ٣).

لكن الهدية التي قدمها إليها النبي لشراء محبتها تافهة جداً. على أنها كانت كافية لإعالتها وحدها، وقد قصد بها أن تكون تافهة لإذلالها، وقصاصاً لها من أجل كبريائها. عندما ذهب شمشون ليصطلح مع زوجته التي أساءت إليه «افتقدها بجدي معزى» (قض ١٥ : ١). أما النبي هنا فقد افتقد زوجته «بخمسة عشر شاقل فضة»، وهو مبلغ زهيد يجب أن تقنع بأن تعيش به فترة طويلة طالما كان زوجها يرى أنه يليق بأن يردها إلى حالتها الأولى.

وسوف تعطى أيضاً «**جومر ولثك**» بدلا من خبز الحنطة، وهذا كل ما يجب أن تنتظره إلى أن يتم إذلالها، وإلى أن تعطي برهاناً كافياً على أنها أصلحت حياتها فعلا بعد إنقضاء فترة الاختبار الكافية. يجب أن تشعر بأن زوجها لا يلاطفها من أجل أي استحقاق فيها. فان الثمن

الذى اشتراها به زهيد جداً . كان ثمن العبد ثلاثين شاقل فضة (خر ٢١ : ٣٢) . أما الثمن الذى اشتراها به فكان نصف هذا الثمن ومع ذلك يجب أن تدرك انه أكثر مما تستحقه .

لقد دفع الله مصر ثمناً وفدية لإسرائيل وقتاً ما ، لأنهم كانوا فى ذلك الوقت عزيزين ومكرمين فى عينيه (اش ٤٣ : ٣ و ٤) . أما الآن ، وقد زنوا عليه ، فانه لا يدفع إلا خمسة عشر شاقل فضة ، لأنهم فقدوا الكثير جداً من قيمتهم بسبب آثامهم .

(ملاحظة) إن الذين يقصد لهم الله كرامة وعزاء يشعرهم أولاً بحقارتهم ، و يدفعهم إلى الاعتراف مع الابن الضال « لست مستحقاً بأن ادعى لك ابناً » .

مر على إسرائيل وقت كانوا فيه « يطعمون من شحم الحنطة (١) » (مز ٨١ : ١٦) . لكنهم بطروا وفجروا ، « وأحبوا أقراص الزبيب » . ولذلك ، فلإذلالهم يجب أن يدفعوا إلى أرض سبيهم لكى يأكلوا خبز الشعير ، و يشكروا الله لأنهم استطاعوا الحصول عليه . وعلاوة على هذا فانهم يأكلونه أيضاً بالوزن والمكيال (لا ٢٦ : ٢٦) ، مع أنهم لم يتعودوا الضيق من قبل .

(ملاحظة) فى بعض الأحيان يتضح أن الفقر والعار وسيلة نافعة لدفع أشر الخطاة إلى التوبة الحقيقية .

(٢) الشروط الجديدة التى يرتضى بها الله لتجديد علاقته معهم ع ٣ « **تقعدين أياماً كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل آخر وأنا كذلك لك** » . كان يمكنه بعدل أن يعطيهم كتاب طلاق ، ويهجرهم نهائياً . لكنه أراد أن يشفق عليهم ، و يصطلح معهم . لم يشأ أن يعاملهم بالعدل المطلق ، وفق صرامة الناموس ، بل وفق كثير مراحمه . وهذا يمثل معاملات الله الرحيمة مع البشرية المتمردة التى زنت عنه . لقد اشتراهم بثمن لا يقدر، لا من أجل مجدهم ، بل من أجل مجد عدله .

والآن ، هذا هو الاقتراح المقدم لهم . عهد النعمة الذى يرتضى أن يدخل معهم فيه : يجب أن يكونوا له شعباً ، و يكون هو لهم إلهاً ، وهو نفس الاقتراح المقدم هنا لإسرائيل .

(١) يجب أن يحملوا عار إرتدادهم عنه ، و يقبلون قصاص إثمهم ويخضعوا له « تقعدين أياماً كثيرة » فى عزلة وسكون كأرملة مهجورة وحزينة .

---

(١) « أجود الحنطة » حسب الترجمة الانكليزية .

ويجب أن « يخلعوا زينتهم عنهم » ، و ينتظرون بصبر وخضوع ليعرفوا ماذا يريد الله أن يصنعه بهم ، وهل يسر بأن يقبل هذا الشعب البائس التافه ، كما فعلوا سابقاً (خر ٣٣ : ٤ و ٥) .

لقد بصق أبوهم (زوجهم) في وجههم (كما قال الله عن مريم أخت موسى) ، وضعهم تحت علامات غضبه . ولذلك يجب يخجلوا سبعة أيام (كما فعلت مريم) ويحجزوا خارج المحلة (عد ١٢ : ١٤) « إلى أن تخضع حينئذ قلوبهم الغلف » (لا ٢٦ : ٤١) .

ليقعدوا وحدهم « و ينتظروا و يتوقعوا بسكوت خلاص الرب » ، وفي نفس الوقت « ليحملوا النير » (مراثي ٣ : ٢٦ ـــ ٢٨) . يجب أن لا يتوقعوا بأن يعود الله إليهم برحمته سريعاً ، كما فعل في بعض الأحيان ، أو أن تعزياته تأتيهم رخيصة وسهلة . كلا ، فانهم ينبغي أن يحرموا منها ، و ينتظروها « أياماً كثيرة » طول مدة سبيهم وإذا ما اتت أخيراً فليعتبروا أنها معجزة من معجزات الرحمة ، وكانت تستحق الانتظار .

(ملاحظة) إن الذين يقصد لهم الله رحمة يجعلهم أولا يذلون أنفسهم و يعظمون قدر مراحمه .

(٢) ينبغي أن لا يعودوا قط ثانية لحماقتهم . هذا هو الشرط الذى يتوقف عليه أن « يتكلم الله بالسلام لشعبه ولأتقيائه » (مز ٨٥ : ٨) . وليس هنالك شرط آخر . « لا تزني » لا تعبدى الأصنام في أرض سبيك ، طالما كنت هناك مهجورة من أجل نجاستك .

(ملاحظة) لا يكفي أن نحمل نحن أنفسنا العار من أجل الخطايا التى ارتكبناها ، وأن نبرر الله عندما يؤدبنا من أجلها ، بل يجب أن نعتزم ـــ بقوة نعمة الله ـــ على أن لا نتعثر مرة أخرى ، وأن لا نزني عن الله مرة أخرى سائرين وراء العالم والجسد .

وشكراً لله ، لأنه وإن كانت شريعة العهد أن لا نخطىء قط في أية ناحية ، لكن هذا ليس شرط العهد . بل يجب أن « لا تزني » ، لا تعبدى آلهة أخرى ، « لا تكوني لرجل » آخر .

في أرض سبيهم كانوا سيغوون ليعبدوا أصنام تلك المملكة ، وتكون هذه تجربة لهم ، تجربة طويلة ، « أياماً كثيرة » . أما إن ثبت في موقفك ، وتمسكت بنزاهتك ، إن لم تبسطي يديك لإله غريب (مز ٤٤ : ٢٠) . تصيرين أهلا لعودة مراحم الله لك .

(ملاحظة) إنها لعلامة أكيدة على أن مصائبنا صارت واسطة لخير جزيل لنا ، وعربوناً لخير أوفر ، عندما تحفظنا نعمة الله من أن تغلبنا تجارب هذه المصائب .

(٣) تحت هذه الشروط يصير خالقهم بعلهم مرة أخرى . « وأنا كذلك لك » . هذا هو العهد بين الله والخطاة التائبين ، إنهم إن كانوا له ليعبدوه صار هو لهم ليخلصهم . ليتركوا كل ما ينافس الله في عرش قلوبهم ، وليكرسوا أنفسهم بالكلية له ، وله وحده ، وعندئذ يصبح هو لهم إلهاً فيه كل الكفاية . إن كنا أمناء لله ، ومثابرين في تأدية واجباتنا من نحوه ، دون أن نتركه أو نهجره قط ، يصبح هو لنا رحيماً ، دون أن يتركنا أو يهجرنا قط . ولا يمكن أن يقدم اقتراح أكثر عدالة من هذا .

ثانيا : وفي الآيتين الأخيرتين نجد تفسير المثل ، وتطبيقه على إسرائيل .

١ ـــ يجب أن يجلسوا فترة طويلة كأرملة مجردين من كل أفراحهم وأمجادهم (مراثي ٤ : ١ و٢) . « **لأن بني اسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس** » . وأمة بهذه الحالة يحق أن تدعى « أرملة » . تنقصهم بركة :

(١) الحكومة النظامية . « سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك و بلا رئيس » من بينهم . لقد تسلط عليهم ملوك ورؤساء ضايقوهم وحكموهم بقسوة . لكنهم لم يكن لديهم ملك أو رئيس يدافع عنهم ، ويحارب عنهم ، و ينصفهم ، و يعنى بسلامتهم و بخيرهم .

(ملاحظة) إن نظام الحكومات بركة عظيمة للشعب ، وحرمانه منها قصاص شديد .

(٢) العبادة الجمهورية . « **سيقعدون بلا ذبيحة وبلا تمثال** (١) ، وأيضاً « **بلا أفود وترافيم** » . وإذ اقترنت الترافيم بالأفود هنا فيظن البعض أن المقصود بهما الأوريم والتميم التي كانت تعلق في صدرة رئيس الكهنة .

والمقصود هنا أنهم في سبيهم سوف لا يحرمون فقط من كل مظهر كأمة ، بل أيضاً ككنيسة . سوف لا تكون لديهم حرية العبادة ، سواء كانت عبادة شكلية أو حقيقية » .

أو سيكونون « بلا ذبيحة و بلا مذبح » (حسب الترجمة السبعينية) . ولأنهم سيكونون بلا مذبح فسوف لا تقدم ذبيحة .

سيكونون « بلا أفود و بلا ترافيم » أي بلا كهنوت قانوني ، بلا وسائط لمعرفة فكر الله ، بلا أقوال الله الحية لاستشارتها في الظروف الغامضة ، بل يكونون في ظلام .

(١) « نصيب » حسب ترجمة اليسوعيين ، وترجمت نفس الكلمة هكذا « عمود » في (تك ٢٨ : ١٨ ، ٣١ : ٤٥ ، ٣٥ : ٢٠) .

(ملاحظة) إن الذين يحرمون من كل فرص عبادة الله الجمهور ية تكون حالتهم محزنة جداً .

كانت هذه هى حالة اليهود فى سبيهم . ولازالت هذه هى حالة اليهود المشتتين إلى اليوم . فانهم وإن كانت لديهم مجامعهم لكنهم محرومون من عبادة الهيكل . بائسة حقا هى حالة المحرومين من الشركة مع الله ، الذين ليست لديهم الفرصة لتوجيه صلواتهم إلى الله بالذبيحة والمذبح ، المحرومين من تلقى إرشاداته بالأفود والترافيم .

٢ ــ سوف يقبلون أخيراً كزوجة ع ٥ « بعد ذلك » أى على مدار الزمن ، عندما يكونون قد جازوا هذا التأديب « **يعود بنو إسرائيل** » ، أى سوف يتوبون عن عباداتهم الوثنية ، ويهجرونها ، و يلجأون إلى الله ، و يلتصقون به ، وبهذا يقبلهم . وقد أعطوا وعدين هنا كمظهرين لعودتهم ، وخطوتين نحو قبول الله لهم لدى عودتهم .

(١) طلبهم الله : « و يطلبون الرب إلههم وداود ملكهم » .

(ملاحظة) على الذين ير يدون أن يجدوا الله ، ويجدوا نعمة عنده ، أن يطلبوه ، و يبحثوا عنه ، و يسعوا للتعرف به ، و يرغبوا فى أن يصطلحوا معه ، ويحصروا فيه محبتهم ، ويجدوا لكى يقبلهم .

إن طلبهم إياه يتضمن أنهم كانوا قد فقدوه ، وأنهم ينوحون من أجل هذه الخسارة ، وأنهم مشتاقون إلى استرداد ما فقدوه .

سوف يطلبونه على أساس أنه هو « الرب إلههم » ، لأنه « ألا يسأل (أو يطلب) شعب إلهه » ؟ (إش ٨ : ١٩) .

سوف يطلبون « داود ملكهم » . وهو ليس الاّ المسيا ، ربنا يسوع المسيح ، ابن داود ، « اصل وذر ية داود » (رؤ ٢٢ : ١٦) الذى دعاه داود نفسه ربا (مز ١١٠ : ١) ، والذى اعطاه الله « كرسى داود أبيه » (لو ١ : ٣٢) .

وردت هذه العبارة فى تفسير الكلدانيين « يطلبون عبادة الرب إلههم ، و يطيعون المسيا ابن داود ملكهم » . قارن هذا بما ورد فى (إر ٣٠ : ٩ ، حز ٣٤ : ٢٣ ، ٣٧ : ٢٥) .

(ملاحظة) على الذين يريدون أن يطلبوا الله لكى يجدوه أن يلجأوا ليسوع المسيح ، وأن يطلبوه كملكهم ، وأن يكونوا شعبه المطيعين ، وأن يقسموا له يمين الطاعة والولاء .

(٢) احترامهم لله . « ويفزعون إلى الرب وإلى جوده » يظن البعض أن المقصود بجوده هنا هو « الهيكل » الذى يتطلعون إليه فى عبادتهم لله .

يقول اليهود : هنالك ثلاثة أشياء نبذها إسرائيل عنهم فى أيام رحبعام هى ملكوت السماوات وعشيرة داود ، وبيت المقدس ، وأنهم لن تنصلح أحوالهم إلاّ إذا رجعوا ، وطلبوا هذه الأشياء الثلاثة كلها ، الأمر الذى وعدوا به هنا .

سوف يطلبون ملكوت السماوات بطلبهم الرب إلههم ، ويطلبون الأسرة الملكية بطلبهم داود ملكهم ، ويطلبون الهيكل بطلبهم جود الرب .

ويظن الآخرون أن المقصود بجوده هو المسيح ، وهو نفسه المقصود بداود ملكهم . لكنها بالأحرى تشير إلى صفة الله التى أظهر أنها هى مجده ، والتى بها أعلن اسمه (خر ٣٣ : ١٨ و ١٩) .

(ملاحظة) لسنا مطالبين بأن نفزع إلى الرب وعظمته فقط ، بل إلى الرب وجوده ، أى صلاحه ، ليس عظمته فقط ، بل رحمته .

« يفزعون (١) إلى الرب وإلى جوده » يهربون إليه كمدينة الملجأ . ينبغى أن نفزع ونخاف من صلاح الله ، أى يجب أن نعجب به ، وندهش منه ، ونوقره ، ونعبده ، كما فعل موسى عندما أعلن له هذا الاسم (خر ٣٤ : ٦) .

ينبغى أن نفزع من الإساءة إلى جوده ، من أن تقابل جوده بالاساءة ، وهكذا نخسره . « عند الله مغفرة لكى يخاف منه » (مز ١٣٠ : ٤) . يجب أن نفرح بجود الله وصلاحه بارتعاب . يجب ان لا نستكبر بل أن نخاف (رو ١١ : ٢٠) .

لقد تم هذا الوعد عندما رجعت إلى الله جموع وفيرة من اليهود والأمم — عن طريق إنجيل المسيح — ودخلوا كنيسة العهد الجديد ، وعبدوا الله فى المسيح بخوف بنوى من النعمة الإلهية ، وقبلهم الله على أساس أنهم إسرائيله .

(١) « يهربون » كما يترجمها البعض

و يظن البعض أنه سوف يتم فيما بعد بتجديد اليهود وإيمانهم بالمسيح ، الذين لايزالون فى عدم الإيمان ، وذلك عندما يطلبون المسيح كداود ملكهم ، و به يخلص كل إسرائيل عندما يدخل ملء الأمم (رو ١١ : ٢٥) .

سبق أن جاء الوقت الذى فيه طلبوه لكى يقتلوه قائلين « ليس لنا ملك إلا قيصر » لكن سوف يأتى اليوم الذى يطلبونه فيه و يقيمونه رأساً عليهم ، ويخضعون أعناقهم تحت نيره . والذى وعدهم هنا بان يفعلوا هذا سوف يعينهم لكى يتمموه ، سوف يتمم هو هذا العمل العظيم بطريقته هو، وفى وقته « **فى آخر الأيام** » ، أيام المسيا . لكن يالاسف ، من ذا الذى سيعيش ليرى الله يتمم هذا ؟ لا يمكننى أن أقول إلى أى مدى نتوقع تجديداً عاماً لتلك الأمة . لكننى متأكد أننا ينبغى أن نصلى لكى يرجع اليهود و يتجددوا .

الاصحاح الرابع

لقد أرسل الأنبياء ليخبروا الشعب بتعديهم ، و يوبخوهم و ينذروهم بقصاص الله الذي يعرضون أنفسهم له بخطاياهم . وهذا ما استخدم هوشع النبي ليعمله فى هذا الأصحاح والأصحاحات التالية . هنا نراه — كنائب عن ملك الملوك — يقيم الدعوى ضد شعب إسرائيل ، و يسعى لاقناعهم بخطيتهم ، و بشقاوتهم والأخطار التى تعرضهم لها الخطية ، لعله يفلح معهم فى أن يحملهم على التوبة وإصلاح الحياة .

(١) يبين لهم أن أساس محاكمة الله معهم هو سيادة الرذيلة والنجاسة عليهم بصفة عامة ع ١ و ٢ ، وجهلهم لله ونسيانهم أياه ع ٦ و ٧ ، واهتمام الكهنة بالامور العالمية ع ٨ ، والسكر والنجاسة ع ١١ ، واستخدام السحر والعرافة ع ١٢ ، وتقديم الذبائح فى المرتفعات ع ١٣ ، والزنى ع ١٤ و ١٨ ، وتفشى الرشوة بين الحكام والولاة ع ١٨

(٢) و يبين لهم نتائج محاكمة الله . سوف يعاقبهم الله من أجل هذه الأمور ع ٩ . فالأرض كلها تصير خراباً ع ٣ ، و يقطع كل الشعب على اختلاف أنواعهم ع ٥ ، و يزول مجدهم ع ٧ ، ولا يجدون أى شبع فى الخليقة ع ١٠ و يلتحفون هم أنفسهم بالخزى والعار ع ١٩ . وأقسى التأديبات كلها ، وهو ما ذكر هنا مراراً ، انهم يتركون لأنفسهم فى خطاياهم ع ١٧ ، ولا يوبخون بعضهم بعضا ع ٤ ، والله لا يعاقبهم ع ١٤ ، بل يدعهم ينجحون ع ١٦ .

(٣) ويحذر يهوذا من السير فى خطوات إسرائيل ، فانهم رأوا أن خطواتهم قد انحدرت بهم إلى جهنم ع ١٥

١ اسمعوا قول الرب يابنى إسرائيل . إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله فى الأرض ٢ لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق . يعتنفون ودماء تلحق دماء ٣ لذلك تنوح الأرض و يذبل كل من يسكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء وأسماك البحر أيضاً تنتزع .

٤ ولكن لا يحاكم أحد ولا يعاتب أحد . وشعبك كمن يخاصم كاهناً ٥ فتعثر فى النهار و يتعثر أيضاً النبى معك فى الليل وأنا أخرب أمك .

هنا نرى

أولاً : انعقاد المحكمة ، وطلب حضورها والاصغاء إليها « اسمعوا **قول الرب يابني إسرائيل** » لأنه أرسلت إليكم كلمة الإدانة هذه ، سواء سمعتم أو رفضتم أن تسمعوا . ومن هم الذين يتوقع منهم الله ان يصغوا إليه اصغاء جيلا ، و يقبلوا منه إنذاراً جيلا الا بنو إسرائيل ، شعبه المعترفون به ؟ نعم إنهم مستعدون للاصغاء عندما يتكلم الله لهم كلام تعزية . لكن هل هم مستعدون للاصغاء عندما تكون للرب محاكمة معهم ؟ نعم ، يجب أن يصغوا إليه عندما يحتج ضدهم ، عندما يكون لديه ما يتهمهم به «**إن للرب محاكمة مع سكان الأرض** » ، سكان هذه الأرض المقدسة .

(ملاحظة) الخطية هي أعظم صانع للشر . إنها تزرع خصومة بين الله وإسرائيل . وعندما يرى الله الخطية في شعبه فانه يتصرف تصرفاً صالحاً ضدهم من أجلها . قد تحل بشعبه تصرفات خاصة لا تحل بالخطاة الآخرين . ان لديه محاكمة معهم من أجل نقضهم العهد معه ، ومن أجل ما يلحقونه به من عار ، ومن أجل جحودهم معه ومقابلة مراحمه بالأساءة . ومحاكمة الله سوف يقدم فيها الدفاع والحجج ، يدافع بأحكام فه ، قبل أن يدافع بتأديبات يده ، لكي يتبرر في كل ما يفعل ، ولكي يتبين انه لايشاء موت الخاطيء . ودفاع الله يجب الأصغاء إليه ، لأنهم لابد أن « يسمعوا » عاجلا أو آجلا .

ثانيا : قراءة عريضة الاتهام ، التي بموجبها تتهم كل الأمة بجرائم شنيعة جداً مهينة ومغيظة لله .

١ ــ لقد اتهموا بخطايا سلبية شعبية ، إذا تغافلوا عن واجبات رئيسية جوهرية جداً . « لا أمانة ولا احسان (١) » ، لا عدل ولا محبة ، وهذه هي « اثقل الناموس » كما رآها مخلصنا (مت ٢٣ : ٢٣) : « الحق والرحمة والإيمان » . لقد بدا كأن غالبية الشعب ليست لديهم فكرة على الأطلاق عما يدعى أمانة . لم يبالوا بما يفعلون ، مهما كان مناقضاً للحق وضاراً باخوتهم .

والاكثر من هذا انهم لم تكن لديهم فكرة عن الرحمة ، أو أي التزام عليهم بالاشفاق على المساكين ومساعدتهم .

ولم يكن غريباً ان ينعدم منهم الحق والرحمة ، الأمانة والاحسان ، ان انعدمت « **معرفة الله في الأرض** » . أي خير يرجى ان لم تكن هناك « معرفة الله » ؟ كان امتياز تلك الأرض ان

(١) « ليس حق ولا رحمة » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

« الله كـان معروفاً فى إسرائيل واسمه عظيم » (مز ٧٦ : ١) . وإذ لم يعرفوه فقد كان هذا الامتياز سبباً في زيادة خطيتهم شناعة .

٢ ـــ ونـشأت من هـذه خـطايا ايجابية شعبية من أبشع الخطايا ضد كل من اللوح الأول واللوح الـثانـى مـن الـوصـايـا الـعشر، لأنهـم لم يـبالوا قط بكليهما . « **لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق** » وهذه تعديات على الوصايا الثالثة والتاسعة والسادسة والثامنة والسابعة . وكانت توجد فى كـل ركـن فـى الأرض ، وبين كل طبقات الناس ع ٢ . كان الفساد عاماً . وان وجد بينهم صالحون فقد كانوا إما منزوين مختفين ضائعين بينهم ، أو انهم خبأوا أنفسهم .

بهـذه الخـطيـة كانوا « **يعتنفون** (١) » أى يتعدون كل حدود العقل والضمير والناموس الإلهـى . أو ان هـذه الخـطايا « قد فاضت » (حسب ترجمة اليسوعيين) . أو أنهم « تجبروا » (اى ٣٦ : ٩) ، كـان كـل واحـد « شـر يـراً كثيراً » (جا ٧ : ١٧) . سمحوا لنجاساتهم بأن تتخطى كـل حـدود ، هـم أنـفـسهم جمحوا ، واكتسحوا كل ما وقف أمامهم محاولا أن يصدهم عن طرقهم الخاطئة ، كما تفيض المياه متخطية شاطىء النهر .

(مـلاحـظـة) الخطية عنيفة وقوية جداً . وقوتها تتجاوز كل حد . وإذا « أمتلأ قلب بنى البشر فيهم لفعل الشر » (جا ٨ : ١١) فاذا « يمتنع عليهم عمله » (تك ١١ : ٦) .

وعـنـدمـا يـعتنفون هكذا فان « دماء تلحق دماء » أى ترتكب جرائم قتل كثيرة فى كل ارجاء البلاد ، والقتلى يلحقون القتلى على التوالى . يجرى نهر دم بينهم ، حتى الدم الملكى .

نحـو ذلك الـوقـت سفكت دماء كثيرة فى سبيل اعتلاء العرش . فأن شلوم قتل زكريا ، ومـنـحيم قـتـل شـلـوم ، وفقح قتل فقحيا ، وهوشع قتل فقح (٢ مل ١٥ : ١٠ و ١٤ و ٢٥ و ٣٠) . والأرجـح أن سـفك الدماء انتشر بين متنازعين آخرين ، وهكذا « تدنست الأرض بالدماء » (مز ١٠٦ : ٣٨) ، « وامتلأت به من الجانب إلى الجانب » (٢ مل ٢١ : ١٦) .

ثـالـثـا : إصـدار الحكم على هذه الأرض الأثيمة الدنسة ع ٣ . ستباد إباده تامة ، وتترك مـقـفـرة . لـقـد سـرت عدوى الخطية إلى كل الأرض ، « لذلك تنوح الأرض » تحت قصاص الله الـشـديد ، تجلس فى المسوح والرماد ، لأنها تجردت من كل ثروتها وجمالها . وكما قيل عن « الأودية

(٢) دونت على اللوح الأول الوصايا الخاصة بواجباتنا من نحو الله ، وعلى الثانى الوصايا الخاصة بواجباتنا نحو الأخوة .
(١) « يتخطون الحدود » حسب الترجمة الانكليزية .

انها تهتف وأيضاً تغنى » (مز ٦٥ : ١٣) عندما تمتلىء خيراً وسلاماً ، هكذا قيل هنا عنها إنها « تنوح » عندما تقفر بسبب الحروب والمجاعات لقد هدد الناموس بأن الأرض كلها تصير كبريتا وملحاً وحريقاً لا تزرع ولا تنبت ولا يطلع فيها عشب ما (تث ٢٩ : ٣٣) .

لقد نقضوا كل وصايا الله ، ولذلك هددهم الله هنا بأن ينزع منهم كل خيراتهم .

تنوح الأرض عندما « لا تنبت عشباً للبهائم أو خضرة لخدمة الانسان » (مز ١٠٤ : ١٤) . وعندئذ « **يذبل كل من يسكن فيها** » بسبب عدم توفر الطعام المناسب لتدعيم الحياة الذابلة ، و يغتاظون لعدم توفر الأطايب العادية المبهجة .

« **وحيوان البرية** » يذبل أيضاً (إر ١٤ : ٥ و٦) . بل ستشتد إبادة ثمار الأرض حتى أن « طيور السماء » لاتجد ما تلتقطه لتحتفظ بحياتها . سوف تتألم مع الانسان ، و يكون موتها أو هزالها قصاصاً لمن تعودوا أن تمتلىء موائدهم بطيور البرية .

بل إن « **اسماك البحر أيضاً تنتزع** » أو تتجمع معاً لكى تذهب أفواجاً إلى شواطىء أخرى ، فتصبح صناعة صيد السمك عديمة الجدوى . ومن هذه الناحية يصير هذا الخراب أعم مما أحدثه طوفان نوح ، لأن هذا الطوفان لم يؤثر على سمك البحر ، أما هذا الخراب فانه يؤثر .

كان من ضمن ضربات مصر ان الله « قتل اسماكهم » (مز ١٠٥ : ٢٩) . لأنه أن جفت المياه ماتت الأسماك (اش ٥٠ : ٢ ، صف ١ : ٢ و٣) .

(ملاحظة) عندما يعصى الإنسان الله فمن العدل أن تصبح الخليقة الأدنى غير نافعة للإنسان . خليق بنا أن نشكر الله من أجل صبره ورحمته لبلادنا ، لأنه بالرغم من كثرة اللعن والكذب والقتل والسرقة والفسق فلا زالت موائدنا ممتلئة باللحوم والأسماك والطيور .

رابعا : اصدار الأمر من المحكمة بأن لا يبذل أى مجهود مع المجرم المحكوم عليه بالاعدام ليتوب . مع ذكر سبب اصدار هذا الأمر .

لاحظ :

١ ــ الأمر نفسه « **ولكن لا يحاكم أحد ولا يعاتب أحد** (١) » . لا تستخدم وسيلة لارجاعهم واصلاحهم . لينبذهم أطبائهم على أساس انهم ميئوس منهم ، ولاعلاج لهم . هذه تشير

(١) « ولكن لا يخاصم أحد ولا يوبخ أحد » حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « ولكن لا يخاصم أحد غيره ولا يوبخ أحد غيره » حسب الترجمة الانكليزية .

ضمناً إلى أنه طالما يوجد هنالك أى رجاء فعلينا أن نوبخ الخطاة من أجل خطاياهم . اننا مدينون للاخر بأن نوبخهم ونقبل منهم التوبيخ .

كان من ضمن ناموس موسى (لا ١٩ : ١٧) « انذاراً تنذر (توبخ) صاحبك » . فهذا دليل المحبة الاخوية . فى بعض الأحيان يحتاج الأمر إلى التوبيخ الشديد ، لا إلى العتاب فقط بل إلى « المخاصمة » أو « المحاكمة » ، فان البشر لا يميلون إلى ترك خطاياهم بسهولة .

اما ان قال الله « لا يحاكم أحد ولا يعاقب أحد » كان هذا علامة على أن الأشخاص أو الشعب قد تركوا للهلاك .

هذا يماثل ما يفعله الله فى بعض الأحيان إذ يأمر انبياءه بأن لا يصلوا من أجلهم ، بالرغم من انهم يكونون قد صلوا من أجلهم .

لكن المعنى هو انهم قد تقسوا فى الخطية ، وتهيأوا للهلاك ، حتى أصبح الالتجاء إلى الله من اجلهم ، أو بذل أى مجهود معهم ، عديم الجدوى .

(ملاحظة) من اسوأ الأمور على أى شعب ان يصمت فيه الموبخون ، وأن ينزوى الذين يجب أن يشهدوا ضدهم ، وان يتنحوا عن هذه المهمة . أنظر (٢ أى ٢٥ : ١٦) .

٢ ـــ الأسباب الداعية لهذا الأمر . يجب أن لا يوبخ أحد الآخر :

(١) لأنهم اعتزموا الاستمرار فى الخطية . ولا يفلح معهم أى عتاب أو توبيخ . « **وشعبك كمن يخاصم كاهناً** » . لقد صاروا وقحين جدا فى الخطية ، حتى اصبحوا يهبون حتى فى وجه الكاهن نفسه إن بذل معهم اقل محاولة لصدهم ، دون مراعاة أو احترام لصفاته أو مركزه . وكيف يمكن أن يخطر بالبال أنهم يقبلون توبيخاً من انسان عادى ؟

(ملاحظة) إن الخطاة الذين يخاصمون خدامهم بسبب أمانتهم معهم هم خطاة قد تقست قلوبهم فى الخبث والشر . والذين يتمردون على توبيخات خدام الله التى رتبها الله لأصلاحهم يخسرون بركة التوبيخ الأخوى أيضاً .

لعل هذا يشير إلى شر يوآش الأخير ملك يهوذا وشعبه . فأنهم رجموا زكريا بن يهو يا داع لأنه سلم إليهم رساله من الله (٢ أى ٢٤ : ٢١) . لقد كان كاهناً . وهم خاصموه عندما كان يقوم بالخدمة بين الهيكل والمذبح و يظن البعض أن هوشع كان يشير إليه عندما قال إن « دماء تلحق دماء » ع ٢ ، دماء الذابح تلحق دماء الذبائح . كان هذا هو اقصى درجات شرهم ، ومن

هذا جاء خرابهم (مت ٢٣ : ٣٥) . ومما يدل على عدم امكان اصلاحهم انهم يخاصمون الكهنة ، ولذلك لا يجرؤ أى إنسان على توبيخهم .

(٢) لأن الله أيضاً اعتزم على الشروع فى خرابهم . « فتتعثر» لأنك لم تقبل أى توبيخ أو نصيحة . من العبث أن يفكر أى انسان فى منع هذا ، لأن الأمر قد صدر.

« تتعثر فى النهار» ، أما النبى ، النبى الكاذب الذى تملقك واضلك ، فانه **« يتعثر أيضاً معك فى الليل »** . أنت ونبيك تتعثران فى النهار وفى الليل ، تتعثران باستمرار من مصيبة إلى اخرى ظلمة الليل لاتخبئك من التعب ، ونور النهار لا يساعدك على الهرب منه . الأنبياء قادة عميان ، والشعب تابعون عميان . والاعمى يستوى عنده الليل والنهار. ولذلك فكلاهما « يسقطان فى حفرة » سواء فى الليل أو فى النهار.

تتعثر « فى النهار» عندما لا تتوقع مطلقاً أن تتعثر، إذ تظن انك فى امان تام ، « فى النهار» عندما يرى ذلك الآخرون ، فيكون ذلك خز ياً لك . والنبى يتعثر « فى الليل » إذ يكون ذلك مرعباً جداً لنفسه .

(ملاحظة) ان هلاك الذين ساعدوا على هلاك الآخر ين يكون بصفة خاصة غير محتمل .

وهل ظن الابناء ان أمهاتهم يساعدنهم عندما يكونون فى خطر السقوط ؟ عبثاً ينتظرون هذا ، لانى « انا اخرب امك » ، أى السامرة ، العاصمة الام ، المملكة كلها ، التى هى أم لكل ناحية فيها . سوف تصمت وتعجز عن المساعدة .

(ملاحظة) عندما يشترك الجميع فى الشر لايمكن أن يتوقع الا ان يشترك الجميع فى الخراب .

٦ قد هلك شعبى من عدم المعرفة . لانك انت رفضت المعرفة ارفضك انا حتى لا تكهن لى . ولأنك نسيت شريعة إلهك انسى انا أيضاً بنيك ٧ على حسبما كثروا هكذا أخطأوا إلى فأبدل كرامتهم بهوان ٨ يأكلون خطية شعبى وإلى إثمهم يحملون نفوسهم ٩ فكون كما الشعب هكذا الكاهن وأعاقبهم على طرقهم وأرد أعمالهم عليهم ١٠ فيأكلون ولا يشبعون و يزنون ولا يكثرون لانهم تركوا عبادة الرب

١١ الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب .

هنا يشرع الله فى محاكمته للكهنة وللشعب . « فالشعب » كان « كمن يخاصم الكهنة » ع ٤ عندما كان لهم كهنة يقومون بواجباتهم . لكن أغلبهم كانوا يهملون واجباتهم وهنا نجد كلمة لهؤلاء الكهنة ، وللشعب الذين أحبوا ان تبقى الأمور هكذا (إر ٥ : ٣١) . و يلاحظ هنا أن القصاص يتفق مع الخطية ، وأن الله ــ لكى يبرر تصرفاته ــ وضع القصاص أمام الخطية .

أولا : فالشعب خاصم الكهنة الذين كان يجب أن يعلموهم معرفة الله . لذلك كان عدلا انهم « هلكوا من عدم المعرفة » ع ٦ .

(ملاحظة) ان الذين يتمردون على النور لا يمكنهم أن يتوقعوا الا أن يهلكوا فى الظلام .

أو ان هذا اتهام للكهنة الذين كان يجب أن يستمروا فى ان « يعلموا الشعب علماً » (جا ١٢ : ٩) ، لكنهم لم يفعلوا ، أو فعلوا بطريقة تجعلهم كأنهم لم يفعلوا شيئاً قط ، ومن أجل هذا لم تبق « معرفة الله فى الأرض » ع ١ . ولأنه لم تكن هنالك رؤى ، أو رؤى هادفة ، لذلك « هلك الشعب » (أم ٢٩ : ١٨) .

(ملاحظة) الجهل لا يمكن بأى حال من الأحوال ان يؤدى إلى التقوى ، بل هو بالحرى يؤدى إلى الهلاك . وعدم توفر المعرفة يسبب الهلاك لأى شخص او اى شعب .

والذين هلكوا هم « شعبى » . ان علاقتهم بالله كشعبه تزيد فى شناعة خطيتهم لعدم بذل أى مجهود للحصول على معرفة ذلك الاله الذى يعيشون تحت وصاياه ، والذى دخلوا معه إلى العهد ، وتزيد أيضاً فى شناعة خطية الذين كان يجب أن يعلموهم . لقد عهد لهم الله ان يعلموا بنيه ، أما هم فلم يبالوا بهم قط ، ولم يبذلوا معهم أى مجهود .

ثانيا : وكل من الكهنة والشعب رفضوا المعرفة ، فكان عدلا ان يرفضهم الله **« لأنك انت رفضت المعرفة ارفضك أنا »** . لم يكن السبب فى ان الشعب لم يتعلموا ، وفى ان الكهنة لم يعلموا ، عدم توفر النور لديهم ، بل لأنهم أبغضوه ، ليس لأنهم لم تكن لديهم طرق للمجىء إلى معرفة الله وإلى توصيلها ، بل لأن قلبهم لم يفكر فى هذا : انهم « رفضوا » « لم يسروا بمعرفة طرق الله » (أى ٢١ : ١٤) ، ابعدوها عنهم ، وأغمضوا عيونهم عن النور . ولذلك « ارفضك انا » أيضاً . ارفض ان اعرفك ، وان اعترف بك انت لم ترد ان تعرفنى ، بل قلت لى « ابعد عنى » (اى ٢١ : ١٤) . ولذلك أقول أنا أيضاً « أذهب عنى فانى لم اعرفك قط » (مت ٧ : ٢٣) . انك **« لا تكن لى »** .

١ — الكهنة لا يعودون يقبلون امتيازات الكهنوت ، أو يستخدمون في خدمته . ولن يقبلوا فيه ثانية ، كما نجد في (حز ٤٤ : ١٣) .

(ملاحظة) ان الخدام الذين يرفضون المعرفة ، الجهلة جهلا فاضحاً ، والأشرار شراً فاضحاً ، يجب عدم الاعتراف بهم بأنهم خدام . وما يبدو بأنه لهم يجب أن يؤخذ منهم (لو ٨ : ١٨) .

٢ — والشعب لا يعودون يبقون كما كانوا « مملكة كهنة » ، وكهنوتاً ملوكياً (خر ١٩ : ٦) . إذا رفض شعب الله المعرفة خسروا كرامتهم ودنسوا تاجهم .

ثالثا : « دنسوا شريعة الله » لا اشتهوها ولاسعوا لابقائها في ذهنهم ، أو لنقل ذكرياتها لذريتهم . ولذلك فان الله — بعدل — ينساهم و ينسى ابناءهم ، ابناء الشعب : « **انسى انا أيضاً بنيك** » . لم يربوهم ، كما كان ينبغي ان يفعلوا ، في معرفة الله ومعرفة واجباتهم من نحوه . ولذلك فلن يعترف الله بهم ، كأنهم لم يدخلوا في العهد معه .

(ملاحظة) إن لم يعلم الآباء ابناءهم في حداثتهم أن « يذكروا خالقهم » ، فلا يمكنهم أن يتوقعوا أن يذكرهم خالقهم .

أو قد يكون المقصود ابناء الكهنة . وعلى هذا الأساس لا يمكن لهم أن يخلفوا أباءه في الكهنوت ، بل تحل بهم الفاقة والعوز كما هدد الله بيت عالي (اصم ٢ : ٣٦) .

رابعا : واهانو الله الأمر الذي كان مجداً لهم . ولذلك جردهم الله منه بعدل ع ٧ . كان مجداً لهم . انهم ازداد عددهم ، وأزدادوا ثروة وقوة ، وشرفاً . كانت بداية امتهم صغيرة ، ولكنهم بمرور الزمن « كثروا » ونموا جداً وازدادت اسرة الكهنة زيادة عجيبة .

لكنهم ، « **حسبما كثروا هكذا أخطأوا إلى الله** » . بقدرما ازداد عدد أفراد الأمة ازدادت الخطية التي ارتكبوها ، وازدادوا نجاسة . فان ثروتهم ، وكرامتهم ، وقوتهم جعلتهم اشد جرأة في ارتكاب الخطية .

لهذا قال الله « ابدل كرامتهم بهوان » . هل مجدهم في زيادة عددهم ؟ سينقص الله عددهم . هل ثروتهم هي مجدهم ؟ سوف يذلهم الله و يفقرهم ، وهكذا يخجلون هم أنفسهم مما كانوا يفخرون به . وكهنتهم يصيرون « محتقرين ودنئين » (ملا ٢ : ٩) :

(ملاحظة) إذا ما اهنا الله بما هو كرامة لنا ، فان هذه الكرامة تتحول إلى هوان عاجلا أو آجلا . لأن « الذين يحتقرون الله يصغرون » (١ صم ٢ : ٢٠) .

خامسا : والكهنة أكلوا « **خطية شعب الله** » . ولذلك فانهم « **يأكلون ولا يشبعون** » .

١ ــ لقد اساءوا استخدام المؤونة التي سمح بها ناموس الله للكهنة كهنة بيت هارون ، والمؤونة التي خصصوها هم انفسهم للكهنة الكذبة ، كهنة العجول ع ٨ : « اكلوا خطية (١) شعبي » ، أي ذبائح خطيتهم .

ان كان المقصود هو كهنة العجول فأن هذا يعني انهم اخذوا ما لا حق لهم فيه . فانهم قد اغتصبوا ايرادات الكهنة بالرغم من انهم لم يكونوا كهنة .

وان كان المقصود هو الكهنة القانونيين فأن هذا يعني شراهتهم في ايرادات وظيفتهم ، وفي الوقت الذي لم يبالوا فيه قط بتأدية واجبات وظيفتهم هذه . لقد اقاموا الولائم من نصيبهم في تقدمات الرب ، لكنهم نسوا العمل الذي كانوا يؤجرون عليه حسناً .

كانوا يضعون قلوبهم على آثام الشعب « **والى اثمهم يحملون نفوسهم** (٢) » ، رفعوا نفوسهم إليهم ، أي أنهم ابتهجوا عندما ارتكب الشعب الأوثام ، لكي يضطروا إلى أن يأتوا بتقدمه للتكفير عنها ، وبهذا يحصلون على نصيبهم فيها . فكلما كثرت الخطايا كثرت الذبائح . ولذلك لم تهمهم كثرة الخطايا التي ارتكبها الشعب . وبدلا من تحذير الشعب من الخطية لدى التفكير في الذبائح ، التي بينت لهم مقدار الأساءة التي تسببها الخطية لله ، طالما كانت تحتاج إلى مثل هذا التفكير، فانهم جرأوا الشعب وشجعوه على ارتكاب الخطية طالما كانت الكفارة يمكن أن تتم رخيصة هكذا . وهكذا ملأوا بطونهم على حساب خطايا الشعب ، وساعدوا على تدعيم ما كان يجب عليهم ملاشاته (أي تدعيم الخطية) .

(ملاحظة) من أشر الأمور أن نسر بخطايا الآخرين لأنها بهذه الطريقة أو غيرها قد تعود علينا بالخير.

---

(١) « ذبيحة خطية » حسب هامش الكتاب المقدس طبعة بيروت

(٢) « وضعوا قلوبهم على اثمهم » حسب الترجمة الانكليزية .

٢ ــ ولهذا يحرمهم الله من بركته على قوتهم وارزاقهم ع ١٠ « يأكلون ولا يشبعون » . بالرغم من توفر الطعام بسبب كثرة التقدمات التى يأتى بها الشعب ، فانهم « لا يشبعون » . فاما أن الطعام لا يقدم التغذية الكافية ، أو أن بطونهم الشرهة لا تكتفى به .

(ملاحظة) ان ما يقتنى بطرق غير شرعيه لا يمكن أن يستخدم بطرق مباركة . كلا ، حتى ولا يطمع فية بطريقة غير لائقة . وانه عادل عند الله ان الشهوات التى لا تشبع تبقى دائماً غير مكتفية ، وأن الذين لا يعرفون كيف يكتفون لا يمكن أبداً أن يجدوا ما يكفيهم . انظر (مى ٦ : ١٤ ، حج ١ : ٦) .

سادسا : « وعلى حسبما كثروا هكذا اخطأوا » ع ٧ ، ومن أجل هذا فبالرغم من انهم « يزنون » ، وبالرغم من اتخاذ اشر الطرق لازدياد عدد الشعب ، فانهم « لا يكثرون » بالرغم من اتخاذ نساء كثيرات وسراري كثيرات ، كما فعل سليمان ، فان عائلاتهم لن يزداد عددهم ، كما كان الحال مع سليمان .

(ملاحظة) أن الذين يرجون أن يزيدوا بطرق غير شرعية لن يجدوا الا الفشل وخيبة الأمل .

ولهذا يخذلهم الله فى كل مشروعاتهم « **لأنهم قد تركوا عبادة الرب** » كان هنالك وقت يقدمون فيه بعض الأحترام لله ، ولسلطانه عليهم ، واهتمامه بهم . لكنهم تركوا هذا كله . لم يبالوا بكلمته ، ولا بأعمال عنايته . ولا تطلعوا إليه فى كلمته أو فى أعمال عنايته . لقد تركوا الرب ولم يعودوا يبالون به . لقد ارتدوا إلى درجة مريعة جداً حتى لم يبق لديهم أى احترام لله ، بل اصبحوا « بلا اله فى العالم » .

(ملاحظة) ان الذين يتركون الاهتمام بالرب يتركون كل خير ، ولا يمكنهم ان يتوقعوا الا أن يتركهم كل خير .

سابعا : أن الشعب والكهنة قسى بعضهم بعضاً فى الخطية . ولذلك فأنهم ــ بعدل ــ سوف يشتركون فى القصاص ع ٩ . « **فيكون كما الشعب هكذا الكاهن** » .

هكذا كانوا متساوين فى الصفات فقد كانوا متساوين فى الجهل والدنس ، وفى عدم احترامهم لله ولواجباتهم ، وفى الانغماس فى العبادة الوثنية .

وهكذا سيكونون متساوين فى حالتهم . سوف ينزل الله القصاص عليهم ، فيهلك الكهنة

والشعب . والجماعة التى تحرم الشعب من طعامهم تحرم الكهنة من تقدماتهم (يوئيل ١ : ٩) . كان جزءاً من وصف الخراب العام انه قيل « كما يكون الشعب هكذا الكاهن » (إش ٢٤ : ٢) . عندما تأتى قصاصات الله لمهمة معينه لا تميز بين هذا وذاك .

(ملاحظة) على الذين يشتركون فى الخطية أن يتوقعوا بأن يشتركوا فى الخراب والهلاك .

هكذا الله « **يعاقبهم على طرقهم و يرد أعمالهم عليهم** (١) » . عندما ترتكب الخطية يتوهم الخاطىء أنها قد انتهت ولم يبق لها أى اثر، وأنه سوف لا يعود يسمع عنها . لكنه سوف يجد أنها قد رجعت ثانية ، وارتدت عليه ، إما لإذلاله أو لهلاكه .

ثامنا : وانغمسوا فى الملذات الجسدية لكى يدعموا قلوبهم ، لكنهم سوف يجدون أنها « تخلب القلب » ع ١١ . « **الزنى والخمر والسلافة (١) تخلب القلب** » . يظن البعض ان هذه العبارة مرتبطة بما قبلها ، و يقرأون الإ ثنين هكذا « تركوا عبادة الرب ليهتموا بالزنى والخمر والسلافة » . أو « لأن هذه خلبت قلبهم » . إن لذاتهم الجسدية أبعدتهم عن عبادتهم ، وقتلت كل خير فيهم .

ويمكن أن تجعلها جملة مستقلة تتضمن حقيقة عظمى يؤ يدها الاختبار كل يوم ، وهى أن السكر والنجاسة خطيتان تسلبان عقول البشر، وتضعفانهم . إنهما تسلبان الذهن والشجاعة .

١٢ شعبى يسأل خشبه وعصاه تخبره لأن روح الزنى قد أضلهم فزنوا من تحت إلههم ١٣ يذبحون على رؤوس الجبال و يبخرون على التلال تحت البلوط واللبنى والبطم لأن ظلها حسن . لذلك تزنى بناتكم وتفسق كناتكم ١٤ لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين ولا كناتكم لأنهن يفسقن . لأنهم يعتزلون مع الزانيات و يذبحون مع الناذرات الزنى وشعب لا يعقل يصرع .

١٥ إن كنت أنت زانياً يا إسرائيل فلا يأثم يهوذا ولا تأتوا إلى الجلجال ولا تصعدوا إلى بيت آون ولا تحلفوا حى هو الرب ١٦ إنه قد جمح إسرائيل كبقرة جامحة . الآن يرعاهم الرب كخروف فى مكان واسع ١٧ أفرايم موثق بالأصنام . اتركوه ١٨ متى انتهت منادمتهم زنوا زنى . أحب مجانها أحبوا الهوان ١٩ قد صرتها الريح فى أجنحتها وخجلوا من ذبائحهم .

(١) « يجعل أعمالهم ترتد عليهم » حسب الترجمة الانكليزية

(١) السلاف ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر . و يسمى الخمر سلافاً

في هذه الأعداد نرى كما رأينا سابقاً :

أولاً : الخطايا التي اتهم بها شعب إسرائيل ، والتي من أجلها كانت لله محاكمة معهم ، وهي :

١ — الزنى الروحي ، أو عبادة الأوثان . كان لهم « **روح الزنى** » أي ميل قوى لتلك الخطية . كان اتجاه قلوبهم نحو هذا الطريق . كان هذا هو « إثمهم » ع ٨ . كانوا مدفوعين إليه بقوة عنيفة جداً ، وهذا « **قد أضلهم** » .

(ملاحظة) إن ضلالة الرأى وحماقة الفكر تنشآن عادة من العواطف الفاسدة . ولأن الناس يميلون للخطية فانهم يكونون عنها فكرة حسنة .

واذ كانت لديهم مثل هذه الافكار الخاطئة عن الأصنام ، ومثل هذه الميول الفاسدة نحوها ، فلا عجب أنهم بمثل هذه العقول ومثل هذه القلوب « زنوا من تحت إلههم » ع ١٢ . كان يجب أن يخضعوا له كرأسهم وزوجهم ، وأن يكونوا تحت إرشاده وتحت أمره ، لكنهم تمردوا عليه ، ووضعوا أنفسهم تحت إرشاد وحماية الآلهة الكاذبة .

وهكذا نجد في ع ١٥ أن إسرائيل صار « **زانياً** » . كانت تصرفاتهم في عبادة أصنامهم كتصرفات الزانية ، كانوا فاجرين ووقحين .

وفي ع ١٦ نجد « **انه قد جمح إسرائيل كبقرة** » ، « **كبقرة جامحة** » كبقرة طليقة تركض بجنون في المرعى . أو إذا وضع عليها النير سارت إلى الخلف بدلاً من أن تسير إلى الأمام ، وكافحت لكي تتخلص من النير ، ولكي تخرج عن الخط المرسوم لها . ولعل هذا هو المعنى المقصود هنا .

هكذا كان بنو إسرائيل جامحين ، ومتمردين ، وعنيدين . كان قد بدأوا يحملون نير فرائض وطقوس الله . لكنهم ساروا إلى الخلف ، كبني بليعال ، ولم يحتملوا النير . وعندما أرسل إليهم الأنبياء بمناخس التوبيخ ، ليقودوهم إلى الأمام ، رفسوا المناخس وساروا إلى الخلف .

وخلاصة الأمر كله أن « **أفرايم موثق بالأصنام** » ، ع ١٧ ، مرتبط بها ارتباطا كلياً ، وعواطفه منجذبة إليها ، وقلبه متعلق بها . هنا نجد مظهرين لزناهم الروحي ، وفي كليهما أعطوا لأصنامهم المجد اللائق بالله وحده .

(١) لقد استشاروها كأنها تتكهن بالغيب ، واستخدموا فنون السحر والكهانة التي

تعلموها من كهنة أصنامهم ع ١٢ « **شعبي يسأل** (١) **خشبه** » ، أي آلهتهم الخشبية . يلجأون إليها للنصح والإرشاد عما يجب أن يفعلوه . وللاستعلام عما يعرض لهم من حوادث . « يقولون للعود (٢) أنت أبي » (ار ٢ : ٢٧) . ولو كان أباً حقاً لا يستحق تلك الكرامة . لكنها كانت إساءة شديدة لله ، الذي كان هو أباهم حقاً ، والذي كانت أقواله الحية بينهم ، ولهم الحرية لاستشارتها في أي وقت .

وكانوا يتوقعون أن « **عصاهم تخبرهم** » عن الطريق الذي يجب أن يسلكوه ، وعن مصير أمورهم في المستقبل . لعل هذه تشير إلى بعض طرق أثيمة من طرق العرافة التي كانت تستخدم بين الأمم ، والتي تعلمها اليهود منهم ، بقطعة من الخشب ، أو بعصا ، كما استخدم نبوخذ ناصر سهامه في العرافة (حز ٢١ : ٢١) .

(ملاحظة) إن الذين يتركون أقوال الله الحية ، و يلجأون إلى العالم والبشر ، إنما يستشيرون في الواقع خشبهم وعصيهم .

(٢) وقدموا ذبائح إليها كآلهة يطلبون رضاها ويخشون غضبها و يتجنبوه ع ١٣ « **يذبحون** » لها ليهدئوا خواطرها ، « **و يبخرون** » امامها لإرضائها وتملقها ، وبهذا وذاك يرجون أن يزكوا أنفسهم أمامها .

لقد سبق أن حدد الله المكان الذي يدعى اسمه فيه . أما هم فتركوه واختاروا أماكن لشعائرهم النجسة التي أرضت أهواءهم . لقد اختاروا :

[١] الأماكن المرتفعة « **على رؤس الجبال وعلى التلال** » متوهمين بغباوة أن الاماكن المرتفعة تزيد اقترابهم من السماء .

[٢] الأماكن الظليلة « **تحت البلوط واللبنى والبطم لأن ظلها حسن** » ومبهج لهم ، سيما في تلك البلاد الحارة . ولذلك ظنوا أنها ترضي آلهتهم . اولعلهم توهموا أن الظل الكثيف يساعد على التأملات الروحية ، و يبعث في النفس شيئاً من الرهبة ، ولهذا يكون لائقاً للعبادة .

(١) « يستشير » حسب الترجمة الانكليزية

(٢) « للخشب » حسب ترجمة اليسوعيين .

٢ ــ والجريمة الثانية التى اتهموا بها هى الزنى الجسدى « **زنوا زنى** (١) » ع ١٨ . احترفوا حرفة النجاسة . لم تكن مجرد خطية ترتكب بين آونة وأخرى ، بل مارسوها بكيفية مستمرة ، كما هو حال الكثيرين الذين « لهم عيون مملوءة فسقاً لا تكف عن هذه الخطية » (٢ بط ٢ : ١٤) . والآن يتحدث الله عن هذه الخطية البغيضة ، خطية النجاسة والفجور، التى وجدت فى اسرائيل ، على أساس أنها .

(١) ملازمة لعبادتهم الوثنية . فان آلهتهم الكاذبة دفعتهم إليها . لأن إبليس الذى عبدوه ، مع أنه روح ، إلا أنه روح نجس . فالذين عبدوا الأصنام كانوا « **يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنى** » ع ١٤ . لأنهم « إذ لم يبقوا الله فى معرفتهم بل أهانوه ، لذلك « أسلمهم الله أيضاً إلى النجاسة » التى ارتكبوها « لإهانة أجسادهم » (روا : ٢٤ و ٢٨) .

(٢) قصاص لهم من أجل عبادتهم الوثنية . فالرجال الذين عبدوا الأصنام كانوا « يعتزلون مع الزانيات » اللاتى يحضرن تلك العبادة ، كما كان الحال فى عبادة « بعل فغور » (عد ٢٥ : ١ و ٢) . وقصاصاً لهم على هذا أسلم الله نساءهم و بناتهم لهذه الشهوات الدنسة : « **لذلك تزنى بناتكم وتفسق كناتكم** » ع ١٣ ، الأمر الذى لم يكن ممكناً إلا أن يسبب الحزن الشديد والعار للأزواج والآباء ، لأن عديمى الطهارة يشتهون أن تكون زوجاتهم و بناتهم طاهرات لكنهم كان يمكنهم أن يروا خطيتهم فى قصاصهم كما عوقب داود بسبب خطية الزنى بتدنيس ابنه لسراريه (٢ صم ١٢ : ١١) .

(ملاحظة) عندما يرى الناس أن الآخرين الذين ارتكبوا نفس خطاياهم قد سببت لهم هذه الخطايا أحزاناً ونكبات فيجب أن يعترفوا بأن الله بار وعادل .

٣ ــ تعويج الحق ع ١٨ « **أحب مجانها** (١) **أحبوا الهوان** (٢) » ، أى أحبوا الرشوة ، وكان يسمع من أفواههم باستمرار هذا القول . أعط ، أعط . لقد أحبوا « الربح القبيح » . كان كل من يتعامل معهم يجب أن يتوقع بأن يسأل : ماذا تعطى ؟ ومع أنهم كرؤساء كانوا ملتزمين بحكم مراكزهم أن يصنعوا عدلا ، لكن لم يكن ممكناً أن ينال منهم أحد عدلا دون دفع الأجرة . وإذا ما أخذوا أجرة كان محتماً أن يظلموا .

---

(١) « زنوا بصفة مستمرة » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) « رؤساؤها » حسب هامش ترجمة بيروت ، وحسب الترجمة الانكليزية

(٢) والذين هم تروس لهم أحبوا لهم الهوان» حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « رؤساؤها ــ بخزى ــ أحبوا أن يقولوا : « أعط » حسب الترجمة الانكليزية .

(ملاحظة) إن محبة المال تقوض أركان العدل ، وهو أصل كل الشرور . وهو عار على الرؤساء ، الذين يجب أن يكونوا « خائفين الله مبغضين الرشوة » (خر ١٨ : ٢١) ، فوق كل البشر ، أن يحبوا الرشوة .

ولعل هذه قصد بها أن تكون جزءاً من التهمة التى اتهموا بها « **متى انتهت منادمتهم** (١) » . « شرابهم مر ، وأنه موت متى ، أجرى العدل بحق صارع منعشاً ، كالشراب للعطشان . أما إذا تعوج وأخذ الرؤساء الرشوة لتبرئة الأثيم ، أو للحكم على البرىء ، صار الشراب مراً ، وتحول الحق افسنتيناً » (عا ٥ : ٧) .

أو لعلها تشير بصفة عامة إلى الأخلاق المخرفة لكل الأمة . لقد فقدوا كل حياتهم وروحهم ، وصاروا كريهين لله كما أن الشراب المر كريه لنفوسنا . أنظر (تث ٣١ : ٣٢ و ٣٣) .

ثانيا : علامات غضب الله عليهم من أجل خطاياهم .

١ — إن زوجاتهم و بناتهم لا يعاقبن من أجل الإساءة والعار والإهانات التى سببنها لعائلاتهم ع ١٤ « **لا أعاقب بناتكم** » وإذ لا يعاقبن من أجل خطيتهن فانهن يتمادين فيها .

(ملاحظة) إن إعفاء خاطىء من القصاص قد يكون قصاصاً لغيره أو « أعاقبهن » كما أعاقبكم ، لأنكم يجب أن تعترفوا كما اعترف يهوذا بخصوص كنته وقال « هى ابرّ منى » (تك ٣٨ : ٢٦) .

٢ — وهم أنفسهم سوف ينجحون لوقت ما ، لكن نجاحهم سوف يساعد على هلاكهم . وقد ذكرت هذه كعلامة على غضب الله ع ١٦ « **يرعاهم الرب كخروف فى مكان واسع** » . سوف يكون لهم مرعى دسم ، واسع ، يجدون فيه غذاء كاملا ، واحسن غذاء . لكنه فقط يكون لكى يعدهم للذبح ، كما يطعم الخروف ليعد للذبح . إن كانوا « يسمنون و يرفسون » (تث ٣٢ : ١٥) . فانهم إنما يسمنون للذبح .

لكن أخرين يرعونهم « فى مكان واسع » حقاً ، لكنه مكشوف ، ولا يتوفر فيه الغذاء الكافى . أما « راعى اسرائيل » فانه يطرد هؤلاء وأولئك من مراعيه ، ومن حمايته .

---

(١) « قد انفردوا بولمتهم » حسب ترجمة اليسوعين ، أو « شرابهم مر » حسب الترجمة الانكليزية .

٣ ـــ ولا تستخدم معهم أية وسائل تأتى بهم إلى التوبة ع ١٧ « **أفرايم موثق بالأصنام** » أى مولع بحبها ، وملازم لها ، ولذلك « اتركوه » ، « لا تدعو أحداً يعاقبه » ع ٤ . ليسلم لشهوات قلبه ، وليسر بحسب مشورة نفسه . لقد أردنا أن نداو يه فلم يرد ، لذلك « اتركوه » (إر ٥١ : ٩) « انظروا ماذا تكون آخرتهم » (تث ٣٢ : ٢٠) .

(ملاحظة) إنه لقصاص محزن ومروع لأى إنسان أن يترك فى الخطية . وأن يقول الله عن أى خاطىء : إنه موثق بأصنامه بالعالم و بالجسد ، هو متكبر، أو طماع ، أو دنس ، ولا شفاء له ، هو سكير أو زان ، ولا علاج له « اتركوه » ، أيها الضمير اتركه ، أيها الخدام اتركوه ، أيتها العناية الإلهية تخلى عنه . لا تدعوا شيئاً يوقظه إلى أن توقظه لهب الجحيم . عندما يعتزم الأب أن يحرم ابنه المتمرد من الميراث فانه لا يعود يؤدبه . والذين لا ينزعجون من خطيتهم يهلكون من أجلها .

٤ ـــ و يكتسحهم هلاك سريع مخزع ١٩ « **قد صرتها الريح فى أجنحتها** » لكى تحملها إلى السبى بغتة ، و بعنف ، و بكيفية لا فكاك منها . سوف يجرفهم كما بالعاصفة (١) وحيئذ « **يخجلون من ذبائحهم** » ، يخجلون من خطيتهم التى يرتكبونها بتقديم ذبائح للاصنام ، يخجلون من حماقتهم لتقديم مثل هذه التضحيات من أجل آلهة تعجز عن مساعدتهم ، وبهذا يجعلون الله عدوهم ، وهو القدير الذى يستطيع أن يبطش بهم .

(ملاحظة) هنالك ذبائح سوف يخجل منها الناس يوماً ما ، فالذين ضحوا بأوقاتهم ، وقوتهم ، وكرامتهم ، وكل بركاتهم ، للعالم وللجسد ، سوف يخجلون قر يباً من هذه التضحيات . نعم ، والذين يأتون إلى رحمة الله بذبائح عمياء ، أو عرجاء ، أو هز يلة ، سوف يخجلون منها أيضاً .

ثالثا : التحذير الذى أعطى ليهوذا لكى لا يخطئون على مثال تعديات إسرائيل . قيل فى آخر ع ١٤ « **وشعب لا يعقل يصرع** (١) » لابد أن يتعثر أولئك الذين لا يعرفون كيف يتجنبون أو يتخطون العثرات التى يلتقون بها « إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) ، و بصفة خاصة السبطان « **إن كنت أنت زانياً يا إسرائيل فلا يأثم يهوذا** » . إن كانت إسرائيل قد سقطت فى العبادة الوثنية فلتحذر يهوذا من أن تسرى إليها العدوى .

١ ـــ كان هذا هو تحذيراً ضرور ياً جداً . كان رجال إسرائيل أخوة وجيراناً قر يبين لرجال يهوذا . وكان إسرائيل أكثر عدداً ، وكانوا فى ذلك الوقت فى حالة رخاء . ولذلك كان هنالك خطر لئلا يتعلم يهوذا طرقهم و يقعوا فى الفخ .

---

(١) مز ٥٨ : ٩ حسب الترجمة الانكليز ية وترجمة اليسوعيين .

(١) « يسقط » أو « يتعثر » حسب الترجمة الانكليز ية ، « فالشعب الذى لا يفطن بتهور » حسب ترجمة اليسوعيين .

(ملاحظة) كلما ازددنا اقتراباً من عدوى الخطية ازددنا حاجة إلى شدة الحذر.

٢ ــ وكان تحذيراً معقولاً . « إن كنت زانياً يا إسرائيل » فيجب أن لا يكون يهوذا هكذا ، لأن يهوذا كانت له وسائط للمعرفة أكثر من اسرائيل ، كان له الهيكل والكهنوت ، وملك من بيت داود . ومن يهوذا كان ينبغي أن يأتي شيلون (تك ٤٩ : ١٠) . وكان الله قد احتفظ ببركات عظيمة ليهوذا . لذلك « فلا يأثم يهوذا » ، لأنه ينتظر منهم أكثر مما ينتظر من أسرائيل . إذ عثروا فلابد أن يقدموا حساباً عسيراً ، إذا عثروا نظر الله إلى عثرتهم بغضب أشد من اسرائيل .

« إن كنت زانياً يا اسرائيل فلا يأثم يهوذا » لأنهم إذا أثموا لم يبق لله شعب يشهدون له في العالم . هنا يحذر الله يهوذا كما حذر المسيح الاثنى عشر عندما « رجع كثيرون إلى الوراء » إذ قال لهم « العلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا » ؟ (يو ٦ : ٦٧) .

(ملاحظة) على الذين حفظوا استقامتهم إلى الآن أن يستمروا متمسكين بها لهذا السبب ، حتى في أوقات الارتداد العام .

ولكي يحفظ يهوذا من التعثر كما عثر اسرائيل نجدهم يعطون قاعدتين :

(١) لكي لا يسقطوا في العبادة الوثنية ينبغي أن يبتعدوا عن أماكن تلك العبادة « **لا تأتوا إلى الجلجال** » لأن « كل شرهم في الجلجال » (ص ٩ : ١٥ ، ١٢ : ١١) . هناك «أكثروا الذنوب » (عا ٤ : ٤) . ولعلهم كانوا يوقرون ذلك المكان لأن الله قال ليشوع عنه « المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدس » (يش ٥ : ١٥) . من أجل هذا منعوا من الذهاب إلى الجلجال (٥ : ٥) .

ولأجل نفس السبب قيل لهم « **ولا تصعدوا إلى بيت آون** (١) » أي بيت البطل . ولهذا لم يقل « لا تصعدوا إلى بيت إيل » أي بيت الله ، بل إلى بيت آون أي بيت البطل .

(ملاحظة) على الذين يريدون أن يحفظوا من الخطية ، ومن السقوط في قبضة الشيطان أن يبذلون كل ما في وسعهم ليتجنبوا مسببات الخطية ، وأن لا يأتوا إلى أرض الشيطان .

---

(١) « بيت آون » أي بيت البطل ، وهو بيت إيل . أنظر حاشية ترجمة بيروت .

(٢) ولكى لا يسقطوا فى العبادة الوثنية يجب أن يحترسوا من خطية التجديف على اسم الله « **ولا تحلفوا حى هو الرب** » . كانوا قد أمروا بأن يحلفوا « حى هو الرب بالحق والعدل والبر» (إر ٤ : ٢) ولذلك فان الذى حرم عليهم هنا هو الحلف بالكذب والظلم ، الحلف بتعجل واستخفاف ، الحلف بالكذب والخداع ، أو الحلف بالرب والصنم (صف ١ : ٥) .

(ملاحظة) على الذين يريدون أن يكونوا ثابتين فى اتصالهم بالله أن يرهبوا الله و يوقروه ، وأن يتحدثوا عنه دواماً بوقار واتزان ، لأن الذين يهزأون بالله الحق يمكنهم أن يؤلهوا أى شىء .

الاصحاح الخامس

ان هدف هذا الأصحاح هو نفس هدف الأصحاح السابق ، وهو كشف خطية إسرائيل ويهوذا ، وإعلان قصاص الله عليها .

(١) لقد دعوا للاصغاء إلى التهمة ع ١ و٨

(٢) واتهموا بخطايا كثيرة اتضحت شناعتها هنا :

(أولا) الاضطهاد ع ١ و ٢ (ثانيا) الزنى الروحى ع ٣ و ٤ (ثالثا) الكبرياء ع ٥ (رابعاً) الارتداد عن الله ع ٧ (خامساً) ظلم الرؤساء وارتضاء الشعب بالخضوع لهذا الظلم ع ١٠ و ١١ .

(٣) تهديدهم بغضب الله عل خطاياهم ، فانه يعرف كل شرورهم ع ٣ و يعلن غضبه عليهم من أجلها ع ٩

(أولا) سوف يتعثرون في إثمهم ع ٥ (ثانيا) ويهجرهم الله ع ٦ (ثالثا) و يبتلع نصيبهم ع ٧ (رابعاً) و يوبخهم الله و يسكب غضبه عليهم ع ٩ و ١٠ (خامساً) و يظلمون ع ١١ (سادساً) و يكون الله لهم كالعث والسوس فى القصاصات السرية ع ١٢ وكأسد فى القصاصات العلنية ع ١٤ .

(٤) توبيخ من أجل الطريق الخاطىء الذى سلكوه فى مصائبهم ع ١٣

(٥) وأشير ضمناً بأنهم أخيراً سوف يسلكون مستقيماً ع ١٥ لقد كتبت كل هذه الأمور لتعليمنا بل لانذارنا (١ كو ١٠ : ١١) .

١ أسمعوا هذا أيها الكهنة وانصتوا يابيت إسرائيل وأصغوا يا بيت الملك لأن عليكم القضاء إذ صرتم فخاً فى مصفاة وشبكة مبسوطة على تابور ٢ وقد توغلوا فى ذبائح الزيغان فأنا تأديب لجميعهم ٣ أنا أعرف أفرايم . وإسرائيل ليس مخيفاً عنى . إنك الآن زنيت يا أفرايم . قد تنجس إسرائيل ٤ أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلههم لأن روح الزنى فى باطنهم وهم لا يعرفون الرب ٥ وقد أذلت عظمة إسرائيل فى وجهه فيتعثر إسرائيل وأفرايم فى إثمهما و يتعثر يهوذا أيضا معهما ٦ يذهبون بغنمهم و بقرهم ليطلبوا الرب ولا يجدونه . قد تنحى عنهم ٧ قد غدروا بالرب . لأنهم ولدوا أولاداً أجنبيين . الآن يأكلهم شهر مع أنصبتهم .

هنا نجد :

أولا : إن كل طبقات الناس قد طلب منهم الظهور والإجابة عما سوف يتهمون به ع ١ « **اسمعوا هذا إيها الكهنة** » سواء كانوا كهنة قانونيين ، كالذين فى يهوذا ، وربما كالكثيرين فى إسرائيل أيضا ، لأنه كانت فى العشرة الأسباط مدن مختلفة للكهنة وللاويين ، الذين ظلوا فى أماكنهم بعد تمرد العشرة الأسباط ، وكانوا يقومون بخدمتهم على قدر ما يستطيعون وهم بعيدون من الهيكل ، أو كهنة يدّعون خدمة الكهنوت ، ككهنة العجول ، الذين يرى البعض أن هذا النداء يشملهم .

« **انصتوا يا بيت إسرائيل** » ، ياعامة الشعب ، « **واصغوا يا بيت الملك** » . لينتبه الجميع ، لأن الكل اشتراكوا فى الخطية العامة ، والكل سوف يشتركون فى القصاص العام .

(ملاحظة) إن كانت لا تكفى للحفظ من الخطية قداسة الكهنوت ، ولا شرف الأسرة المالكة ، فلا يمكن أن يتوقع بأنهما يكفيان للحفظ من الغضب . إن كان الكهنة ، وبيت الملك ، رغم سمو مراكزهم ، يخطئون كالباقين ، فان مراكزهم الرفيعة لن تعفيهم من القصاص ، بل لابد أن يشتركوا فيه مع الباقين . بل لن تقبل حجة من « بيت اسرائيل » إن الكهنة والرؤساء هم الذين أضلوهم ، بل لابد أن ينالوا نصيبهم معهم ، ولن تعفيهم وضاعة مراكزهم وكثرة عددهم .

ثانيا : إقامة الشهادة ضدهم ، وهى شهادة خير من ألف ، هى علم الله بكل شئ « أنا أعرف أفرايم واسرائيل ليس مخفياً عنى » ع ٣ . « **هم لا يعرفون الرب** » ع ٤ لكن الرب يعرفهم ، يعرف صفاتهم الحقيقية مهما كانت مختفية ، يعرف شرورهم السرية مهما أخفيت .

(ملاحظة) إن رفض الناس لمعرفة الله لا يمنع معرفة الله لهم . عندما يناقشهم الحساب فانه يقيم الدليل على خطاياهم من معرفته ، ومن أجل هذا يصبح من العبث أن يبرئوا أنفسهم .

ثالثا : واتهموا بشرور قبيحة جداً :

١ ــ كانوا فى غاية الذكاء والنشاط لجذب الشعب إما إلى الخطية أو إلى التعب : « **صرتم فخاً فى مصفاة وشبكة مبسوطة على تابور** » ع ١ أى صرتم كتلك الفخاخ والشباك التى اعتاد الصيادون إقامتها فى هذه الأماكن لاقتناص فرائسهم . عندما قامت عبادة العجول فى اسرائيل حاول المنتصرون لهذه العبادة ، والمدافعون عنها بكل الفنون والحيل الممكنة أن يجذبوا الناس إليها ، وأن يحببوا فيها أولئك الذين كانوا يرهبونها أولا .

(ملاحظة) إن الذين يغرون الناس للخطية يجب أن ينظر إليهم بأنهم فخاخ وشباك لهم ، وبأن « أيديهم قيود » لهم (جا ٧ : ٢٦) ، مهما ادعوا الصداقة وحسن النية لهم .

أما الذين لم يستطيعوا إغرائهم للخطية فقد كانوا لهم كالفخاخ والشباك لإيقاعهم فى التعب . يظن البعض أنه كان من عادتهم إقامة الجواسيس فى الطريق ، سيما على جبلى « مصفاة وتابور» ، فى أيام الأعياد الرئيسية فى أورشليم لكى يراقبوا إن كان أحد من الأتقياء يذهب هناك ، فيبلغوا عنه لكى يحاكم من أجل هذا . وهكذا كانوا كالشيطان الذى يزعج من لا يستطيع تدنيسه .

٢ — وكانوا فى غاية الاحتيال والخبث والقسوة فى إتمام مقاصدهم « **وقد توغلوا فى ذبائح الزيغان (١)** » ع ٢ .

(ملاحظة) إن الذين ارتدوا عن الحقائق الإلهية كثيراً ما كانوا أخبث وأقسى المضطهدين لمن لايزالون متمسكين بها . ولا شيء يشفى غليلهم سوى القتل ، ولايروى عطشهم سوى دم القديسين . فهم يتعمقون فى القتل . فيا لعمق « أعماق الشيطان » (رؤ ٢ : ٢٤) ، يالعمق خبث أعوانه ، و يالعمق الذين « ارتدوا عن الله متعمقين » (اش ٣١ : ٦) .

والذين زاد شرهم شناعة هوما أعطى إليهم من التوبيخات والتحذيرات الكثيرة « **فأنا تأديب لهم (٢)** » . كان النبى بحكم مركزه موبخاً لهم . طالما أخبرهم عن شر طرقهم وافعالهم ، وتكلم بوضوح وصراحة « لجميعهم » ولم يستثن من ذلك الكهنة أو بيت الملك . والله نفسه كان « مؤدباً لجميعهم » وموبخاً ، سواء بواسطة ضمائرهم أو بأعمال عنايته .

(ملاحظة) إن الخطايا التى ترتكب رغم التوبيخ تكون خاطئة مضاعفاً (ام ٢٩ : ١) .

٣ — وارتكبوا خطية الزنى « **انك الآن زنيت يا إفرايم** » دنسوا أجسادهم بالشهوات الجسدية ، ودنسوا أروحهم بعبادة الأصنام ع ٣ . كان الله شاهداً على هذا رغم ارتكابها هذه الخطية سرا ، وتلطيفهم إياها بمهارة .

بل أن أعين الله الثاقبة رأت « **روح الزنى الذى فى باطنهم (١)** » ع ٤ ، رأت ميولهم الخفية لتلك الخطايا ، ومحبتهم لها ، وتسلط تلك الخطايا عليهم ، وإلى أى حد كانوا تحت سلطان « روح الزنى » ، « وأصل المرارة » الذى يحمل كل هذه المرارة ، وذلك الينبوع الفاسد السام .

(١) « لقد توغل الزائغون فى الذبح » حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « لقد تعمق المتمردون فى الذبح أو القتل » حسب الترجمة الانكليزية ، أو « لقد توغل المرتدون » حسب هامش الكتاب المقدس طبعة بيروت .

(٢) « وإن كنت مؤدباً لجميعهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

٤ ـــ لم يكن لديهم أى ميل على الإطلاق لكى يعرفوا الله ، وتكون لهم شركة به . فان « روح الزنى » إذ « أضلهم عنه » . (ص ٤ : ١٢) ، جعلهم يتخبطون فى الظلام إلى الأبد ع ٤ .

(١) فانهم « لا يعرفون الرب » ، ولا يرغبون فى أن يعرفوه ، بل بالحرى انصرفوا عن معرفته ، بل خافوا من أن يعرفوه ، لئلا تزعجهم معرفته هذه فى طرقهم الخاطئة .

(٢) ولذلك فان « **أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلههم** (١) » الأمر الذى تبين منه أنهم لم يعرفوه معرفة مستقيمة . هذا يشير إلى عنادهم وإصرارهم على الارتداد عن الله . انهم لم يريدوا « الرجوع إلى الله » مع أنه هو « إلههم » ، إلههم بمقتضى العهد ، إلههم الذى كانوا يدعون باسمه ، إلههم الذى كانوا ملتزمين بعبادته . لم يريدوا الرجوع إلى عبادته التى انحرفوا عنها .

بل إنهم « لم يريدوا أن يوجهوا أعمالهم للرجوع إلى الله » ، لم يفكروا فى طرقهم ، ولم يوجهوا أنفسهم إلى مزاج جدى ، ولم يرجهوا عقولهم للتفكير فيما يأتى بهم إلى الله .

صحيح أننا لا يمكننا الرجوع إلى الله بقوتنا الذاتية بدون نعمة خاصة من الله . لكننا نستطيع بتنمية مواهبنا ، ومساعدات الروح القدس العادية ، أن نوجه أعمالنا للرجوع إليه . ولذلك فالذين لا يفعلون هكذا ، الذين « لا يهيئون قلوبهم لطلب الرب » (٢ أى ١٢ : ١٤) ، يكون الذنب ذنبهم فى عدم الرجوع ، فهم يموتون لأنهم يريدون أن يموتوا أما الذين يفعلون هكذا فانهم ينالون نعمة أعظم .

٥ ـــ وكانوا واقعين فى كبرياء شنيع ووقاحة فى الخطية ع ٥ « **وقد أذلت عظمة إسرائيل فى وجهه** (١) » تشهد عليه بأنه متمرد على الله وعلى سلطانه . لقد ظهر « روح الزنى الذى فى باطنهم (وسطهم) » فى مظاهر عبادتهم الطائشة المليئة بالامجاد الباطلة ، كما تعرف الزانية من زيها وزينتها (أم ٧ : ١٠) . فان خلاعة ملابسها « تشهد عليها فى وجهها » انها ليست امرأة محتشمة .

---

(١) « وحلف (كبرياء) اسرائيل يشهد عليه فى وجهه » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(١) « فى وسطهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(١) « انهم لا يوجهون أعمالهم للتوبة إلى إلههم » حسب ترجمة اليسوعيين ، و « لا يوجهون أعمالهم للرجوع إلى إلههم » حسب الترجمة الانكليزية .

أو أن كبر ياءهم فى مواجهة الأنبياء الذين أرسلهم الله لهم ، ومواجهة الرسالة التى حملوها (إر٤٣ : ٢) ، أو كبر ياءهم فى احتقار إخوتهم ومرؤسيهم ومن هم دونهم و شهدت عليهم أنهم لم يكونوا شعب الله ، و بررت الله فى كل قصاصات الإذلال التى أرسلها عليهم .

« كبر ياؤه يشهد عليه فى وجهه » . وهذا ما يتفق مع ما ورد فى (إش ٣ : ٩) « نظر وجوههم يشهد عليهم « لقد كانت لهم تلك « العيون المتعالية » التى « يبغضها الرب » (أم ٦ : ١٧) .

٦ ـــ وانحرفوا عن الله متجهين إلى الأصنام ، ونشأوا أولادهم فى العبادة الوثنية ع ٧ « **قد غدروا بالرب** » كما تهجر الزوجة زوجها إزدراء بعهد الزيجة ، وتعيش فى الزنى مع آخر. هكذا « يغدر بالرب » من يرتكبون خطية الزنى الروحى ، الذين إلههم أموالهم ، وإلههم بطنهم فانهم ينقضون تعهداتهم له ويخيبون رجاءه فيهم .

(ملاحظة) إن الخطاة الذين يصرون على خطاياهم خونة غادرون وقد « **ولدوا أولاداً أجنبيين** » أى أن أولادهم الذين ولدوا أجنبيون وغرباء عن الله ، ونشأوا فى طريقة باطلة للعبادة . إنهم نسل غير شرعى كأولاد زنى (يو٨ : ٤١) ، لا يعترف بهم الله .

(ملاحظة) حقاً إنه يغدر بالرب ليس فقط من يتحولون عن أتباعه هم أنفسهم ، بل ينشئون أولادهم فى طرق شريرة .

رابعا : أما مصيرهم فانه مروع جداً . لقد قيل لهم بصفة عامة « إن عليكم القضاء » ع ١ . الله خارج ليحاكمكم ، و يشهد على غضبه عليكم بسبب خطاياكم . عندما يتجه القضاء نحونا يكون الوقت للإصغاء . إنهم بصفة خاصة .

١ ـــ يسقطون فى إثمهم . هذه تأتى بعد أن يشهد عليهم كبرياؤهم فى وجههم . لذلك « **يتعثر**(١) **إسرائيل وافرايم فى اثمهما** » ع ٥ .

(ملاحظة) الكبرياء يعقبه السقوط . فهو (الكبرياء) المقدمة الأكيدة للسقوط وممهد الطريق له . « فمن يرفع نفسه يتضع » (مت ٢٣ : ١٢) . والوجه الذى يشهد عليه الكبرياء يمتلىء حيرة وارتباكاً .

---

(١) « يسقط » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

وهم لا يتعثرون فقط ، بل « يتعثرون فى إثمهم » ، وهذا أمر أنواع التعثر. لقد منعهم كبر ياؤهم عن التوبة عن اثمهم ، ولذلك فأنهم سيتعثرون فيه .

(ملاحظة) إن الذين لا يتذللون من أجل خطاياهم يهلكون إلى الأبد فى خطاياهم .

وقد أضيف إلى هذا « و يتعثر يهوذا أيضاً معهما » فى إثمه . كما سبى العشرة الأسباط إلى أشور من أجل عبادتهم الوثنية هكذا سبى السبطان الآخران ، مع مرور الزمن ، إلى بابل ، لأنهم أقتفوا أثرهم السيىء . لكن العشرة الأسباط عثروا بلا قيام ، أما السبطان فقد عثروا وقاموا . كانت مملكة يهوذا تتمتع بالهيكل والكهنوت ، ومع ذلك فان هذا الامتياز لم يخلصها ، فانها ان أخطأت مع اسرائيل وافرايم فلابد أن « تتعثر أيضاً معهما » .

٢ ــ ويحرمون من نعمة الله عندما يتظاهرون بأنهم يطلبونها ع ٦ « **يذهبون بغنمهم وبقرهم ليطلبوا الرب** » لكن دون جدوى ، فانهم « **لا يجدونه** » يبدو أن هذه قيلت بصفة مبدأية عن يهوذا عندما تعثروا وارتكبوا إثمهم ، وعندما تعثروا فى إثمهم .

(١) عندما تعثروا وارتكبوا إثمهم ، « طلبوا الرب » . لكنهم لم يطلبوه وحده ، ولذلك « لم يجدوه » . عندما عبدوا آلهة غريبة ، وفى نفس الوقت احتفظوا بشكل وظل عبادة الإله الحقيقى ، كانوا يذهبون كالعادة إلى الأعياد الرئيسية « بغنمهم و بقرهم » لكى ، « يطلبوا الرب » . لكن قلوبهم لم تكن « مستقيمة أمامه » لأنها لم تكن كاملة قدامه ، ولذلك لم يقبلهم . لأننا لا نجده إلا إذا « طلبناه بكل قلوبنا » دون أن تكون موزعة بين الله والبعل (حز ١٤ : ٣) .

(٢) عندما تعثروا فى إثمهم ، ووجدوا أنفسهم متعثرين بسببه ، « طلبوا الرب » لكنهم لم يطلبوه مبكراً ، ولذلك « لم يجدوه » . سوف يرون الهلاك آتياً عليهم ، وعندئذ يهربون إلى الله فى ضيقهم ، و يظنون أنهم يكتسبون رضاه بتقدماتهم وذبائحهم . لكن يكون الوقت قد فات ليحولوا غضبه ، بعد أن يكون الأمر الإلهى قد صدر. حتى إصلاح يوشيا لم ينجح فى رد غضب الله (٢ مل ٢٣ : ٢٥ و٢٦) .

(ملاحظة) إن الذين يذهبون لطلب الرب « بغنمهم و بقرهم » فقط ، وليس بقلوبهم ونفوسهم ، لا يمكن أن يتوقعوا بأن يجدوه لأن رضاه لا يكتسب « بألوف الكباش » (مى ٦ : ٧) والذين لا يطلبون الرب مادام يوجد (إش ٥٥ : ٦) لا ينجحون ، لأن هنالك وقتاً لا يوجد فيه .

سوف لا يجدونه لأنه قد انسحب . سوف لا يسأل منهم ، بل يصم أذنيه عن صلواتهم ، ولا يلتفت إلى ذبائحهم . فانظر إلى شدة حاجتنا لطلب الرب فى وقت مبكر ، لطلبه الآن طالما كان الوقت مقبولا ، واليوم يوم خلاص .

٣ ـــ و يبتلعون . هم وأنصبتهم . « **لقد غدروا بالرب** » ، وظنوا أنهم يستطيعون أن يشددوا أنفسهم فى هذا الغدر بتحالفهم مع « **أولاد أجنبيين** » . ولكنهم « الآن يأكلهم شهر مع أنصبتهم » ، أى ممتلكاتهم ، وميراثهم ، وكل ما أخذوه ، كنصيبهم . أو ربما يكون المقصود « بأنصبتهم » أصنامهم التى اتخذوها نصيباً لهم بدلا من الله .

(ملاحظة) إن الذين يجعلون العالم معبوداً لهم ، و يتخذونه نصيباً لهم ، يهلكون معه .

« يأكلهم شهر » ، أى وقت محدد ، وقت قصير . عندما تبدأ قصاصات الله بهم تنتهى سريعاً . يكفيهم شهر . إلى أى حد من الضعف يصل الجسم إذا حل به المرض شهراً وحداً ، وإلى أى حد من الخراب تصل المملكة إذا اشتبكت فى الحرب شهراً واحداً . قال الله « وأبدت الرعاة الثلاثة فى شهر واحد » (زك ١١ : ٨) .

(ملاحظة) فى بعض الأحيان تعمل قصاصات الله عملا سريعاً مع الشعب الخاطىء . إن شهراً واحداً يأكل أنصبة أكثر مما تصلحه سنوات كثيرة .

٨ أضربوا بالبوق فى جبعة بالقرن فى الرامة . اصرخوا فى بيت آون . وراءك يا بنيامين
٩ يصير أفرايم خراباً فى يوم التأديب . فى أسباط إسرائيل أعلمت اليقين ١٠ صارت رؤساء يهوذا كناقلى التخوم . فأسكب عليهم سخطى كالماء ١١ أفرايم مظلوم مسحوق القضاء لأنه ارتضى أن يمضى وراء الوصية ١٢ فأنا لأفرايم كالعث ولبيت يهوذا كالسوس ١٢ ورأى أفرايم مرضه ويهوذا جرحه فمضى أفرايم إلى أشور وأرسل إلى ملك عدو ولكنه لا يستطيع أن يشفيكم ولا أن تزيل منكم الجرح ١٤ لأنى لأفرايم كالأسد ولبيت يهوذا كشبل الأسد فإنى أنا أفترس وأمضى . آخذ ولا منقذ ١٥ أذهب وأرجع إلى مكانى حتى يجازوا و يطلبوا وجهى . فى ضيقهم يبكرون إلىّ .

هنا نرى :

أولا : صوتاً عالياً منذراً بقصاصات قادمة ع ٨ « **أضربوا بالبوق فى جبعة وفى الرامة** » وهاتان مدينتان متقاربتان فى تخوم مملكتى يهوذا وإسرائيل ، فجبعة فى تخوم مملكة يهوذا ، والرامة فى إسرائيل . ولهذا فالإنذار موجه إلى المملكتين .

« **اصرخوا فى بيت آون** » ، أو « بيت ايل » التى يبدو بأنه قد استولى عليها العدو ، لذلك لم يضرب فيها بالبوق ، لكنك تسمع صراخ الذين يهتفون هتاف النصرة ، مختلطا بهتاف لذين يصرخون صراخ الهزيمة .

ليصرخوا « **وراءك يابنيامين** » بأن العدو قد أتى . إن سبط أفرايم قد انغلب ، وسيأتى العدو وراءك يابنيامين ، فى فترة وجيزة . لقد جاء دورك . إن كأس الترنح (إش ٥١ : ١٧ و٢٢) يدور.

سبق أن وصف النبى محاكمة الله معهم ، كأنها محاكمة أمام المحاكم (ص ٤ : ١) ، وهنا يصفها كأنها محنة حربية . وهنا أيضاً نراه « يغلب متى حاكم » . إذاً فليستعد الجيع ليقابلوا إلههم .

سبق أن تحدث عن القصاصات على أساس إنها مؤكدة ، وهنا يتحدث عنها على أساس إنها قريبة . وعندما يفهم بأنها على الأبواب تصبح مذهلة وموقظة .

وقد فسر ضرب البوق فى ع ٩ . « **فى أسباط إسرائيل اعلمت اليقين** (١) » ، أو « ما هو يقين أو مؤكد » حسب الترجمة الحرفية .

(ملاحظة) إن هلاك الخطاة المصرين على خطاياهم أمر مؤكد لابد أن يتم يقيناً . ليس هو مجرد كلام للتخويف ، بل هو حكم لا نقض فيه ولا إبرام . ومن رحمة الله أننا قد « أعلمنا » به ، وأنه قد أعطى لنا إنذاره فى الوقت المناسب ، لكى « نهرب من الغضب الآتى » .

كان امتيازاً لأسباط إسرائيل أنهم كما أعلموا بواجباتهم ، هكذا أعلموا بما يتهددهم من خطر، وذلك بواسطة أقوال الله الحية التى اؤتمنوا عليها .

ثانيا : أساس محاكمة الله لهم :

١ ــ إن له مخاصمة مع « رؤساء يهوذا » لأنهم كانوا يقودون الآخرين للخطية بجسارة ع ١٠ فقد كانوا « **كناقلى التخوم** » أو « التخم القديم » لقد أعطاهم الله ناموسه ، ليكون سياجاً حول ممتلكاته ، لكنهم نقبوه بجسارة ، وأهملوه ، بل اعتدوا حتى على حقوق الله ، وداسوا ما يميز بين الخير والشر ، وتعدوا حدود منطق العقل والعدالة ، ظانين أن لهم السلطان ليفعلوا ما يشاءون لأنهم « رؤساء » ، وأن أرادتهم هى ناموس .

أو قد يكون المقصود بنقل التخوم اعتداءهم على حرية رعاياهم وممتلكاتهم حباً فى تقدم مصالحهم ، الأمر الذى كان بمثابة نقل التخم القديم .

---

(١) « أبديت الصدق » حسب ترجمة اليسوعيين ، أعلمت ما سوف يكون « يقيناً » الترجمة الانكليزية .

يظن البعض أن رؤساء يهوذا أعطوا لأنفسهم سلطاناً أكثر استبداداً من رؤساء إسرائيل. ومن أجل هذا كانت لله مخاصمة معهم. « **اسكب عليهم سخطى كالماء** » بغزارة كمياه الطوفان التى انصبت على جبابرة العالم القديم من أجل الظلم الذى امتلأت به الأرض (تك ٦ : ١٢).

(ملاحظة) هنالك « تخوم » وحدود يلتزم الرؤساء أنفسهم بأن لا ينقلوها، حدود للدين، وحدود للعدالة وهم محدودون بها. وإذا ما تخطوها وجب أن يعرفوا أن هنالك إلهاً فوقهم، وسوف يناقشهم الحساب من أجلها.

٢ ــ وله مخاصمة مع شعب أفرايم ع ١١ لأنهم كانوا سيتبعون غيرهم فى الخطيةبخسه ع ١١ « **أفرايم ... ارتضى أن يمضى وراء الوصية** (١) » أى وصية يربعام والملوك الذين جاءوا بعده، الذين ألزموا كل رعاياهم ــ بقانون أصدروه ــ لكى يعبدوا عجلى دان و بيت أيل، ولكى لا يصعدوا قط إلى أورشليم للعبادة. كانت هذه هى « الوصية » كانت هى ناموس البلاد، وكانوا يدعمونها بأن مصالح الدولة تقتضيها. أما الشعب فانهم لم يمضوا وراءها فقط بطاعة ثابتة عمياء لسلطانهم، بل « ارتضوا أن يمضوا وراءها بباعث كراهية خفية لعبادة الله، وميل قوى لعبادة الأصنام.

(ملاحظة) إن الطاعة السهلة لوصايا الناس التى تتعارض مع الله تهيىء الشعب للهلاك كأى شىء آخر. وقصاص عدم الطاعة يتناسب مع الخطية. لأنه لأجل هذا صار « **أفرايم مظلوماً مسحوق القضاء** » ديست كل حقوقه المدنية وحرياته.

(١) إنه عدل عند الله أن الذين يغدرون بممتلكات الله يخسرون ممتلكاتهم وأن الذين يخضعون ضمائرهم لسلطة غاشمة مستبدة ينالون منها التعب الكثير.

والطبيعة نفسها تعزز فكرة هذا القصاص، « فالذين يرتضون أن يمضوا وراء الوصية »، حتى وإن كانت ضد شريعة الله، سوف يجدون أن الوصية تعتدى على حقوقهم، وكلما زادت الوصية سلطانا زاد إلحاحها فى طلب القصاص.

(ملاحظة) لا شىء يزيد الظلم تعسفاً وظلماً أكثر من الخضوع الذليل المداهن المتملق.

هكذا صار « أفرايم مظلوماً مسحوق القضاء »، أى أنه ظلم تحت ستار العدل والحق.

---

(١) « السوء » حسب الترجمة السبعينيه.

(ملاحظة) إنه لقضاء مرير وأليم على أى شعب أن يضطهد تحت ستار إنصافه .

هذا يفسر ذلك التهديد ع ٩ « **يصير أفرايم خراباً فى يوم التأديب** » .

(ملاحظة) يجب أن يتوقع الخطاة الجسورون أن يأتيهم « يوم تأديب » ، وهذا اليوم يجعلهم « خراباً » ، يحرمهم من كل ما يتمتعون به الآن ، ومن كل ما يرجونه فيما بعد .

ثالثا : الطرق المختلفة التى يتخذها الله مع كل من يهوذا وأفرايم ، ففى بعض الأحيان يتخذ طريقة معينة ، وفى أحيان أخرى يتخذ طريقة أخرى ، وفى بعض الأحيان يتخذ كلتيها ، أو بالحرى أنه بهما يعجل بخرابهم التام .

١ ــ إنه يبدأ بقصاصات أخف ، تعمل فى بعض الأحيان بسكوت و بطريقة غير محسوسة ع ١٢ : (أنا أى أعمال عنايتى) « **لأفرايم كالعث** » أو بمعنى أقرب : « إنها تكون لأفرايم كالعث » ، لأن مثل هذا المرض هو الذى يراه أفرايم الآن ع ١٣ .

(ملاحظة) إن قصاصات الله تكون فى بعض الأحيان للشعب الخاطىء « كالعث » ، « أو كالسوس » ، أو « كالدود » .

« العث » حشرة دنيئة تفرخ فى الملابس ، « والسوس » يتولد فى الخشب ، وكما تلتهم هذه الحشرات الملابس والخشب هكذا تلتهم قصاصات الله .

(١) بسكون وهدوء ، دون أن يسمع لها صوت فى العالم ، بل بحيث لا يحسون بها هم أنفسهم . سوف يظنون فى أنفسهم أنهم آمنون وناجحون ، لكنهم لدى تطلعهم بأكثر تدقيق إلى حالتهم يدركون أنهم سائرون إلى البوار والفناء .

(٢) ببطء ، و بتقديم فترات طويلة من الإبطاء ، لكى يعطيهم فرصة للتوبة . يموت بالسل كثيرون من الأشخاص ، بل أمم كثيرة ، وهم فى عنفوان قوتهم .

(٣) بالتدريج . يصب الله على الخطاة القصاصات الأخف ، لكى يمنع عنهم قصاصاته الأشد إذا تعقلوا وتحذروا . إنه يأتى إليهم خطوة فخطوة لكى يبين أنه لا يريدهم أن يهلكوا .

(٤) يتولد العث فى الملابس ، والسوس فى الخشب ، وهكذا يفنى الخطاة بالنار التى يشعلونها هم .

٢ ـــ وعندما تبين أن تلك القصاصات لم تفلح معهم ، أراد أن يأتي عليهم بقصاصات أشد ، ع ١٤ « **لأني لأفرايم كالأسد ولبيت يهوذا كشبل الأسد** » ، حتى وإن كان يهوذا نفسه « جرو أسد » كما جاء في بركة يعقوب لأولاده (تك ٤٩ : ٩) . ولئلا يظن أحد أن قوة الله قد ضعفت عندما قال عن نفسه أنه سيكون لهم « كالعث » نراه يقول إنه سيكون لهم الآن « كالأسد » ، لا ليخيفهم بزئيرة فقط ، بل ليمزقهم إرباً .

(ملاحظة) إن كانت القصاصات الأخف لا تفلح فلينتظر بأن يرسل الله الأشد .

في بعض الأحيان يقال عن المسيح إنه « أسد سبط يهوذا » . وهنا قيل عنه أنه أسد ضد هذا السبط . أنظر ماذا يفعل الله لشعب مطمئن في الخطية « **فاني أنا افترس** » . و يبدو أنه يفتخر بامتيازه الخاص هذا ، أنه « قادر أن يهلك » ، لأنه هو وحده « واضع الناموس » (يع ٤ : ١٢) . « إني أنا » أضع العمل في يدي ، ومتى قلت تم ما أقول . هنالك بعض القصاصات يعمل الله فيها بطريقة مباشرة أكثر من غيرها .

« فاني أنا أفترس وأمضي » . إنه يمضي .

(١) على أساس أنه لا يخافهم . يمضي في أنفة وعزة كما يغادر الأسد فريسته .

(٢) على أساس انه يتخلى عن مساعدتهم . إن كان الله يفترس بالنكبات ، ومع ذلك يبقى معنا بنعمه وتعزياته ، ففي هذا كل الكفاية . لكن حالتنا تصبح أليمة فعلا إن كان « يفترس ويمضي » ، إن كان يهجرنا هو نفسه بعد أن يحرمنا من تعزياته .

وعندما « يمضي » يأخذ معه كل ما هو غال وثمين ، لأن الله إذا مضى مضت معه كل الخيرات .

« آخذ ولا منقذ » كما لا تستطيع الفريسة أن تنجو من فم الأسد ، فقد قيل عنه إنه « يفترس وليس من ينقذ » (مي ٥ : ٨) .

(ملاحظة) لن يستطيع أحد أن ينجو من يدي عدل الله إلا الذين سلموا ليدي نعمته . إنه من العبث أن يخاصم المرء جابله (إش ٤٥ : ٩) .

رابعا : النتائج المختلفة لتلك الطرق المختلفة .

١ ــ عندما أرسل الله عليهم القصاصات الخفيفة أهملوه وتجاهلوه ، وطلبوا الإغاثة من المخلوقات ، لكنهم عبثاً طلبوا ع ١٣ . عندما صار الله لهم « كالعث وكالسوس » رأوا مرضهم وجرحهم « **ورأى افرايم مرضه ويهوذا جرحه** » . و بعد برهة وجدوا أنفسهم نازلين من الجبل ، وأنهم متقهقرون في شئونهم ، وأن أملاكهم في طريق البوار بكيفية محسوسة ، فأرسلوا « إلى أشور» ليأتي لنجدتهم ، وتوددوا « إلى ملك عدو (¹) » ، و يظن البعض أن هذا إسم « فول » أو « تغلث فلا سر» ملكي أشور (٢ مل ١٥ : ١٩ و ٢٩) ، اللذين لجأ إليهما إسرائيل ويهوذا للاغاثة في ضيقتهم ، راجين أنهم بمحالفتهم معهما يمكنهم أن يصلحوا شئونهم المنحلة .

(ملاحظة) إن ذوي القلوب اللحمية يرون ــ في وقت الضيق ــ مرضهم وجرحهم ، لكنهم لا يرون الخطية التي سببتها ، ولا يعترفون بهذا ، ولا يعترفون بيد الله ، يده المقتدرة ، و بالأحرى لا يعترفون بيده العادلة في متاعبهم . ولذلك فانهم ، بدلا من الالتجاء إلى الخالق الذي يقدر أن يغيثهم ، يتكبدون مشقة كبيرة في الالتجاء إلى المخلوقات التي لا تفيدهم . والذين أساءوا إلى الله بخطاياهم ولا يتوبون يأبون أن يلجأوا إليه في مصائبهم ، بل بالحرى يطلبون الاغاثة من أي باب آخر .

وما هي النتيجة ؟ « **ولكنه لا يستطيع أن يشفيكم ولا أن يزيل منكم الجرح** » .

(ملاحظة) إن الذين يتجاهلون الله ، و يلجأون إلى المخلوقات لطلب المعونة سوف يفشلون يقيناً . والذين يعتمدون عليها لتدعمهم يجدونها « قصباً مرضوضاً » لا دعامات . والذين يعتمدون عليها لتمدهم بأي شيء يجدونها « آباراً مشققة » لا ينابيع والذين يعتمدون عليها للتعزية والشفاء يجدونها « معزين متعبين » ، « وأطباء بطالين » (اى ١٦ : ٢ ، ١٣ : ٤) .

وملوك أشور الذين لجأ إليهم يهوذا واسرائيل « ضايقوهم ولم يساعدوهم » (٢ أي ٢٨ : ١٦ و ٢٨) .

يظن البعض أن المقصود « بالملك يا ريب » الملك العظيم القوي الجبار، لأنهم اعتمدوا كثيراً على قوته . و يرى غيرهم أن المقصود به هو الملك الذي يترافع عنهم أو الذي يجب أن يترافع ، لأنهم أعتمدا كثيراً على حكمته وفصاحته واهتمامه بمصالحهم .

لقد أرسلوا إليه هدية (ص ١٠ : ١٦) ، وإذ احتفظوا به لينالوا استشارته لم يشكوا في إخلاصه لهم . أما هو فخدعهم شأن الذراع البشري عندما يتكل عليه الإنسان (ار ١٧ : ٥ و ٦) .

(١) « الملك المنتقم » حسب ترجمة اليسوعيين ، « إلى الملك يا ريب » حسب الترجمة الانكليزية وحسب هامش ترجمة بيروت .

٢ ــ وعندما أرسل الله عليهم قصاصات أشد ، ليقنعهم بحماقتهم ، أضطروا أخيراً للالتجاء إليه ع ١٥ . عندما « يفترس كأسد » :

(١) فانه يتركهم « **أذهب وأرجع إلى مكاني** » ، إلى السماء و أو إلى عرش النعمة ، الذى هو مجده . عندما يعاقب الله الخطاة « يخرج من مكانه » (إش ٢٦ : ٢١) ، لكنه عندما يقصد لهم خيراً فانه « يرجع إلى مكانه » ، حيث « ينتظر ليتراءف » عند خضوعهم له (إش ٣٠ : ١٨) .

أو « يرجع إلى مكانه » بعد أن يكون قد أدبهم ، كأنه لا يبالى بهم ، أو كأنه قد حجب وجهه عنهم ، لا يرى متاعبهم ، ولا ينصت لصلواتهم . وهذا يفعله لز يادة إذلالهم ، إلى أن يهيأوا إلى حدما ــ لعودة مراحمه لهم .

(٢) وأخيراً يعمل فيهم ، و يعيدهم إلى نفسه ، وذلك عن طر يق مصائبهم ، الأمر الذى ينتظره . و بعدئذ لا يعود ينسحب من وسطهم . وهنا نجد مظهر ين لرجوعهم .

[١] توبتهم وأعترافهم بالخطية « **حتى يجازوا** (١) » ، أى حتى يشعروا باثمهم ، و يضطروا للاعتراف به ، و يتذللوا أمام الله من أجله .

(ملاحظة) عندما يبدأ الناس بأن يشكوا من خطاياهم أكثر من شكواهم من مصائبهم ، عندئذ يبدأ بأن يكون لهم رجاء والذى يطلبه الله منا عندما نكون تحت يد تأديبه ، أن نعترف بأننا خطاة ، وأن تاديبنا كان بحق وعدل .

[٢] طلبهم المتواضع لرحمة الله . « **حتى يطلبوا وجهى** » وهذا ما ينتظر أن يفعلوه عندما يكونون قد وصلوا إلى النهاية القصوى ، وجر بوا عبثاً الالتجاء إلى مساعدين آخر ين .

« فى ضيقهم يبكرون إلىّ » أى باجتهاد وغيرة ولجاجة شديدة . وإذا ما طلبوه هكذا ، وكانوا مخلصين فى الطلب ، حتى وإن كانوا متأخر ين فى الطلب ، لأنهم كان يجب أن يطلبوه قبل ذلك بوقت طو يل ، لكن الوقت لا يكون متأخراً كثيراً ، بل أن الله يسره أن يقول أنهم طلبوه مبكر ين ، ذلك لأنه يسره أن يشجع التائبين الحقيقيين عند رجوعهم إليه .

---

(١) « إلى أن يعاقبوا » حسب ترجمة اليسوعيين ، « إلى أن يعترفوا باثمهم » حسب الترجمة الانكليز ية ، « حتى يأثموا » حسب هامش ترجمة بيروت .

(مـلاحـظة) عندما نكون تحت الإقتناع بالخطية ، وتحت عصا التأديب ، فواجبنا يقتضى أن نطلب وجه الله ، يجب أن نرغب فى أن نعرفه ، ونتعرف به ، لكى يظهر نفسه لنا ، ومن أجلنا ، عـلامـة عـلـى أنه قد تصالح معنا . والمعقول أنه ينتظر أن المصائب تعيد إلى الله أولئك الذين زاغوا عـنـه مـنذ زمن طو يل ، وابتعدوا عنه . إذاً فان ابتعد الله عنا برهة فذلك لكى يعيدنا إليه ، وعندئذ يرجع إلينا . « أعلى أحد بينكم مشقات ؟ فليصل » (يع ٥ : ١٣) .

الاصحاح السادس

أعطتنا الكلمات الأخيرة في الأصحاح السابق أملا بان يجتمع الله واسرائيل ثانية معاً بالرغم من خطاياهم ومن غضبه ، وأنهم يطلبونه وهويوجد لهم ، و يستمر هذا الأصحاح في ايضاح الأمر. ولذلك فان البعض يقرنون الكلمات الافتتاحية فى هذا الأصحاح بنهاية ذاك : « يبكرون إلى » قائلين « هلم نرجع إلى الرب » .

أما الله فيعود ليشكو من شر هذا الشعب فانه وإن كان البعض قد تابوا ورجعوا إلا أن الأكثرية استمروا في عنادهم . لاحظ:

(١) عزمهم على الرجوع إلى الله ، والتعزيات التي يشجعون أنفسهم بها لدى رجوعهم ع ١ — ٣ .

(٢) عدم ثبات الكثيرين منهم فى مظاهرهم وفى وعودهم للتوبة ومعاملة الله القاسية لهم من أجل هذا ع ٤ و٥ .

(٣) العهد الذى قطعه الله معهم ، وما كان يتوقعه منهم ع ٦ ، ونقضهم لذلك العهد وتخييبهم رجاء الله فيا كان يتوقعه منهم ع ٧ — ١١ . .

١ هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا . ضرب فيجبرنا ٢ يحيينا بعد يومين . في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه ٣ فلنتتبع لنعرف الرب . خروجه يقين كالفجر. يأتى إلينا كالمطر. كمطر متأخر يسقى الأرض .

إما أن تكون هذه كلمات النبى للشعب ، داعيا إياهم للتوبة ، أو كلمات الشعب بعضهم لبعض ، وفيها يحثون و يشجعون بعضهم بعضاً لطلب الرب ، والتذلل أمامه ، على رجاء أن يجدوا منه رحمة . لقد سبق أن قال الله « فى ضيقهم يبكرون إلى » ، والآن أراد النبى وأصدقاؤه الصالحون انتهاز الفرصة السانحة وتشجيع إخوتهم على الاقتناع بالخطية الذى كانوا تحت تأثيره .

(ملاحظة) على الذين يميلون إلرجوع إلى الله عليهم هم أنفسهم أن يبذلوا كل ما في وسعهم لحث الآخرين وتشجيعهم على الرجوع إليه .

أولا : ما الذى اعتزموا عمله « **هلم نرجع إلى الرب** » ع ١ . لنكف عن أن نذهب مرة أخرى إلى أشور، أو نرسل إلى « الملك ياريب » (إلى « ملك عدو ») . يكفينا ما عانيناه من

هـذا . بـل « لنرجع إلى الرب » . لنرجع من عبادتنا الوثنية إلى عبادة الرب ، ومن الا تكال على الخليقة إلى الاعتماد عليه .

(مـلاحـظة) إن أعظم واجب على من ارتدوا عن الله هو أن يرجعوا إليه . والذين ابتعدوا عـنه بـارادتهـم ، وكـجـمـاعـة ، دافـعين بـعـضـهـم بعضاً الى الخطية ، يجب عليهم أن يرجعوا إليه بارادتهم ، وكجماعة ، وهذا يؤول إلى مجده وإلى بنيانهم المتبادل .

ثانيا : ما هى الاغراءات والتشجيعات التى تمسكوا بها ليتمموا هذا ، لكى يحثوا بعضهم بعضاً .

١ ــ اختبارهم الماضى عن استيائه وغضبه : لنرجع إليه « **لأنه هو افترس وضرب** » . إنـنا قد افترسنا ، وهو الذى افترسنا . لقد ضربنا ، وهو الذى ضربنا . لذلك فلنرجع إليه ، لأنه هو افـتـرسـنا وضربنا بغضب بسبب ارتدادنا عنه ، ولا يمكننا أن نتوقع بأن يتصالح معنا إلا إن رجعنا ألـيـه . ومن أجل هذه الغاية ضربنا هكذا لكى نتأثر ونرجع إليه . ستظل يده ممدودة علينا « إن لم يرجع الشعب إلى ضاربه » (إش ٩ : ١٢ و١٣) .

(مـلاحـظـة) إن التأمل فى قصاصات الله علينا وعلى بلادنا و سيا إن كانت قصاصات ممزقة ومفترسة ، يجب أن توقظنا وترجعنا إلى الله بالتوبة والصلاة وإصلاح الحياة .

٢ ــ انـتظارهم لعطفه ورحمته : إن الذى « **افترس يشفينا** » ، والذى « **ضرب يجبرنا** » كما يفعل الجراح الماهر بيده الرقية إذ يجبر العظام المكسورة و يضمد الجروح الدامية .

(ملاحظة) إن نفس العناية الإلهية التى تضرب شعبه هى التى تغيثهم ، ونفس روح الله الـذى يـقـنـع الـقديسين بخطاياهم هو الذى يعزيهم . والروح الذى يكون فى البداية روح العبودية يصير فيما بعد روح التبنى .

هـذا اعـتـراف بـقدرة الله ، فهو يقدر أن يشفى حتى وإن كنا قد افترسنا جداً ، واعتراف برحمته ، فهو يريد أن يشفى ، بل إنه افترس لكى يشفى .

يـظـن الـبـعـض أن هـذه تـشير بـصفة خاصة إلى عودة اليهود من بابل عندما طلبوا الرب ، واتحدوا به على رجاء أن يرجع إليهم برحمته .

(ملاحظة) إنه نافع لنا جداً، سواء فى تدعيمنا وقت مصائبنا، أو فى تشجيعنا وقت توبتنا، أن نفكر أفكاراً طيبة فى الله وفى مقاصده من نحونا.

أما تلك الرحمة التى كانوا يرجونها من الله فقد وضعت هنا بمظاهر متعددة.

(١) لقد منوا أنفسهم بأن خلاصهم من متاعبهم سيكون لهم كحياة من الموت ع ٢: «**يحيينا بعد يومين**»، أى فى وقت وجيز، فى يوم أو اثنين. «**وفى اليوم الثالث**» الذى ينتظر فيه أن يتعفن الجسم الميت، و يتلف، و يتوارى عن الأنظار، عندئذ «يقيمنا فنحيا أمامه» نرى وجهه فنتعزى وننتعش وتعود إلينا الحياة. إن كان «يتركنا لحظة فانه بمراحم عظيمة يجمعنا» (اش ٥٤: ٧).

(ملاحظة) إن شعب الله قد لا يفترسون و يضربون فقط، بل يهجرون كأموات، و يستمرون هكذا فترة طويلة. لكنهم لا يستمرون هكذا إلى الأبد، ولا يبقون هكذا مدة طويلة. ففى فترة وجيزة يحييهم الله أما التأكيد الذى أعطى لهم فى هذا الصدد فيجب أن يدفعهم على الرجوع إليه والالتصاق به.

لكن يبدو أن هذه تشير أيضاً إلى قيامة يسوع المسيح. وقد حدد الوقت بيومين واليوم الثالث، رمزاً وإشارة إلى قيامة المسيح فى «اليوم الثالث»، التى قيل عنها إنها تمت «حسب الكتب» (١ كو ١٥: ٤)، أى حسب هذا السفر، لأن كل الأنبياء «شهدوا بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها» (١ بط ١: ١١).

فلننظر ونعجب بحكمة الله وصلاحه فى ترتيب كلمات النبى بحيث انه عندما تنبأ بخلاص الكنيسة من متاعبها استطاع فى نفس الوقت أن يشير إلى خلاصنا بالمسيح، والذى كان يرمز إليه كل خلاص آخر، بل كان ثمرة له.

ومع أنهم لم يفطنوا قديماً إلى هذا السر فى هذه الكلمات إلا إنها، وقد تمت حرفياً بقيامة المسيح، فانها تؤيد إيماننا بأن هذا هو الذى كان ينبغى أن يأتى، وأننا يجب أن لا ننتظر آخر.

وإنه لأمر لائق من كل وجه أن النبوة بقيامة المسيح يعبر عنها هكذا: «سوف يقيمنا فنحيا». لأن المسيح قام كباكورة، ونحن نحيا به. لقد قام لأجل تبريرنا، فقيل عن كل المؤمنين إنهم أقيموا مع المسيح. أنظر (إش ٢٦: ١٩).

إذن فانه نافع لتعزية الكنيسة، وللتأكيد بأن الله يقيم كل المؤمنين من حالتهم الوضيعة، لأنه فى ملء وقته كان سيقيم من القبر ابنه الذى يكون حياة ومجداً لشعبه اسرائيل.

(مـلاحـظـة) إن التـأمـل بـإيمـان فـى المسيح المقام عضد كبير للمسيحى المتألم ، و يقدم تـشجيعاً عظيماً للخاطىء التائب الراجع إلى المسيح ، لأنه قال « لأنى أنا حى فأنتم ستحيون » (يو ١٤ : ١٩) .

(٢) إنهم حينئذ يتقدمون فى معرفة الله ع ٣ « **لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب** (١) » . إذن فعندما يرجع الله برحمته لشعبه ، و يقصد لهم نعمة ، فانه ــ كعربون وثمر لنعمته ــ يعطيهم المزيد من معرفته . « فالأرض تمتلىء من تلك المعرفة » (إش ١١ : ٩) ، « والمعرفة تزداد » (دا ١٢ : ٤) ، « والكل يعرفون الله » (إر ٣١ : ٣٤) .

« نعرف الرب ونستمر فى طلب المعرفة » . وقد تعتبر كثمار لقيامة المسيح ، والحياة التى نحياها به أمام الله ، فلا تكون لنا فقط وسائط ، أعظم للمعرفة ، بل نعمة لكى ننمو فى المعرفة بهذه الوسائط .

(مـلاحـظـة) عندما يقصد الله رحمة لشعب فانه « يعطيهم قلباً ليعرفوه » (إر ٢٤ : ٧) . والذين قاموا مع المسيح يعطون « روح الحكمة والإعلان » (اف ١ : ١٧) .

وإن كـان المقصود « بالحياة أمامه » هو يوم قيامة الأموات ، حسب التفسير الكلدانى ، فقد لاق أن يأتى بعدها مباشرة « لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب » ، لأننا فى ذلك اليوم سنراه كما هو وتتكمل معرفتنا له ، ومع ذلك تستمر فى النمو إلى الأبد .

أما إن أخذنا العبادة على هذا الوجه « إذا استمر ينا فى طلب المعرفة » فاننا نرى هنا :

[١] وعداً ببركة ثمينة : « عندئذ نعرف » . نعرف الرب عندما نرجع إلى الله .

(مـلاحظة) إن الذين يأتون إلى الله يتعرفون به . عندما يقصد لنا بأن « نحيا أمامه » فانه يعطينا أن نعرفه . لأن « هذه هى الحياة الأبدية أن نعرف الله » (يو ١٧ : ٣) .

[٢] الطريقة والوسائل التى بها نحصل على هذه البركة . يجب أن نستمر فى طلب معرفته ، يجب أن ندرك قيمة معرفة الله على أساس أنها أحسن معرفة ، يجب أن ندعوها ونبحث عنها كالكنوز (أم ٢ : ٣ و ٤) ، يجب أن نسعى بكل استطاعتنا لإنمائها . وعندما نتمم الواجب

---

(١) « ونعلم ونتبع الرب لنعرفه » حسب ترجمة اليسوعيين ، « سوف نعرف الرب إذا استمر ينا فى طلب معرفته » حسب الترجمة الانكليزية .

المرسوم يكون لنا الحق بأن نتوقع الرحمة الموعودة بها وهى أن نعرف عن الله أكثر فأكثر، وأخيراً نتكمل فى هذه المعرفة .

[٣] وعندئذ يزدادون فى التعزيات الإلهية . « **خروجه يقين كالفجر** (١) ، أى عودة مراحمه التى سبق أن سحبها منها عندما « ذهب ورجع إلى مكانه » إن خروجه ثانية معد ومضمون لنا جداً بكل « يقين » كرجوع الفجر بعد الليلة المظلمة ، ونحن ننتظره كالذين « ينتظرون الصبح » بعد ليل طويل ، واثقين أنه لابد أن يأتى فى الوقت المحدد دون أى ريب . و يكون نور وجهه حلواً لنا ، و يتزايد علينا إلى النهار الكامل ، كنور الفجر.

« **يأتى إلينا كالمطر. كمطر متأخر** (٢) **يسقى الارض** » ،فيحييها ويجعلها مثمرة واضح أن هذه تشير الى مدى ابعد من خلاصهم من السبى ، ولاشك أنها كانت لابد أن تتم كاملة فى المسيح ، وفى نعمة الإنجيل . لقد استمر قديسو العهد القديم فى طلب معرفته ، وكانوا يتطلعون بلهفة إلى الفداء فى أورشليم . وأخيراً كان خروج النعمة الإلهية فى شخصه ، فى خروجه ليفتقد العالم .

[١] كالفجر لهذه الأرض عندما تكون مظلمة . لأنه خرج « كشمس البر» ، وفيه « افتقدنا المشرق من العلاء » (لو ١ : ٧٨) . « لقد أعد خروجه كالفجر» ، لأنه جاء فى ملء الزمان . وكان يوحنا المعمدان هو ممهد الطريق له ، بل كان هو نفسه « كوكب الصبح المنير» (رؤ ٢٢ : ١٦) .

[٢] كالمطر لهذه الأرض عندما تكون جافة . « يأتى مثل المطر على الجزاز» (مز ٧٢ : ٦) . فيه تنزل سيول من البركات على هذا العالم « فتعطى زرعاً للزارع وخبزاً للآكل » (إش ٥٥ : ١٠) .

ونعمة الله فى المسيح هى رضا الملك الذى قيل عنه إنه « كسحاب المطر المتأخر» (أم ١٦ : ١٥) . ونعمة الله فى المسيح هى المطر « المبكر والمتأخر» ، لأن به يبدأ عمل الإثمار المبارك و يستمر.

٤ ماذا أصنع بك يا أفرايم . ماذا أصنع بك يايهوذا . فإن إحسانكم كسحاب الصبح وكالندى الماضى باكراً ٥ لذلك أقرضهم بالأنبياء أقتلهم بأقوال فى والقضاء عليك كنور قد خرج .

---

(١) « قد أعد خروجه كالفجر» حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .
(٢) « كالمطر المبكر المتأخر» حسب الترجمة الانكليزية .

٦ إنـى أريـد رحمة لا ذبيحة . ومعرفة الله أكثر من محرقات ٧ ولكنهم كآدم تعدوا العهد . هـنـاك غـدروا بـى ٨ جـلـعاد قرية فاعلى الإثم مدوسة بالدم ٩ وكما يكمن لصوص لإنسان كذلك زمرة الكهنة فى الطريق يقتلون نحو شكيم . إنهم قد صنعوا فاحشة ١٠ فى بيت اسرائيل رأيت أمراً فـظـيـعاً . هـناك زنى أفرايم . تنجس إسرائيل ١١ وأنت أيضاً يايهوذا قد أعد لك حصاد عندما أرد سبى شعبى .

هنا نرى شعبى يهوذا وأفرايم يتهمون بعدل بشرين .

أولاً : إنهـم لم يـكـونـوا ثـابتين فى عقيدتهم ، كانوا مزعزعين ع ٤ و ٥ ، « فائرين كالماء » (تك ٤٩ : ٤) « **ماذا أصنع بك يا أفرايم . ماذا أصنع بك يايهوذا** » . هذا تعبير غريب . فهل يمـكـن للـحكمـة اللانهـائـية أن تكون فى حيرة لا تدرى ماذا تصنع ؟ هل يمكن أن ترتبك أو تتخذ إجراءات جـديدة ؟ حاشا ، لكن الله يتكلم هنا بلغة البشر، لكى يبين مقدار سخافتهم وحماقتهم ، وكـيـف كـانـت إجـراءاتـه مـن نحـوهـم عـادلة . ينبغى أن لا يشكوا أو يتذمروا منه بأنه قاس فى افـتـراسـهـم وفـى ضربهم كما فعل ، لأنه ماذا كان ممكناً أن يصنع غير هذا ؟ أى طريق آخر كان يمـكـن أن يـتـخـذه مـعـهـم ؟ لـقـد جـرب الله مـعهم طرقاً مختلفة « ماذا يصنع أيضاً لكرمى وأنا لم أصـنـعـه » ؟ (إش ٥ : ٤) . وكـان لايـشاء أن يكون قاسياً معهم . لقد ناقش نفسه كما فعل فى (ص ١١ : ٨) . « كـيـف أجـعـلـك يا افرايم » ؟ كان الله يريد أن يصنع معهم خيراً ، لكنهم لم يـكـونـوا مـؤهـلين لـه . « مـاذا أصنع بك » ؟ ماذا أصنعه بك سوى أن أنبذك أن كان لا يمكن أن اخلصك ؟ .

(ملاحظة) إن الله لن يهلك الخطاة إلا إذا رأى أنه لم تعد تفلح معهم أية طريقة أخرى .

١ ــ مـاذا كـان تـصرفـهـم مـن نحـو الله « **إحسانكم (١) كسحاب الصبح** » . يظن الـبـعـض أن المقصود هنا إحسانهم لذواتهم ولنفوسهم بتوبتهم . إنها رحمة حقاً لأنفسنا أن نتوب عن خطايانا . لكنهم سرعان ما هدموا هذا الإحسان ، وأساءوا إلى نفوسهم ، كما فعلوا من قبل .

لـكن الأرجح ان المقصود هو تقواهم وتدينهم . فان ما كان يظهر فيهم من خير وصلاح فى بـعـض الأحيان تلاشى فى الحال « **كسحاب الصبح وكالندى الماضى (٢) باكراً** » . هكذا كـان صلاح إسرائيل فى عصر ياهو، وصلاح يهوذا فى عصر كل من حزقيا و يوشيا . فانه تلاشى فى الحال .

(١) « رحمتكم » حسب ترجمة اليسوعيين ، « صلاحكم » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) « الذى يزول » حسب ترجمة اليسوعيين .

في أيام القحط يبشر سحاب الصبح بالمطر، و ينعش الندى الباكر الأرض لحد ما لكن السحاب يتبدد (وقد شبه الراؤون « بغيوم بلا ماء » يه ١٢) ، والندى لا ينفذ إلى باطن الأرض ، لكنه يتبخر فيرجع إلى الهواء ثانية ، وهكذا تستمر الأرض في جفافها .

وماذا يصنع بهم الله ؟ هل يقبل إحسانهم (صلاحهم) ؟ كلا ، فانه يزول . وكما يقول المثل اللاتيني « إن ما لا يدوم لا يقال عنه إنه كان » .

(ملاحظة) إن الصلاح الذي يكون كسحاب الصبح والندى الباكر لن يرضى الله ولن يفيدنا . عندما يعد الناس بأن يعملوا الخير ولا يتممون . عندما يبدأون بداية حسنة في الشئون الروحية ولا يستمرون ، عندما يتركون محبتهم الأولى وأعمالهم الأولى ، عندما يكونون غير ثابتين حتى وإن لم ينبذوا التقوى نهائياً ، فعندئذ يكون صلاحهم « كسحاب الصبح والندى الباكر » .

٢ — أي طريق اتخذه الله معهم ع ٥ « لذلك » ، لأنهم كانوا خشني الملمس ومشوهين ، فاني « **أقرضهم** (١) **بالأنبياء** » كما ينحت و يصقل الحجر والخشب ليكونا صالحين للاستعمال . « **وأقتلهم بأقوال في** » . إن ما فعله الأنبياء فعلوه بكلمة الله في أفواههم ، وهي لم ترجع فارغة قط . بالكلمة ظنوا أنفسهم أنهم قد قتلوا ، كأنوا يقولون إن الأنبياء قتلوهم ، أو قطعوا نياط قلوبهم مع أنهم كانوا أمناء جداً معهم .

(١) الأنبياء نحتوهم بادانتهم إياهم بالخطية، محاولين أن يستأصلوا تعدياتهم منهم . لقد كانوا غير مستقيمين في ديانتهم ع ٤ ، لذلك نحتهم الله وسواهم . ليست قلوب الخطاة كالحجارة فقط ، بل كالحجارة الغشيمة التي تحتاج إلى مجهود كبير لصقلها ، أو كالخشب الكثير العقد ، الذي يحتاج إلى مجهود كبير لتسويته . وعمل الخدام هو أن يصقلوهم . والله يصقلهم بخدامه ، لأنه مع الأعوج يكون ملتوياً » (٢ صم ٢٢ : ٢٧) .

وهنالك من يجب أن يوبخهم الخدام بشدة . وكل كلمة يجب أن تقطع . و بالرغم من أن الشظايا قد تتطاير في وجه العامل ، و بالرغم من أن قابل التوبيخ قد يهب في وجه موبخه ، ويحسبه عدواً لأنه يكلمه بالحق ، إلا أنه يستمر في خدمته .

---

(١) « نحتهم » أي صقلتهم حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

(٢) وقتلوهم باعلان الغضب عليهم ، متنبئين بأنهم سوف يقتلون ، كما قيل عن حزقيال بأنه « جاء ليخرب المدينة » عندما تنبأ بخرابها (حز٤٣ : ٣) . ولقد تمم الله ما سبق أن تنبىء به « قتلهم » بقصاصاتى ، بحسب « أقوال فمى » .

(ملاحظة) إن كلمة الله إما أن تميت الخطية ، أو تميت الخاطىء ، إما أن تكون رائحة حياة لحياة ، أو رائحة موت لموت .

و يقرأ البعض هذه العبارة هكذا : « لذلك قرضت الأنبياء وقتلتهم بأقوال فمى » . أى استخدمتهم فى عمل شاق أفنى قوتهم . وذلك من أجل خير الشعب . لقد بذلوا أنفسهم ، وقرضوا كل أرواحهم فى عملهم ، وفى الخدمة الخطرة ، التى كلفت الكثيرين منهم حياتهم .

(ملاحظة) الخدام هم الآلات التى يستخدمها الله فى التأثير على الشعب . ومع انهم يتعبون عبثاً مع الكثيرين منهم ، إلا أن الله سيحاسب من أجل فناء آلاته .

(٣) وبهذا تبرر الله فى معاملته القاسية معهم فيما بعد . لقد تعب معهم أنبياؤه كثيراً ، فوبخوهم من أجل خطاياهم ، وحذروهم من أخطارها . لكن الوسائل التى استخدمت لم تكن لها النتيجة المرجوة . لعلها كانت بعض التأثيرات الطيبة وقتياً ، لكنها زالت ، وتلاشت كسحابة الصبح . والآن لا يمكنهم أن يتهموا الله بالقسوة إن أتى عليهم بالمصائب التى هددهم بها .

ثم التفت النبى إلى الله واعترف قائلا « **القضاء عليك (١) كنور قد خرج** » واضح أن احكامك عادلة وصادقة .

(ملاحظة) إن لم تفلح المجهودات المضنية التى يبذلها الخدام لإصلاح الخطاة **فان الله** يتبرر بها فى أقواله و يزكو فى قضائه (مز ٥١ : ٤) انظر (مت ١١ : ١٧ — ١٩) .

ثانيا : ولم يكونوا أمناء لعهد الله معهم ع ٦ و ٧ . هنا نلاحظ

١ — ماذا كان العهد الذى قطعه الله معهم ، وما هى الشروط التى بها كان يمكن أن ينالوا رضاه وأن يكونوا مقبولين أمامه ع ٦ « **إنى أريد رحمة (١) لاذبيحة** » أى أفضل من الذبيحة . وأصر على هذا فقال « **ومعرفة الله أكثر من محرقات** » . وكلمة « رحمة » هى التى

---

(١) « احساناً » حسب هامش ترجمة بيروت .

(١) « أحكامك » حسب الترجمة الانكليزية .

ترجمت « إحسان » في ع ٤ ، أى صلاح ، أو تقوى ، أو طهارة . إنها تمثل كل التدين العملى . و يقابلها فى العهد الجديد « المحبة » ، ومحبة الله والقريب . على أن تكون هذه مقترنة « بمعرفة الله ، ونابعة منها ، كما أعلن عن نفسه فى كلمته ، و بايمان وثيق بأنه « يجازى الذين يطلبونه » (عب ١١ : ٦) ، وانعطاف طيب نحو الإلهيات مسترشد بتمييز طيب ، الأمر الذى لا يمكن إلا أن ينتج سيرة طيبة جداً . هذا هو ما يتطلبه الله بعهده ، لا ذبيحة ولا محرقات .

هذا ما فسره إرميا النبى تفسيراً كاملا (إر ٧ : ٢٢ و ٢٣) « لأنى لم أكلم أباءكم ولا أوصيتهم من جهة محرقة وذبيحة » ، فان هذه هى أبسط الأمور التى كلمتهم عنها ، والتى وضعت عليها أقل تشديد . « بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلا إسمعوا صوتى » (مى ٦ : ٦ — ٨) .

إن محبة الله والقريب « هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح » (مر ١٢ : ٣٣ ، مز ٥١ : ١٦ و ١٧) . ليس هذا معناه أن المحرقات والذبائح لم تكن مطلوبة ، ولم تكن نافعة إن كانت مقترنة بالرحمة ومعرفة الله ، ولم تكن مقبولة أمامه ، لكن المقصود هو أن الله لم يكن يلتفت إليها ، بل بالحرى كان يحتقرها إن لم تكن مقترنة بالرحمة ومعرفة الله (اش ١ : ١٠ و ١٩) .

ولعل هذه ذكرت هنا لإظهار الفرق بين الله الذى هجروه والآلهة التى ساروا وراءها . إن الإله الحقيقى لم يبغ إلا أن يكونوا أشخاصا صالحين ، و يعيشوا حياة صالحة لصالحهم ، وكان إكرامه بالذبائح أبسط مواد ناموسه . أما الآلهة الكاذبة فلم تتطلب غير هذه الذبائح . ليشبع الكهنة والمذابح بالذبائح والتقدمات ، وليعش الشعب كما يهوون .

إذن فيالحماقة أولئك الذين تركوا الله الذى يهدف إلى أن يمنح عابديه طبيعة جديدة ليتبعوا الآلهة التى لم تهدف إلا إلى أن تمنح ذواتها أسماء جديدة .

وقد ذكرت أيضاً لكى تبين أن محاكمة الله لهم لم تكن بسبب إبطال الذبائح « لا على ذبائحك أو بخك » (مز ٥٠ : ٨) ، بل لأنه « لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله » بينهم (ص ٤ : ١) ولكى تعلمنا كلنا أن « قوة التقوى » هى الأمر الجوهرى الذى يتطلع إليه الله و يتطلبه ، و بدونها تصبح « صورة التقوى » عديمة الجدوى .

إن التقوى الجدية فى القلب والحياة هى الأمر الواحد الذى يطلبه الله (لو ١٠ : ٤٢) . و بدونها تصبح كل مظاهر العبادة عديمة القيمة مهما كانت جميلة ، ومهما كانت مكلفة .

لقد اقتبس مخلصنا هذه العبارة ليظهر بأن الناموس الأدبي مفضل على الناموس الطقسى إذا ما تعارضنا ، ولكي يبرر نفسه فى الأكل مع العشارين والخطاه ، لأنه فعل ذلك رحمة بنفوس

البشر، ولكى يبرر نفسه فى إتمام الشفاء يوم السبت ، لأنه فعل ذلك رحمة بأجساد البشر، الأمر الذى يجب أن يضحى من أجله تقليد تجنب الخطاة عند الأكل ، وراحة يوم السبت (مت ٩ : ١٣ ، ١٢ : ٧) .

٢ ــ كيف أنهم لم يحترموا هذا العهد ، بالرغم من أنه كان « متقناً فى كل شيء » (٢ صم ٢٣ : ٥) ، وبالرغم من أنه كان مصدر ربح لهم وليس لله . أنظر هنا كيف تصرفوا من نحوه .

(١) إنهم بصفة عامة عصوا الله ، وبرهنوا على عدم أمانتهم لقد اؤتمنوا على أمور ثمينة جداً ليحفظوها كالجواهر، الرحمة والتقوى ، ومعرفة الله ، مع تقديم الذبائح والتقدمات . لكنهم خانوا الأمانة ، واستخدموا الجواهر لإشباع شهوة دنيئة . وهذا هو السبب الذى لأجله خاصمهم الله ع ٧ « **ولكنهم كآدم** (١) **تعدوا العهد** » ، ذلك العهد الذى قطعه الله معهم ، نقضوا شروطه ، فخسروا بركاته . وبنبذ الرحمة ومعرفة الله ، وبمظاهر أخرى لعدم الطاعة :

[١] ارتكبوا خطية الحنث بالعهد ونقضه . كانوا كأناس تعدوا عهداً ارتبطوا به بشدة ، الأمر الذى يعيرهم به كل العالم . وإن أناساً فعلوا هكذا لا يستحقون أى احترام قط ، ولا يؤتمنون ، ولا يستحقون التعامل معهم .

« هناك » أى فى ذلك الأمر « **غدروا بى** » ، كانوا أبناء خونة ، منحطين ، زائفين ، لا إيمان لهم ، مع إنى كنت اعتمد على أنهم « بنون لا يخونون » (إش ٦٣ : ٨) .

[٢] وفى هذا تصرفوا كما يليق بهم ، **كآدم** » ، « كبشر » والبشر بصفة عامة خونة وغادرون ، والغدر من طبيعتهم (طبيعتهم الفاسدة) . كل إنسان كاذب » (مز ١١٦ : ١١) ، وهم كباقى ذلك الجيل الفاسد ، « الكل قد زاغوا معاً وفسدوا . ليس من يعمل صلاحاً . ليس ولا واحد » (مز ١٤ : ٢ و٣) .

لقد « تعدوا العهد » ، « كبشر » ، كالأمم الذين تعدو العهد الطبيعى ، كبشر خسيسين ، والكلمة المستعملة هنا تستعمل فى بعض الأحيان لتعبر عن بشر فى حالة وضيعة . لقد تصرفوا بغدر كأشخاص خسيسين ، ليس لديهم أقل شعور بالكرامة .

[٣] وهنا سلكوا فى خطوات أبوينا الأولين « ولكنهم كآدم تعدوا العهد » كما تعدى آدم عهد البرارة هكذا تعدوا هم عهد النعمة ، تعدوه بغدر وبحماقة كما فعل آدم .

---

(١) « كأناس » حسب الترجمة الانكليزية ، وهامش ترجمة بيروت .

هنـاك فى الفردوس نقض تعهداته مع الله ، « وهناك » فى كنعان (وهى فردوس آخر) نقضوا تعهداتهم . و بغدرهم وخيانتهم اهلكوا أنفسهم ونسلهم كما فعل آدم .

(ملاحظة) كلما كانت الخطية « على شبه تعدى آدم » إزدادت شناعة (رو ٥ : ١٤) .

[٤] وكـان أسـاس كـل هـذه الشرور أفكارهم المنحطة عن الله وعن سلطانه وعن محبته وعـطـفـه . « تـعـدوا الـعـهـد كأنه عهد إنسان » (كما يقرأها البعض) ، كأنه عهد إنسان فى نفس مـسـتـواهـم ، كأن أوامر و وصايا العهد وضعها إنسان نظيرهم ، وكأن العطف الذى يتضمنه ذلك العهد لا يز يد عن عطف إنسان .

إن عـهـد الإنـسان فيه شيء من القداسة ومن الإلزام ، كما بين الرسول (غل ٣ : ١٥) ، فكم يكون عهد الله الذى ازدروا به . « وهناك » فى ذلك العهد « غدروا » ، وعدوا وعوداً طيبة و لكنهم لم يتمموا منها شيئاً .

لـقد قيل هنا عن التصرف بغدر مع الله انه غدر به « غدروا بى » ، لأنه ليس إساءة فقط بـل مـقـاومة . والذين يهجرون الله يعتبرون غادر ين . وهكذا يعاملون على هذا الأساس . والقلب العاصى قلب متمرد .

(٢) وهـنـا نـرى بـعـض مـظاهر غدرهم . « هناك غدروا بى » ، أى فى الأماكن التى ذكرت فيا بعد .

[١] أنـظر إلى عبر الأردن ، إلى البلاد الأكثر تعرضاً لإهانات الأمم المجاورة ، والتى من أجـل هـذا كان ينبغى على الشعب أن يحفظوا أنفسهم تحت حمى الله . ومع ذلك تجدهم قد أغاظوا الـعـزة الإلهـيـة بأشد جسارة ع ٨ . فان « **جلعاد** » التى كانت تقع فى نضيب جاد ونصف سبط مـنـسـى كـانـت « **قـريـة فـاعـلـى الاثم** » . كـان الشر هـو تجارتـهـا الـتى انتقلت اليها . كانت المـمـلـكـة تـسمى « جلعاد » ، لكنها دعيت هنا « قر ية (١) » ، لأنهم كلهم إجتمعوا جماعة واحدة متمردة على الله .

أو ، كما يـظـن الأغلبية ، أن المقصود هنا هو « مدينة راموت جلعاد » ، وهى إحدى مدن المـلـجـأ الـثـلاثة فى عبر الأردن ، وكمدينة للاو يين . فان سكانها ، ولو كانوا من السبط المقدس ، كانوا « فاعلى الإثم » ، دبروا الإثم ، ومارسوه .

---

(١) « مدينة » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليز ية .

(ملاحظة) من أشر الأمور فعلا أن تكون مدينة للاويين مدينة « فاعلى الإثم » ، أن يعيش حياة فاسدة أولئك الذين ينادون بتعاليم صالحة .

وكانت بصفة خاصة « مدوسة (1) بالدم » . كأن تلك كانت هى الخطية التى ارتكبها اللاويون الأشرار بصفه خاصة . مما يلاحظ مع الحزن المرير أن من بعض من يتصدون للخدمة الدينية يتعطشون لسفك الدماء .

أو أنها كانت « مدينة ملجأ » . وإذ أساءت استخدام السلطان الذى لديها لمحاكمة القاتلين صارت « منجسة بالدم » . من أجل الرشوة كانوا يحمون من تثبت عليه جريمة القتل عمداً ، بدلا من أن يحكموا عليه بالقتل . وكانوا يسلمون لولى الدم من يكون قد قتل سهواً إن كان فقيراً وليس لديه ما يعطيهم . وبهاتين الطريقتين « تنجسوا بالدم » .

(ملاحظة) الدم ينجس الأرض التى سفك فيها ، والأرض التى لا يجرى فيها التحقيق لمعرفة القاتل ، أو لا ينتقم من القاتل . أنظر كيف أن أفضل المعاهد التى قصد بها أن تحفظ التوازن بين العدل والرحمة يمكن إساءة استخدامها بحيث تنقض كلا من العدل والرحمة .

[٢] أنظر إلى أولئك الذين كانت مهمتهم أن يخدموا المقداسات فصاروا اشراراً كأشر الأشرار، ونجسين كأنجس النجسين ع ٩ . فقد كان « زمرة الكهنة » هكذا ، لا كأفراد ، بل كلهم كزمرة واحدة ، كجماعة واحدة ، كل الكهنة ساروا فى طريق واحدة ، وكان كل واحد يجعل غيره أشر منه ، وأشد وقاحة وجرأة ووحشية فى ارتكاب الخطية ، أكثر دهاء وأشد قسوة .

كان « زمرة الكهنة » يتآمرون فيما يقولون و يفعلون ، الأمر الذى كان لا يجرؤ واحد منهم أن يفعله وحده .

كان « زمرة الكهنة » كعصابة لصوص « كما يكمن لصوص لإنسان » ، كقطاع طرق ، يقتلون لينهبوا .

أولا : كانوا قساة ومتعطشين للدماء . كانوا « يقتلون » من يحقدون عليهم ، أو من يقفون فى طرقهم . ولم يكن يشفى غليلهم شىء أقل من هذا .

ثانياً : كانوا ماكرين محتالين . كانوا « يكمنون » للناس ، لكى يجدوا الفرصة المناسبة لإتمام مقاصدهم الشريرة الخبيثة . هكذا كمن زمرة الكهنة للمسيح ليقتنصوه قائلين « ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب » (مت ٢٦ : ٥) .

(١) « منجسة » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

ثالثاً : وكانوا « **في الطريق يقتلون** » ، في الطريق العام الرئيسي ، الذي يجب أن يكون فيه المسافرين آمنين . « هناك » كانوا « **يقتلون** (١) » ، كل واحد يساعد الآخر ويحفزه ويحرضه ، أنظر كيف يتفق الأشرار بالاجماع في عمل الشر . فلا يجدر بالصالحين أن يتفقوا بالإجماع في عمل الخير .

كانوا « **يقتلون نحو شكيم** (٢) » يقتلون الصاعدين لأورشليم للعبادة ، حيث كانت تقع شكيم في ذلك الطريق .

أو ، كما يظن البعض ، أن هذه العبارة قد تعني : بنفس الطريقة التي بها قتل أبوهم لاوى ــ مع شمعون أخيه ــ أهل شكيم (تك ٣٤) بالغدر والخيانة . والبعض الآخر يظن أنها قد تعني أنهم يهلكون نفوس الناس بدفعهم للخطية .

رابعاً : وفعلوا ذلك بحيلة ودهاء « إنهم قد صنعوا فاحشة » . والكلمة « فاحشة » تشير إلى الشر الذي يرتكب بعد تفكير طويل ، و باصرار . كلما ازداد التفكير والتدبير والمؤامرة في ارتكاب الخطية ازدادت قباحة وشناعة .

[٣] انظر إلى مجموع الشعب ، تطلع إلى كل بيت اسرائيل ، تجدهم كلهم على السواء ع ١٠ « **في بيت اسرائيل رأيت أمراً فظيعا** » ومع أنهم دبروه بمنتهى الحرص فان الله اكتشفه ، وأعلنه لهم ، ومن ذا الذي يستطيع أن ينكر ما قال الله عنه إنه قد رآه .

« **هناك زنى أفرايم** » الزنى الجسدي ، والزنى الروحي . إنه واضح جداً بحيث لايمكن إنكاره .

(ملاحظة) إن في خطية الخطاة ، سيما خطاة بيت اسرائيل ، ما يكفي ليجعلهم يرتعبون ، لأنها أمر « فظيع » ، مذهل ، يحمل التهديد المروع ، ما يكفي ليجعلهم يخجلون ، لأن اسرائيل يتدنس بها ، و يصير كريها في نظر الله .

[٤] أنظر إلى يهوذا تجده مشتركاً مع اسرائيل ع ١١ « **وأنت أيضاً يايهوذا قد أعد لك حصاد** » ينبغي أن تحاسب كأفرايم ، قد تهيأت للهلاك أنت أيضاً ، والوقت المعين لهلاكك مسرع ، فأن « الحارثين إثما والزارعين شقاوة يحصدونها » (أى ٤ : ٨) .

---

(١) « يقتلون باتفاقهم معا » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) « في طريق شكيم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

تشبه الدينونة العامة بالحصاد (مت ١٣ : ٣٩) ، وهكذا تشبه الدينونة الخاصة أيضاً (يوئى ٣ : ١٣ ورؤ ١٤ : ١٥) .

قد حددت وقتاً لأحاسبك ، وهو « **عندما أرد سبى شعبى** » . أى عندما يرجع مسببو يهوذا الذين كان قد سباهم رجال اسرائيل ، وفقاً لأمر الله الذى ارسل اليهم عن يد عوديد النبى (٢ أى ٢٨ : ٨ ـــ ١٥) . عندما أنقذهم الله فى ذلك الوقت « أعد لهم حصاداً » أى قصد أن يحاسبهم مرة أخرى عن كل ما فعلوه .

(ملاحظة) إن لم يحسن الانتفاع بالإنقاذ من القصاص الحاضر صار مجرد حفظ لقصاص أشد .

الأصحاح السابع

في هذا الأصحاح نجد :

(١) تهمة عامة موجهة لاسرائيل من أجل جرائمهم الشنيعة وتصرفاتهم المعيبة التي بها أو صدوا طريق مراحم الله لهم ع ١ و ٢ .

(٢) تهمة خاصة موجهة .

١ — للقصر الملكي ، الملك والرؤساء والقضاة ع ٣ — ٧ .

٢ — للمملكة . لقد اتهم أفرايم هنا بالتشبه بالأمم ع ٨ ، و بعدم الاحساس و بالبلادة وهم تحت قصاصات الله ع ٩ — ١١ ، و بالجحود لله وعدم شكره من أجل مراحمه ع ١٣ و بعدم قابليتهم للاصلاح وهم تحت قصاصاته ع ١٤ ، و بازدرائهم لله ع ١٥ . و بالرياء في ادعائهم الرجوع إليه ع ١٦ ولقد هددوا أيضاً بتأديب شديد قاس ، سوف يذلهم ع ١٢ ، وإن لم يفلح معهم هذا حل بهم الهلاك التام ع ١٣ ، سيا هلاك رؤسائهم ع ١٦ .

١ حينما كنت أشفي إسرائيل أعلن اثم أفرايم وشرور السامرة فأنهم قد صنعوا غشاً . السارق دخل والغزاة نهبوا في الخارج ، ٢ ولا يفتكرون في قلوبهم أني قد تذكرت كل شرهم . الآن قد أحاطت بهم أفعالهم . صارت أمام وجهي .

٣ بشرهم يفرحون الملك و بكذبهم الرؤساء ٤ كلهم فاسقون كتنور محمى من الخباز . يبطل الايقاد من وقتما يعجن العجين إلى أن يختمر ٥ يوم ملكنا يمرض الرؤساء من سورة الخمر . يبسط يده مع المستهزئين ٦ لأنهم يقربون قلوبهم في مكيدتهم كالتنور . كل الليل ينام خبازهم وفي الصباح . يكون محمى كنار ملتهبة ٧ كلهم حامون كالتنور وأكلوا قضاتهم . جميع ملوكهم سقطوا . ليس بينهم من يدعو إليّ .

يفصل البعض كلمات الأصحاح السابق الأخيرة عنه و يضمونها لهذا الأصحاح كبداية له ، وهي « عندما أرد سبي شعبي » ، عندما أكاد آتي إليهم ، بطريق الرحمة ، « حينما كنت أشفي إسرائيل فحينئذ أعلن اثم أفرايم (أي شرور المملكة وعامة الشعب) وشرور السامرة (أي شرور القصر وقادة المدينة) » .

وفي هذه الآيات نلاحظ :

أولاً : فكرة عامة عن حالة إسرائيل وقتئذ ع ١ و ٢ . أنظر كيف كانت حالتهم :

١ ـــ لقد تعطف الله وقصد أن يصنع بهم خيراً « **حينما كنت أشفى إسرائيل** (١) » .
كان إسرائيل مرضى ومجروحين ، كان مرضهم خبيثاً وخطراً ، ويحتمل أن يكون قاتلا (إش ١ : ٦) . لكن الله عرض عليهم بأن يكون هو طبيبهم ، وتعهد بالشفاء ، وكان هنالك بلسان فى جلعاد كاف ليرد الصحة لابنة شعبه . كانت حالتهم سيئة ، لكنها لم تكن ميئسة ، بل طالما كان الله مستعداً أن « يشفى إسرائيل » فقد كان هنالك أمل فى الشفاء .

(١) كان يود إصلاحهم ، يود أن يجعل فاصلاً بينهم و بين خطاياهم ، وأن يطهر الفساد الذى بينهم ، بناموسه و بأنبيائه .

(٢) كان يود أن ينقذهم من متاعبهم ، و يرد إليهم سلامهم ورخاءهم لقد بذلت معهم محاولات متعددة للشفاء ، وكانت حالتهم المنحطة فى بعض الأحيان تبشر بالشفاء ، لكن حماقتهم كانت تدفعهم إلى الوراء ثانية .

(ملاحظة) إن كان الخطاة البؤساء لا يشفون ، ولا يتلقون أية مساعدة ، بل يهلكون فى خطيتهم وفى بؤسهم ، فانهم لايمكنهم أن يلوموا الله ، لأنه قادر أن يشفيهم ، و يريد أن يشفيهم . لقد وعد بأن لا يهلكهم . وهنالك بعض ظروف خاصة يظهر الله فيها استعداده لشفاء كنيسة عليلة ، أو أمة سقيمة . من وقت لأخر تمر أزمة مبشرة بالرجاء ، إذا ما تم التأمل فيها بتدقيق ، وإذا ما أحسن استخدامها ، آلت إلى الحياة والصحة ، مهما كانت الحالة ردية جداً .

٢ ـــ لقد وقفوا فى سبيلهم الشخصى ، وأوصدوا أبوابهم . عندما أراد الله أن يشفيهم ، وكان يرجى لهم الإصلاح والسلام ، عندئذ « **أعلن اثم افرايم وشرور السامرة** » تلك الشرور التى أوقفت تيار مراحم الله ، وأفسدت كل شيء ثانية .

« حينما » ، عندما بدىء بفحص حالتهم ، من أجل إتمام شفائهم ، فان ذلك الإثم الذى كان مختبئاً ومخفقاً « أعلن » . وليس هذا معناه أنه كان مختبئاً عن الله . لكن النبى يتكلم بلغة البشر .

كما أن الجراح عندما يفحص الجرح ليعالجه يجد أنه عديم الشفاء فيكف عن كل محاولة لعلاجه ، هكذا عندما « نزل الله ليرى » حالة اسرائيل وهذا هو التعبير الذى استخدم فى (تك ٨ : ٢١) بقصد رحيم من نحوهم ، وجد شرورهم متزايدة جداً ، وقلوبهم متقسيه فيها ، ووجد أنهم فى غاية الوقاحة والإصرار عليها ، ولذلك لم يشأ أن يعلن لهم الرحمة التى كان يقصدها لهم .

(١) « كنت أود أن أشفى اسرائيل » حسب الترجمة الانكليزية .

(ملاحظة) إن كان الخطاة لايشفقون فلأنهم لاير يدون . فالمسيح يقول لهم « كم مرة أردت أن أجمعكم ولم تر يدوا » .

(٢) « حينا » ، عندما اتخذت بعض الجهود لإصلاحهم ، ظهر ثانية ذلك الشر الذى كان مكبوتاً ومضغوطاً عليه ، واتخذوا من خطوات الله نحو شفائهم فرصة لكى يزدادوا فى إغاظته . عندما استخدمت معهم المجهودات لإصلاحهم إزدادت الرذيلة تهوراً ، وتهيجاً ، وارتفعت كما ترتفع مياه النهر عندما يوضع حاجز فى مجراه . عندما بدأوا ينجحون ازدادوا كبر ياء وطياشة و بلادة ، وهكذا صدوا تيار شفائهم .

(ملاحظة) إن الخطية هى التى تمنع عنا الخيرات عندما تكون آتية إلينا . وإنها لحماقة مهلكة للجماهير أن يسيئوا لأنفسهم عندما ير يد الله أن يحسن إليهم .

وما الذى فعل بهم هذا الشر؟ « **إنهم قد صنعوا غشاً** » ، عبدوا الأصنام ، حسب تفسير البعض ، أو « غشوا بعضهم بعضاً » حسب تفسير الآخر ين . أو بالأحرى أنهم تظاهروا أمام الله بالتو بة والولاء له . لقد قالوا إنهم ير يدونه أن يشفيهم ، ومن أجل هذا إنهم مستعدون للخضوع له . ولكنهم إنما « خادعوه بأفواههم وكذبوا عليه بألسنتهم » (مز ٧٨ : ٣٦) .

٣ ــ وكان أساس كل شرورهم انهم لم يؤمنوا بأن الله عليم بكل شىء وضابط لكل شىء ع ٢ « **لا يفتكرون فى قلوبهم** » . لم يقولوا فى قلوبهم قط ، ولافكروا قط « **إنى قد تذكرت كل** شرهم » . كأن الله لم يقدر أن يراه ، ومع أنه كله عيون ، أولم يقدر أن يلتفت إليه ، مع أن اسمه غيور، أو نسيه ، مع أنه لا يمكن أن ينسى قط ، أو لا يحاسبهم عنه ، مع أنه هو ديان السماء والأرض .

هذا هو إلحاد الخاطىء وكفره : فان قوله بأن الله يجهل أو ينسى بمثابة قوله إنه لا إله ، وقوله إنه لا يتذكر ما يحاكم من أجله بمثابة قوله إنه ليس هنالك من يدين على الأرض .

هذه إساءة شديدة يوجهها الخطاة إلى الله ، هذا خداع مهلك يلصقونه بأنفسهم . إنهم يقولون « الرب لا يبصر » (مز ٩٤ : ٧) . إنهم لا يمكنهم إلا أن يعرفوا بأن الله « يذكر كل أعمالهم » . فقد قيل لهم لهذا مراراً . نعم ، فانك إذا سألتهم لا يمكن إلا أن يعترفوا بهذا ، ومع ذلك « لا يفتكرونه » إنهم لا يفكرون فيه فى الوقت الذى يجب ان يفكروا ، لا يفكرون فيه مطبقينه على أنفسهم وعلى أعمالهم ، وإلا لما تجاسروا على أن يعملوا ما عملوه .

لكن سيأتي الوقت الذى فيه لا يخدع أولئك الذين خدعوا أنفسهم هكذا . « **الآن قد أحاطت بهم أفعالهم** » ، أي أنهم أخيراً وصلوا في الشر إلى حفرة تظهر فيها خطاياهم على كل ناحية منهم فكل جيرانهم يرون مقدار شرورهم . وهل يمكنهم أن يظنوا بأن الله لا يبصر؟ .

أو بمعنى آخر أن قصاص أفعالهم أحاط بهم . فالمتاعب تحيط بهم من كل جانب ، بحيث لا يقدرون أن يخرجوا منها ، وبهذا يتضح أن الخطايا التي يتألمون من أجلها « **صارت أمام وجهي** » ، وهذه لا تعني فقط أنني رأيتها ، بل إني قد استأت منها . لأنه إلى أن يطرح الله خطايانا وراء ظهره إذ يغفرها لنا ، فانها تبقى « أمام وجهه » .

(ملاحظة) سوف يقنع الله ـــ عاجلا أو آجلا ـــ أولئك الذين لا يذكرون الآن أنه « يذكر كل أعمالهم » .

٤ ـــ وبدأ الله ينازعهم بأحكامه ، عربوناً لما كان قادماً عليهم فيما بعد « **السارق دخل والغزاة** (١) **نهبوا في الخارج** » . يظن البعض أن هذا مظهر من مظاهر شرهم ، فانهم سلبوا ونهبوا بعضهم بعضاً . وكما يقول المثل اللاتيني « المضيف والضيف يخاف أحدهما من الآخر» .

لكن يبدو بالأحرى أنه قصاص من أجل خطاياهم . فقد نكبوا بلصوص خفيين اندسوا بينهم ، نهبوا بيوتهم ومتاجرهم ، وسرقوا جيوبهم . وفرق اللصوص ، الغزاة الأجانب ، نهبوا في الخارج . كان اسرائيل أبعد من أن يشفى حتى إن اللصوص والغزاة كانوا كل يوم يجرحونهم جروحاً جديدة .

كان كل هذا نتيجة الخطية ، كان قصاصاً من الله لأنهم سلبوا الله (إش ٤٢ : ٢٤ ، ملا ٣ : ٨ و١١) .

ثانيا : وصفاً خاصاً عن خطايا القصر الملكي ، الملك والرؤساء ، والمحيطين بهم ، وعلامات غضب الله التي كانوا يرزحون تحتها بسبب هذه الخطايا .

١ ـــ كان ملكهم ورؤساهم مسرورين بشرور ونجاسات رعاياهم ، الذين تشجعوا بهذا على أن يزدادوا في شرهم ع ٣ « **بشرهم يفرحون الملك والرؤساء** » سرهم أن يروا الشعب

---

(١) « اللصوص » حسب ترجمة اليسوعيين ، « فرقة من اللصوص » حسب الترجمة الانكليزية .

يتمثل بشرائعهم الشريرة ، وقدوتهم السيئة ، وذلك بعبادة أصنامهم ، ومظاهر أخرى لنجاستهم ، وأن يسمعوهم يتملقونهم ويمدحونهم فى طرقهم الشريرة .

عندما رأى هيرودس ان شره سر ّالشعب توغل فيه ، و بالأحرى يفعل الشعب هذا عندما يرون أنه يسر الرئيس (أع ١٢ : ٣) .

إنهم بصفة خاصة فرحوهم « بكذبهم » ، بالمديح الكاذب الذى توجوا به محبوبى الرؤساء ، والوشايات والانتقادات الكاذبة التى وجهوها لمن علموا بأنهم مكروهى الرؤساء .

(ملاحظة) إن الذين يظهرون بأنهم يسرون بالافتراءات والروايات العاطلة لايعدمون قط من يملأ آذانهم بمثل هذه الروايات (ام ٢٩ : ١٢) . « الحاكم المصغى إلى كلام كذب كل خدامه أشرار» ، و يفرحونه بأكاذيبهم .

٢ — وتفشت فى القصر الملكى مصيبة السكر والعربدة ع ٥ : « يوم ملكنا » كان يوماً للمرح عندهم ، أى يوم ميلاده ، أو يوم ارتقائه العرش . والأرجح انهم كانوا يحتفلون سنو ياً بهذا اليوم .أو ربما يكون يوم عطلة حددها الملك ، ولهذا قيل عنه « يوم ملكنا » .

فى هذا اليوم كان الرؤساء يجتمعون ليشربوا نخب الملك ، ويحرصون على أن يكون هو بينهم ، ليفرح ، فى ذلك اليوم « **يمرض(٢) الرؤساء من سورة الخمر(١)** » . يبدو أن الملك لم يكن معتاداً أن يشرب الخمر بافراط . لكنه فى ذلك اليوم كان فى يوم عظيم ، دعاه إليه الرؤساء بحيلتهم ، وجرب بجودة الخمر، ومرح الحاضرين ، وشربهم نخبة . ولم يكن الملك معتاداً الإفراط فى الشرب هكذا حتى أنه « مرض » .

و بعدل اتهم الرؤساء الذين فرضوا عليه هذا الشرب ، وجعلوه يمرض — اتهموا بأنهم ارتكبوا جريمة ، أو خيانة . لم يبررهم فى هذا أنه كان يوم ملكهم ، بل بالحرى انه مما زاد جريمتهم شناعة أنهم أساءوا إليه إساءة بالغة جداً بينما هم يزعمون أنهم يكرمونه .

(ملاحظة) إن كانت إساءة بالغة وإهانة شديدة للشخص العادى أن يفرض عليه شرب الخمر، وقد هدد الكتاب بالويل لمن يفعل هكذا (حب ٢ : ٥) ، فبالأولى تكون الإساءة أشد للملك ، لأنه كلما ازداد المرء عظمة وجب عليه أن يمتنع عن شرب الخمر « ليس للملوك يالموئيل ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر» (أم ٣١ : ٤ و٥) . أنظر مقدار الإساءة التى يسببها شرب الخمر للمرء ، بل للملك .

(١) « مرض » حسب ترجمة اليسوعيين

(٢) « جعل الرؤساء الملك يمرض من زجاجات الخمر» حسب الترجمة الانكليزية

(١) في صحته . فقد جعلته « يمرض » . إنها إكراه للطبيعة . والعجيب أن الناس ، الخليقة العاقلة ، يقتتنون بها ، مع علمهم أنها علاوة على ما فيها من إساءة لله ، فانها تتلف أجسادهم ، وتتلف حياتهم الروحية ، وتهدد حياتهم الأبدية .

(٢) في شرفه وكرامته . لأنه إذ سكر هكذا « **بسط يده مع المستهزئين** » وعندئذ عجز عن أن يملك نفسه ذاك الذى أؤتمن على أن يملك مملكة .

وهكذا نسي :

[أ] شرف وكرامة الملوك ، لأنه اختلط بالمستهزئين ، الذين كانت رفقتهم سبة ومهزلة .

[ب] ونسي واجب الملوك ، لأنه اختلط بالملحدين ، والدنسين المستهزئين بالدين ، الذين كان يجب أن يسكتهم ويخرسهم . لقد « جلس في مجلس المستهزئين » الذين وصلوا إلى أقصى درجة من الفساد . لقد امتزج بهم . قال كما قالوا ، وفعل كما فعلوا ، واستخدم سلطانه « بسط يد » ملكه ، تمشياً معهم .

(ملاحظة) كثيراً ما صار الصلاح والصالحون « أغاني شرابي المسكر » (مز ٦٩ : ١٢ ، ٣٥ : ١٦) . لكن « و يل لك أيتها الأرض إذا كان ملكك ولدا » يبسط يده لمن جعلوه ولداً (جا ١٠ : ١٦) .

٣ — وتفشت بين رجال البلاط الملكي خطية الزنى والنجاسة . هذا ما نجده في ع ٤ و ٦ و ٧ . وقد وردت تهمة السكر وسط هذه التهمة (ع ٥) لأن الخمر هي وقود نار الشهوة (أم ٢٣ : ٣٣) . إن الذين يلتهبون بالشهوات الجسدية ، « **الفاسقين** (١) » ع ٤ شبهوا هنا أكثر من مرة « **بتنور محمى من الخباز يقربون قلوبهم في مكيدتهم كالتنور** » . ع ٦ ، « **كلهم حامون كالتنور** » ع ٧ .

(ملاحظتان) (١) القلب النجس يشبه تنوراً محمى ، والشهوات والعواطف النجسة هي الوقود الذى يحميه . والنار داخلية ، تحفظ الحرارة في داخلها . ولهذا فان الزناة والفاسقين « يشتعلون بشهوتهم » سرياً ، حسب تعبير الكتاب (رو ١ : ٢٧) . وحرارة التنور شديدة جداً ، سيا كما توصف هنا « **كنار ملتهبة** » والذى يحمى التنور يحرك النار ، ولا « **يبطل الإيقاد** » إلا

(١) « الزناة » حسب الترجمة الانكليزية .

عندما يكون الخبز قد أعد ليوضع فيه ، « **من وقتما يعجن العجين إلى أن يختمر** » أى إذ يكون قد عجن واختمر. وهذا كله ليشير بأنهم مثل تنور فى أشد درجات حرارته . ولهذا فان الذى يحميه « يبطل الإيقاد » طالما كان العجين فى درجة التخمر، وذلك لكى تخف درجة حرارته قليلا . هكذا تكون شهوات القلب النجس مشتعلة الحرارة .

(٢) والنجسون يتحينون الفرصة ليتمموا رغباتهم الشريرة . فانهم إذ يعدون قلوبهم كتنور يكمنون ليقتنصوا فريستهم . « وعين الزانى تلاحظ العشاء (١) » (اى ٢٤ : ١٥) . « **كل الليل ينام خبازهم . وفى الصباح يكون محمى كنار ملتهبة** » . كما أن الخباز بعد أن يشعل النار فى تنوره ، و يضع فيه وقوداً كافياً ، يذهب إلى فراشه و ينام كل الليل ، وفى الصباح يجده محمى كنار ملتهبة ، وكافياً لغرضه ، هكذا الحال مع هؤلاء الأشرار، فانهم بعد أن يدبروا مؤامرة شريرة ، و يرتبوا قصداً سيئاً لإتمام بعض الشهوات النجسة المقترنة بالطمع والانتقام ، تمتلىء قلوبهم فيهم لفعل الشر، لدرجة أنهم وإن أخمدوها فترة قصيرة ، فان نار الشهوات الفاسدة تكون لا تزال مشتعلة فى داخلهم ، وحالما تتهيأ لها الفرصة فان المقاصد التى دبروها وفكروا فيها تشتعل وتظهر فى أعمال علنية ، كما تشتعل النار عندما يعطى لها منفذ وهكذا « **كلهم حامون كالتنور** » .

(ملاحظة) الشهوة فى القلب ، كالنار فى التنور، تجعله حامياً . لكن سوف يأتى اليوم الذى فيه يصير الذين يجعلون أنفسهم كتنور محمى بشهواتهم الدنسة هدفاً للعدل ، فيجعلهم كتنور محمى بالغضب الإلهى ، إن لم تطفىء النعمة الإلهية هذه النار (مز ٢١ : ٩) ، عندما « يأتى اليوم المتقد كالتنور» (ملا ٤ : ١) .

٤ ــ وهم يقاومون وسائل الإصلاح والتقويم « **وأكلوا قضاتهم** » ، أولئك القضاة القلائل الصالحين بينهم ، الذين كان يمكنهم أن يطفئوا النيران المشتعلة لقد انقضوا عليهم ، ولم يسمحوا لهم بأن يجروا العدل ، بل كانوا يريدون أن يرجموهم ، ولعلهم رجموهم فعلا .

أو كما يظن البعض ، أنهم أغاظوا الله فحرمهم من بركة وجود القضاة بينهم ، فسادت الفوضى .

« **جميع ملوكهم سقطوا** » الواحد بعد الآخر، وعائلاتهم معهم ، فسادت الفوضى المملكة ، وقامت الأحزاب المتنازعة ، وكثر سفك الدماء . القلوب مشتعلة ، « كلهم حامون

---

(١) « ترقب العتمة » حسب ترجمة اليسوعيين ، « ترقب نور الغسق » حسب الترجمة الانكليزية .

كـالـتـنـور» بـالـثورة والحقد بعضهم ضد بعض ، وهذا أدى إلى أنهم « أكلوا قضاتهم » ، « وجميع ملوكهم سقطوا » . لمعصية أرض تكثر رؤساؤها (أم ٢٨ : ٢)

لكن وسط كل هذه المتاعب والفوضى « **ليس بينهم من يدعو إليَّ** » إلى الله ، من يرى يـده ممتدة عليهم فى هذه القصاصات ، و يصرخ إلى الله ليرفع ضرباته . ليس من « ينتبه ليتمسك به » (إش ٦٤ : ٧) .

(ملاحظة) إن الذين يستمرون فى أن يعيشوا بدون صلاة ، حتى عندما يكونون فى تعب وضيق ، لا يحمون بالخطية فقط ، بل يتقسون فى الخطية .

٨ أفـرايم يختـلـط بـالـشـعـوب . أفرايم صار خبز ملة لم يقلب ٩ أكل الغرباء ثروته وهو لا يعرف وقد رش عليه الشيب وهو لا يعرف ١٠ وقد أذلت عظمة إسرائيل فى وجهه وهم لا يرجعون إلـى الـرب إلهـهـم ولا يطلبونه مع كل هذا ١١ وصار أفرايم كحماقة رعناء بلا قلب يدعون مصر . يمضون إلى أشور ١٢ عندما يمضون أبسط عليهم شبكتى . ألقيهم كطيور السماء . أؤدبهم بحسب خبر جماعتهم .

١٣ و يـل لهـم لأنـهـم هـربوا عنى . تبأ لهم لأنهم أذنبوا إليَّ . أنا أفديهم وهم تكلموا على بكذب ١٤ ولا يصرخون إليّ بقلوبهم حينما يولولون على مضاجعهم . يتجمعون لأجل القمح والخمر و يـرتـدون عـلـى ١٥ وأنا أنذرتهم وشددت أزرعهم وهم يفكرون عليّ بالشر ١٦ يرجعون ليس إلى العلي . قد صاروا كقوس مخطئة . يسقط رؤساؤهم بالسيف من أجل سخط ألسنتهم . هذا هزؤهم فى أرض مصر .

بـعـد أن رأيـنـا كيف كان البلاط الملكى شريراً وفاسداً ، نأتى الآن لكى نبحث كيف كـان الحـال فـى المـمـلـكـة ، فنجد أنه لم يكن أفضل . ولا عجب أن كان الاعتلال الذى تملك الـرأس قـد أثـر على كل الجسم فأصبح « ليس فيه صحة » . « أعلن إثم افرايم » وكذلك « خطية السامرة » ، خطية الشعب ، وخطية الرؤساء ، الأمر الذى نجد له هنا مظاهر مختلفة .

أولا : لم يكونوا بجملتهم لله ، كما كان ينبغى أن يكونوا ع ٨ .

١ — لم يـفـرزوا أنـفسهم من الوثنيين كما فرزهم الله . « **افرايم يختلط (١) بالشعوب** » اندمج فيهم ، وتمثل بهم ، وامتزج بهم ، وفقد صفاته بينهم . لقد قال الله « الشعب يسكن وحده »

(١) « اختلط » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(عد ٢٣ : ٩) ، أما هم فقد « اختلطلوا بالأمم وتعلموا أعمالهم » (مز ١٠٦ : ٣٥) صعدوا ونزلوا بين الوثنيين ، ليطلبوا مساعدة هذا ضد ذاك . مع انهم لو كانوا قد ظلوا قريبين من الله لما احتاجوا لمساعدة اى واحد منهم .

٢ ــ لم يكرسوا تكريساً كاملا لله « **افرايم خبز ملة** (١) **لم يقلب** » . وهكذا احترق من جانب ، وبقى عجيناً من الجانب الآخر ، ولا يصلح لشيء على أى وجه . كانوا « يعرجون بين الله والبعل » كما حدث فى أيام آخاب . فى بعض الأحيان كانوا يظهرون أنهم غيورون لله ، وفى أحيان أخرى كانوا يتحمسون للبعل .

(ملاحظة) من المحزن أن نرى الكثيرين من المتدينين ، على وجه ما ، ينقلبون إلى الضد ، مثل « خبز ملة لم يقلب » ، يناقضون أنفسهم بأنفسهم بصفة مستمرة ، وعلى الدوام يتطرفون إلى هذه الناحية أو الأخرى .

ثانيا : وكانوا بكيفية غريبة لا يحسون بقصاصات الله التى كانوا يرزحون تحتها ، والتى كانت تهددهم بهلاكهم ع ٩ . لاحظ هنا :

١ ــ الحالة التى كانوا فيها . لقد صار لهم الله وقتئذ بقصاصاته كالعث وكالسوس » (ص ٥ : ١٢) . لقد كانوا يدفعون أنفسهم ، بسكون وببطء ، نحو هلاك أمتهم ، بنوع ما باعتداء الغرباء عليهم . « **أكل الغرباء ثروته** » ، والتهموه . لقد أفنوا ثروته وخزائنه ، وقللوا عدده ، وأفنوا ثمار الأرض أكلهم البعض بشنّ حرب علنية عليهم ، كما حدث عندما جعلهم « ملك آرام كالتراب للدوس » (٢ مل ١٣ : ٧) ، وأكلهم غيرهم بادعاء عند مخالفة سلام وصداقة معهم ، إلتهموا عن طريقها الكثير جداً من ثروتهم ، وجعلوهم يدفعون ثمناً غالياً لما لم ينفعهم ، لكنهم دفعوا فيه فيما بعد ثمناً أغلى ، كما نرى فى (٢ مل ١٦ : ٩) .

هذا ما حدث لأفرايم باختلاطه بالوثنيين ، وبسماحه لهم بالاختلاط به . لقد أكلوا والتهموا ما كان يعتمد عليه ويعتز به .

(ملاحظة) إن الذين لا يجعلون الله حصنهم (مز ٥٢ : ٧) يجعلون حصنهم فى ذاك الذى سرعان ما يلتهمة الغرباء .

(١) « رغيفا » حسب ترجمة اليسوعيين ، « كعك » حسب الترجمة الانكليزية .

وهكذا ضعفوا — بنوع ما — بسوء إرادتهم بين أنفسهم . « **وقد رش عليه الشيب** » . انتشر فوق رؤوسهم ، أي علامات أسيفة لانحلال مملكتهم التي كانت قد عتقت وشاخت ، وصارت قريبة من الإضمحلال (عب ٨ : ١٣) . ولم يكن الشيب علامة للانحلال فقط ، بل كان نتيجة للمتاعب والغيظ .

يقول المثل اللاتيني « إن الهم يشيب » . شجرة اللوز لا تزهر بعد ، لكنها تبدأ بأن تغير لونها ، الأمر الذي ينم على أن « أيام الشر » قادمة ، « والسنين إذ تقول ليس لي فيها سرور » (جا ١٢ : ١ و ٥) .

٢ — عدم مبالاتهم بتلك الإنذارات « **وهو لا يعرف** » لم يدرك بأن يد الله قد خرجت ضده . « ارتفعت يده » ، ولكنه لا يرى (إش ٢٦ : ١١) . لا يعرف كيف أن هلاكه قريب ، ولا يبالي بان يرده عن نفسه .

(ملاحظة) إن الغباوة إزاء القصاصات الخفيفة تؤدي الى قصاصات اشد .

ثالثا : واستمروا بعناد في طرقهم الشريرة ، ولم يرعوا بالتأديبات التي حلت بهم ع ١٠ « **وقد أذلت عظمة إسرائيل في وجهه** (١) » كما حدث من قبل (ص ٥ : ٥) . تحت أعمال العناية الإلهية المذلة ظلت قلوبهم لم تذل ، وشهواتهم لم تمت . بسبب تشامخ أنفهم لا يطلبون الله (مز ١٠ : ٤) .

« **وهم لا يرجعون الى الرب إلههم** » بالتوبة وإصلاح الحياة . « **ولا يطلبونه مع كل هذا** » بالإيمان والصلاة . لا يفكرون في الالتجاء الى الله بالرغم من آلامهم بسبب ابتعادهم عنه ، و بالرغم من أنهم لا يمكن أن ينالوا خيراً إلا إذا رجعوا إليه ، و بالرغم من أنهم فشلوا في طلب المعونة من غيره .

رابعا : وحمقوا في مشوراتهم ، واتخذوا طرقاً خاطئة جداً عندما كانوا في ضيقة ١١ و ١٢ . « **وصار أفرايم كحماقة رعناء** (١) **بدون قلب** » جميل أن يكون المرء وديعاً كالحمامة ، بلا مرارة ، لا يؤذي أحداً . لكنه عيب أن يكون غبياً كالحمامة . الرعناء ، التي بلا قلب ، ولا تعرف كيف تدافع عن نفسها ، ولا تدبر لسلامتها .

---

(١) « وأزلت كبرياء اسرائيل تلقاء وجهه » حسب ترجمة اليسوعيين ، «وتشهد عليه كبرياء إسرائيل في وجهه » حسب الترجمة الانكليزية

(١) « حمقاء » « أوغبية » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية

١ ــ إن غباوة هذه الحمامة هى :

(١) إنها لا تحزن على فقدها لصغارها إذا ما أخذت منها ، بل تبنى عشها ثانية فى نفس المكان . وهكذا الحال معهم أيضا ، فاذا ما حل العدو شعبهم لا يتأثرون ، بل يستمرون فى معاملتهم لمن عاملوهم بوحشية .

(٢) إنها تغوى بسهولة بالطعم الذى يوضع فى الشبكة ، فهى « بدون قلب » ، بدون إدراك لتميز ما يهددها من خطر ، كما يميز الكثير من الطيور الأخرى « باطلا تنصب الشبكة فى عينى كل ذى جناح » (أم ١ : ١٧) . انها « تسرع إلى الفخ ولا تدرى أنه لنفسها » (ام ٧ : ٢٣) . هكذا اندفعوا الى مخالفات مع الشعوب المجاورة التى كانت سبباً فى هلاكهم .

(٣) وأنها عندما تخوف فليست لديها الشجاعة لتبقى فى بيت الحمام ، حيث تبقى آمنة ، وتحت حماية صاحبها ، لكنها تطير وتحوم ، طالبة ملجأ فى هذا المكان ، ثم فى غيره ، وبهذا تعرض نفسها إلى الخطر.

هكذا عندما كان هذا الشعب فى ضيقة لم يطلبوا الله ، لم يطيروا « كالحمام إلى بيوتها » (إش ٦٠ : ٨) ، لكى يأمنوا من كل الطيور الجارحة التى انقضت عليهم ، لكنهم طوحوا بأنفسهم بعيداً عن حماية الله ، ثم صاروا **يدعون مصر** » لإغاثتهم ، وأسرعوا إلى « **أشور** » ليطلبوا عبثاً تلك المعونة التى كان يمكنهم أن يجدوها قريبة منهم فى الهم ، بالتوبة والصلاة .

(ملاحظة) إنها لغباوة وحماقة ممن لهم إله فى السماء أن يعتمدوا على الخليقة ليجدوا فيها ملجأ ومعونة وإغاثة ، تلك التى لن توجد إلا فيه وحده . والذين يفعلون هم شعب بلا فهم (إش ٣٧ : ١١) ، « و بدون قلب » .

٢ ــ والآن أنظر مصير هذه الحمامة الرعناء ع ١٢ « **عندما يمضون** » إلى مصر وأشور « **أبسط عليهم شبكتى** » .

(ملاحظة) إن الذين لا يبقون بجانب رحمة الله يتابعهم عدل الله .

هنا تجد :

(١) أنهم يقعون فى الفخ « أبسط عليهم شبكتى » ، آتى بهم إلى الضيقات ، لكى يروا حماقتهم ، و يفكروا فى الرجوع .

(ملاحظة) إنه أمر عادى أن الذين يبتعدون عن الله يجدون فخاخاً حيث كانوا يتوقعون أن يجدوا ملجأ .

(٢) و يـذلـون . إنهـم يحـلـقـون إلـى فوق مفتخرين بمحالفتهم مع الأجانب ، ومعتمدين عليها . لكننى « ألقيهم ([١]) كطيور السماء » التى تصاد وهى تطير .

(مـلاحـظـة) يـستطيع الله أن يحدر من يرفعون أنفسهم كالنسر ، وهذا هو ما يفعله دواماً (عو ٣ و ٤) .

(٣) وتحل بهم النكبات بسبب حماقتهم « أودبهم » .

(مـلاحـظـة) إن الفشل الذى نلقاه من الخليقة ، عندما نضع فيها ثقتنا ، تأديب ضرورى لكى نكون أكثر حكمة مرة أخرى .

(٤) وفـى كـل هذا يتم الكتاب . فان هذا كله يحصل « بحسب خبر جماعتهم ([١]) » . لـقـد قيل مراراً ــ بكلمة الله ، لدى قراءتهم لها ، وسماعهم إياها وقت الوعظ ، والترانيم بها ــ إنه « باطل . هو خلاص الإنسان » (مز ٦٠ : ١١ ، ١٠٨ : ١٢) ، وأن « ابن آدم لا خلاص عنده » (مز ١٤٦ : ٣) . لـقـد سـمـعـوا من الناموس ومن الأنبياء أية قصاصات يوقعها الله عليهم بسبب شرهم . وكما سمعوا هكذا سوف يرون الآن ، سوف يحسون .

(مـلاحـظـة) إنـه واجـب عـلينا أن نتأمل فى كلمة الله التى نسمعها من وقت لآخر فى « الجـمـاعـة » ، وأن نـسلك بموجبها ، لأننا عن قريب سوف ندان بموجبها . ومما يبرر الله فى دينونة الخـطـاة ، وممـا يـزيـد هـذه الدينونة قسوة عليهم ، إنهم سبق أن أعطيت إليهم تحذيرات واضحة عن هـذه الـديـنونة . هذا ما سمعته « جماعتهم » مراراً كثيرة ، لكنهم لم يتحذروا . « يابنى أذكر » (لو ١٦ : ٢٥) ، أذكـر أنـه سـبق أن قيل لك ماذا سيكون مصير سلوكك هذا . والآن أنت ترى أنها لم تكن كلمات جوفاء . أنظر (زك ١ : ٦) .

خـامـسـا : أنـهـم عـصـوا الله وتـمـردوا عليه ، بالرغم من الطرق المختلفة التى اتخذها لكى يحفظهم فى ولائهم له ع ١٣ ــ ١٥ .

وهنا نلاحظ :

(١) « أهبطهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(١) « على حسب سماع جماعتهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

١ ـ كيف عاملهم الله بعطف ورقة ، كما يعامل الملك الرحيم شعبه العزيز عنده ، الذين يتوق إلى نجاحهم ورفاهيتهم . لقد فداهم « **أنا أفديهم** (١) » (ع ١٣ لقد أخرجهم أولا من أرض مصر، ومنذ ذلك الوقت نجاهم من ضيقات كثيرة . « **وأنا أنذرتهم وشددت أذرعهم** (٢) » ع ١٥ . عندما وهنت قوتهم ، كالذراع المكسور، أو المخلوع ، جبر الله ذراعهم وضمده ، كما يفعل الجراح للعظم المكسور ليلتحم .

لقد نصر الله إسرائيل على الأراميين (٢ مل ١٣ : ١٦ و ١٧) ، ورد تخمهم (٢ مل ١٤ : ٢٥ و ٢٦) ، « ونطقهم بقوة للقتال » (مز ١٨ : ٣٩) .

بالرغم من أنني أدبتهم « أؤدبهم » ، ففي بعض الأحيان أدبتهم من أجل أخطائهم وبهذا علمتهم ، وفي أحيان أخرى « شددت أذرعهم » وأنقذتهم ، بالرغم من أنني استخدمت الوسائل اللطيفة ، والوسائل العنيفة ، للتأثير عليهم ، فان هذه كلها كانت غير مجدية . لم تنفع معهم الرحمة ، ولم تنفع معهم النقمة .

٢ ـ كيف كانت تصرفاتهم معه وقحة رغم كل هذا ، الأمر الذي دون هنا لتبكيت وإذلال كل الذين تمادوا في أي طريق شرير، لكي يروا كيف أن خطيتهم خاطئة جداً ، و يروا مقدار شناعتها ، وكيف يفسرها إله السماء ، وكيف يستقبحها .

(١) لقد تودد إليهم ، وأخذهم في العهد مع نفسه ، أما هم فقد « **هربوا عنه** » . كأنه عدوهم الخطر، مع أنه برهن لهم دواماً أنه صديقهم الأمين . تاهوا عنه ، كما تتيه الحمامة الرعناء عن عشها . لأن الذين يهجرون الله لا يجدون راحة ولا استقراراً في الخليقة ، بل يتيهون ويهيمون على وجوههم إلى ما لا نهاية .

لقد هربوا عن الله عندما تركوا عبادته ، وفروا من خدمته ، وتخلوا عن ولائهم له .

(٢) ولقد أعطاهم شرائعه ونواميسه ، التي كانت كلها مقدسة ، وعادلة وصالحة والتي أراد بها أن يحفظهم في الطريق المستقيم . أما هم « **فأذنبوا إليه** » أخطأوا بذراع رفيعة (باصرار) ورقبة غليظة ، بعناد وتعمد . تخطوا حدود الناموس الإلهي ، وبهذا احبطوا مقاصد المحبة الإلهية .

(٣) وعرفهم حقوقه ، وأعطاهم كل البراهين الممكنة عن إخلاص نيته الحسنة من جهتهم . ومع ذلك « تكلموا عليه بكذب » اقاموا آلهة كاذبة تنافسه ، أنكروا عنايته الإلهية

---

(١) « لقد افتديتهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(٢) « وقد روضتهم وقويت أذرعهم » حسب ترجمة اليسوعيين ، « وقد ضمدت وشددت أذرعهم » حسب الترجمة الانكليزية .

وسلطانه . وهكذا « جحدوا ([1]) الرب » (إر ٥ : ١٢) رفضوا الرسائل التى أرسلت إليهم على يد أنبيائه ، وقالوا أنه لهم يكون سلام ، بالرغم من استمرارهم فى الخطية ، وذلك عكس ما قاله الله على خط مستقيم . لقد كذبوا على الرب بريائهم فى تدينهم ، ومظاهر عبادتهم ، ومواعيدهم لإصلاح حياتهم ، فاعتبر كذبهم على الرب . كأنهم تكلموا عليه بكذب .

(٤) لقد كان ملكهم الشرعى وربهم ، وملك دواما فى يعقوب بالعدل والإنصاف ، وللخير العام ، ومع ذلك تمردوا عليه « و يرتدون عنى ([2]) » ع ١٤ . لم يبتعدوا عنه فقط ، لكنهم تمردوا عليه ، تمنوا لو استطاعوا أن يخلعوه و ينصبوا عليهم آخر .

(٥) لقد قصد لهم كل خير، أما هم فقد « **فكروا عليه بالشر** » ع ١٥ . الخطية أمر سيء جداً . هى إساءة لله ، لأنها خيانة لعرشه ولكرامته . وليس هذا معناه أن الخطاة يقدرون أن يلحقوا أي ضرر بخالقهم لكنهم يفعلون ما يقدرون أن يفعلوه . وتزداد شناعة إذا ما لم ترتكب عفواً ، أو سهواً ، بل بتعمد و بقصد .

كان عند اليهود قول هو « إن أفكار الإثم أشنع من الإثم نفسه » والله يعتبر بأن تدبير الشر يوازى إتمامه . والتفكير فى قتل الملك يعتبر خيانة ومؤامرة بحسب القانون والذين يفكرون فى الشر، حتى وإن اتضح أنه باطل (مز ٢ : ١) ، سوف يحاسبون على تفكيرهم .

٣ ــ كيف سيعاقبون من أجل هذا ع ١٣ « **و يل لهم لأنهم هربوا عنى** » .

(ملاحظة) إن الذين يهربون عن الله تتبعهم الو يلات ، و يصيرون بلا شك فى و يل شديد . فغضب السماء معلن عليهم . وكلمة الله تقول « و يل لهم » .

ولاحظ ما يلى بعد هذا مباشرة « **تباً ([1]) لهم** »

(ملاحظة) إن و يلات كلمة الله لها نتائج حقيقية ، والهلاك يؤكد هذه النتائج . وأحكام يده تؤكد أحكام فمه . والذين يلعنهم و يصب عليهم الو يلات ، يصيرون ملعونين ، وتنصب عليهم الو يلات فعلا .

سادسا : وكانت مظاهر عبادتهم وإصلاح حياتهم مجرد مظاهر كاذبة ، وبها كانوا يهزأون بالله .

---

(١) « كذبوا » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) « ارتدوا عنى) حسب ترجمة اليسوعيين ، « تمردوا على » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) « هلاك » حسب الترجمة الانكليزية .

١ — لقد ادعوا العبادة ، لكنها لم تكن باخلاص ع ١٤ . عندما خرجت يد الله عليهم قدموا إليه نوعاً من الإلتجاء إليه « إذ قتلهم طلبوه » (مز ٧٨ : ٣٤) . « يارب فى الضيق طلبوك » (إش ٢٦ : ١٦) . لكن هذا كله كان رياء .

(١) عندما كانوا فى ضيقة شخصية ، ودعوا الله سراً ، لم يكونوا مخلصين فى هذا « **ولا يصرخون** (١) **إلى بقلوبهم حينما يولولون على مضاجعهم** » . عندما « أدبوا بالوجع على مضاجعهم » (أى ٣٣ : ١٩) ، ربما بسبب الجروح التى أصيبوا بها فى الحرب ، عندئذ صرخوا ، وصعد أنينهم ، واشتكوا فى شكل صلاة ، ولعلهم استخدموا كلمات جميلة كثيرة مناسبة للظرف الذى كانوا فيه .

لقد صرخوا « يا الله أعنا » ، « يارب تطلع علينا » لكنهم « لم يصرخوا بقلوبهم » . ولذلك اعتبرهم الله كأنهم لم يصرخوا قط .

قيل عن موسى إنه صرخ إلى الله مع أنه لم يكن قد نطق بكلمة واحدة لكن قلبه فقط صلى بإيمان وحرارة (خر ١٤ : ١٥) . أما هؤلاء فقد علا صوتهم ، وقالوا كلمات كثيرة ، ومع ذلك « لم يصرخوا إلى الله » لأن قلبهم لم يكن مستقيماً أمامه ، خاضعاً لمشيئته ، ولا مكرساً لمجده ، ولا منشغلاً بخدمته .

الصلاة هى رفع النفس إلى الله . هذا هو جوهر الصلاة . إن لم يتم هذا ، فان الكلمات — مهما أحسن اختيارها — تصبح كالريح . أما إذا تم هذا أصبحت الصلاة مقبولة ، ولو كانت مجرد « أنات لا ينطق بها » .

(ملاحظة) إن الذين لا يصلون بالروح لا يعتبرون قط بأنهم قد صلوا . بل أن الله لا يصادق مطلقاً على صلواتهم ، ولا يقبلها ، لدرجة أنه يدعوها « ولاول (١) » (عا ٨ : ٣) .

يظن البعض أن هذه تشير إلى أصواتهم المرتفعة فى صلواتهم ، فقد صرخوا إلى الله كما كانوا يصرخون للبعل لعلهم يوقظونه (١ مل ١٨ : ٢٧ و ٢٨) . أو قد تشير إلى العواطف الهائجة الوحشية والانفعالات التى كانوا يثيرونها فى صلواتهم . لقد حلت بهم تأديبات شديدة ، لكنهم لم ينظروا إلى اليد الممسكة لعصا التأديب .

---

(١) « لم يصرخوا » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(١) « عواء » حسب الترجمة الانكليزية .

أو أنها تدل على أن صلواتهم المرائية كانت أبعد من أن ترضى الله ، بل كانت إساءة له . كان يدخن على صلاتهم (مز ٨٠ : ٤) . لقد دعيت « **أغاني القصر ولاول** (١) » (عا ٨ : ٣) . الله أبعد من أن يشفق عليهم ، لكنه بعدل يضحك عند بليتهم (أم ١ : ٢٦) ، أولئك الذين طالما ضحكوا وسخروا بسلطانه .

(٢) وكانوا مرائين أيضاً عندما كانوا في ضيقات عامة ، واجتمعوا معاً ليلتمسوا رحمة الله « **يتجمعون** (٢) » لمجرد التظاهر، لأنه كانت العادة أن يتجمعوا ويجتمعوا فى أوقات الحزن العام (صف ٢ : ١) .

لكنهم اجتمعوا فقط « **لأجل القمح والخمر** » اللذين كانوا قد حرموا منهما بسبب عدم نزول المطر، ذلك القصاص الذى كانوا يرزحون تحته وقتئذ . لم يصلوا من اجل رضا الله ونعمته ، لكى يعطيهم توبة ومغفرة خطاياهم ، و يرفع غضبه عنهم ، بل فقط لكى لا يحرمهم من « القمح والخمر» .

(ملاحظة) إن القلوب الجسدانية ، فى صلواتها لله ، لا تفكر الا فى المراحم الزمنية ، ولا ترهب من شيء أكثر من القصاصات الزمنية ، لأن تفكيرهم منحصر فى هذه فقط .

٢ ـــ وادعو بأنهم أصلحوا حياتهم ، لكنهم أيضاً لم يكونوا مخلصين فى هذه الناحية ع ١٦ . هنا نرى .

(١) خطية إسرائيل « **يرجعون** » يتظاهرون كأنهم يريدون الرجوع . يدعون بأنهم يريدون أن يتوبوا و يصلحوا أعمالهم ، لكنهم لا يتممون شيئاً من هذا قط . انهم لا يأتون إلى الله ، ولا يرجعون إلى ولائهم ، مع أن الله يقول « إن رجعت يا إسرائيل يقول الرب إن رجعت إلى (١) » (إر ٤ : ١) .

إن تظاهرهم هذا يجعلهم « **كقوس مخطئة** (٢) » يبدو أنها صالحة للعمل ، فتستخدم على هذا الأساس ، لكنها إذا استخدمت انكسر القوس ، أو انقطع الخيط ، فيرتد السهم خائباً . هكذا كانت كلماتهم عن التوبة وإصلاح الحياة .

---

(١) « أغانى الهيكل عواء » حسب ترجمة الانكليزية .
(٢) « اجتمعوا » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(١) « إن رجعت يا اسرائيل يقول الرب رجعت إلى ، حسب ترجمة اليسوعيين ، « ان رجعت يا اسرائيل يقول الرب فارجع إلى حسب الترجمة الانكليزية .
(٢) « خادعة » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(٢) خطية رؤساء إسرائيل . إن الذى اتهموا به هو « **سخط ألسنتهم** » . عندما يغتاظون يتذمرون على الله ، وعلى أعمال عنايته ، وعلى كل من حولهم . يظن الرؤساء بأن لهم الحق أن يقولوا ما يشاءون وأن امتيازهم هو أن يتبجحوا ويهددوا أن يلعنوا و يو بخوا و يشتموا لكن ينبغى أن يعلموا ان فوقهم إلهاً سوف يحاسبهم على « سخط ألسنتهم » ، وأن ألسنتهم تقع على أنفسهم (مز ٦٤ : ٨) .

(٣) قصاص اسرائيل ورؤسائهم من أجل خطيتهم . أما عن الرؤساء فانهم « يسقطون بالسيف » ، إما بسيف أعدائهم ، أو سيف شعبهم . البعض يسقطون بهذا السيف ، والآخرون بذلك السيف . و « هذا هزؤهم » ، **هذا ما يهزأون به « فى أرض مصر »** عندما يهربون إلى المصريين لطلب المعونة ع ١١ . سوف تجعلهم خطيتهم وقصاصهم أضحوكة لكل من حولهم .

(ملاحظة) إن الخادعين والخائنين فى معاملاتهم مع الله ، والثائرين فى سلوكهم مع الناس ، يصيرون بعدل هزأة لجيرانهم ، لأنهم يجعلون أنفسهم أضحوكة .

الاصحاح الثامن

هـذا الأصحاح ، كسابقه ، يقسم نفسه بين خطايا إسرائيل وقصاصاتهم . فكل آية تقـريبـاً تعلن الناحيتين وكل الآيات تهدف إلى أن تأتي بهم إلى التوبة . عندما رأوا قبح خطاياهم ، في الأوصاف التي وصفت بها ، لم يكن ممكناً إلا أن يقتنعوا بأن يتوبوا عن تلك الخطايا التي هي قبيحة في حد ذاتها . وعندما رأوا شناعة نتائج خطاياهم ، في النبوات التي تنبأت بها ، لم يكن إلا أن يروا بأنه من مصلحتهم أن يتوبوا لكي يتفادوا هذه النتائج .

(١) هنا يظهر النبي خطية اسرائيل .

١ — بتعابير عامة كثيرة ع ١ و ٢ و ٣ و ١٢ و ١٤

٢ — بأمثلة خاصة كثيرة . باقامة ملوك ليسوا من الله ع ٤ ، وإقامة أصنام ضد الله ع ٤ — ٦ و ١١ ، وعقد مخالفات مع الأمم المجاورة ع ٨ — ١٠ .

٣ — و يبين أنه مما يز يدها شناعة أنهم بالرغم من هذا كانوا لا يزالون متمسكين بمظاهر الديانة وعلاقتهم مع الله ع ٢ و ١٣ و ١٤ .

(٢) وهنا يبين قصاص اسرائيل الذى يتناسب مع خطيته . فقد أرسل عليهم عدواً ع ١ و ٣ وكل مشار يعهم تفشل ع ٧ . وكل ثقتهم في الأصنام وفي المحالفات مع الأمم الغر يبة تخيب ع ٦ و ٨ و ١٠ وقوتهم في بلادهم تضعف ع ١٤ . وذبائحهم لا يلتفت إليها ، وسوف يقدمون حساباً عن خطاياهم ع ١٣ .

١ الى فمك بالبوق . كالنسر على بيت الرب . لأنهم قد تجاوزوا عهدى وتعدوا على شر يعتى ٢ الى يصرخون ياإلهى نعرفك نحن إسرائيل .

٣ قد كره اسرائيل الصلاح فيتبعه العدو ٤ هم أقاموا ملوكا وليس منى . أقاموا رؤساء وأنا لم أعرف . صنعوا لأنفسهم من فضتهم وذهبهم أصناما لكي ينقرضوا ٥ قد زنخ عجلك ياسامرة . حمى غضبي عليهم . الى متى لا يستطيعون النقاوة ٦ إنه هو أيضا من إسرائيل . صنعه الصانع وليس هو إلها . إن عجل السامرة يصير كسراً .

٧ إنهم يزرع الريح ويحصدون الزو بعة . زرع ليس له غلة لا يصنع دقيقا . وإن صنع فالغر باء تبتلعه .

قدمت التوبيخات والتهديدات هنا بأمر صدر إلى النبي يقول « **إلى فمك بالبوق** » ع ١ ،

لكن بهذا يدعو إلى اجتماع عام، فيسمع الجميع ماسوف يقوله، و يتحذروا به . يجب أن يذيع انذاراً بالخطر، و بأسم الله يشهر حرباً ضد هذه الأمة المتمردة . كان العدو قادماً بسرعة و بغضب لكى يأخذ أرضهم، وكان يجب أن النبى يوقظهم لينتظروا هذا .

وهكذا كان يجب أن يتخذ النبى موقف الرقيب، لكى بصوت البوق يدعو الحاضرين داخل المدينة ليكونوا على أهبة الاستعداد .، عندما يرى العدو يهجم (حز ٣٣ : ٣) . كان يجب أن النبى « يرفع صوته كبوق » (إش ٥٨ : ١) . كان يجب أن يصغى الشعب لصوت البوق (إر ٦ : ١٧) . والآن نجد .

أولا : هنا تهمة عامة ضدهم كخطاة، ومتمردين، وخائنين لربهم العظيم .

١ ــ « **لأنهم قد تجاوزوا عهدى** » ع ١ . إنهم لم يتجاوزوا الوصية فقط، فهذا ما تفعله كل الخطية، لكنهم « قد تجاوزوا العهد » .
لقد ارتكبوا تلك الخطايا التى تنقض العهد الأصلى، لقد خرجوا عن ولائهم، ونقضوا عهد الزيجة بزناهم الروحى . لقد أعلنوا بالتالى أنهم لا يكونوا بعد شعب الله، ولن يتخذوه الهاً لهم هذا هو معنى « تجاوز العهد » . إنهم لم يتصرفوا بحماقة فقط، لكنهم تصرفوا بخداع .

٢ ــ « **وتعدوا على شريعتى** » فى مناسبات خاصة كثيرة . إن شريعة الله هى القانون الذى ينبغى أن نسلك بموجبه . وهذا هو خبث الخطية إنها تتعدى الحدود التى أقامتها تلك الشريعة .

٣ ــ « **قد كرهوا الصلاح** » ع ٣ . لقد نبذوا الصالح، أى الله نفسه . الله صالح، ويضع الصالح والخير، وهو خيرنا . ليس صالحا الا واحد وهو الله ينبوع كل صلاح . لقد كرهوه (او « نبذوه » حسب الترجمة الانكليزية)، كانهم لا يريدون أن تكون لهم علاقة به . لقد تركهم الله للهلاك، وهنا نجد السبب .

(ملاحظة) لا ينبذ الله اناساً إلا إذا نبذوه هم أولا .

أو « قد كره اسرائل الصلاح »، قد نبذوا خدمة الله وعبادته . وهذا فى الواقع يعتبر نبذا لله نفسه . قد نبذوا كل ما يؤول الى صلاح البشر . نبذوا مخافة الله، واحترام الناس، وكل أثر للفضيلة والأمانه .

---

(١) « الخير » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

لاحظ قوله انهم « قد تجاوزوا عهدى » ، هذا ماوصلوا اليه أخيراً . والسبب فى هذا أنهم « تعدوا على شريعتى » . ان نقش الوصية يفتح المجال لتجاوز العهد . وقد فعلوا هذا لأنهم « نبذوا الصلاح » . هذه هى العلة الأصلية . لقد « كفوا عن التعقل عن عمل الخير » وعندئذ وصلوا الى الحضيض (مز ٣٦ : ٣) .

انظر طريقة الارتداد . فالناس أولا ينبذون الصلاح وعندئذ تؤدى هذه الخطية السلبية الى خطايا إيجابية . وتكرار التعدى على شريعة الله يؤدى إلى أن يصبح نبذ العهد عادة . عندما ينبذ الناس الصلاة ، والاستماع ، وتقديس يوم الرب ، وكل ما هو صالح ، يصبحون فى الطريق إلى نبذ الله كلية .

ثانيا : هنا نجد تهديدات عامة بالغضب والهلاك من أجل خطيتهم . سوف يأتى العدو « كالنسر على بيت الرب » ع ١ ، « فيتبعه العدو » ع ٣ . إن كان المقصود « ببيت الرب » هو هيكل اورشليم وجب أن نفهم بأن المقصود بالنسر الذى يهجم عليه إما سنحاريب الذى أخذ كل مدن يهوذا الحصينة ، وحاصر أورشليم ، وقصد الهجوم على بيت الرب بلاشك ، لكى يخربه كما أخرب هياكل الهة الأمم الأخرى . أونبوخذ نصر الذى حرق الهيكل ، ونهب أوانيه .

أما اذا كان المقصود هنا هو تدمير ملك أشور لمملكة إسرائيل (العشرة الأسباط) وجب أن نفهم بأن المقصود ببيت الرب هو ذلك الشعب ـــ كجماعة واحدة ـــ الذى « لهم التبنى والمجد والعهود » (رو ٩ : ٤) . لقد كانوا يظنون بأنهم وقد دعوا « بيت الرب » فأن هذا حماية لهم . لكن النبى أمر بأن يقول لهم إنهم خسروا حياة وروح ديانتهم ، ولو كانوا لايزالون يحتفظون باسمها وشكلها . فقد كانوا كالجثة التى يجتمع عليها النسور والطيور الجارحة . سوف « يتبعهم العدو » كالنسر ، أى بسرعة ، وعنف ، و وحشية .

(ملاحظة) ان الذين ينقضون عهد صداقتهم مع الله يعرضون أنفسهم لعداوة كل من حولهم الذين يجعلون أنفسهم لهم فريسة رخيصة وسهلة اما كونهم هم « بيت الرب » ، وهياكله الحية ، فانه لا يمكن أن يكون مبررا أو ملجأ . أنظر (عا ٣ : ٢) .

ثالثا : هنا نرى رياء الشعب فى ادعائهم علاقتهم بالله عندما كانوا فى شدة وضيق ع ٢ . « **إلى يصرخون** » . إما عندما هددوا بهذه القصاصات . ، فتوسلوا للاعفاء منها ، أو عندما حلت بهم القصاصات فلجأوا إلى الله لإنقاذهم منها . « **سكبوا مخافته (١) عند تأديبك إياهم** »

(١) « شكواهم » حسب ترجمة اليسوعيين ، « صلاة » حسب الترجمة الانكليزية .

(إش ٢٦ : ١٦) . وكـانـت حـجتهـم أن (الله مـعـروف في يهوذا اسمه عظيم في اسرائيل » (مز ٧٦ : ١) وحـجتهـم فـى ضـيـقتهـم أنهـم يـعـرفـون طـرق الله الـتـى لم يـرغبوا فيها فى رخائهم ، بل احتقروها .

عـنـدئـذ « يـصرخون » إلى الله ، يدعونه إلههم ، و بوقاحة يخبرونه بأنهم يعرفونه معرفة جيدة ، وأنهم عرفوه منذ مدة طو يلة .

(مـلاحظة) هنالك كثيرون ينكرون الله بالأعمال ولا يعترفون به ، لكنهم لقضاء مصلحة منه يـعـتـرفـون بـأنهـم يـعـرفـونـه ، وأنهم يعرفون أكثر مما يعرفه بعض أخوتهم لكن أية منفعة للإنسان إن استطاع ان يقول « إننى أعرفك يا إلهى » مع أنه لا يقدر أن يقول«إننى أحبك يا إلهى » و « إننى اخدمك يا إلهى ، وألتصق بك وحدك » .

رابعا : هـنـا نـرى احتجاج النبى عليهم باسم الله ع ٥ س« **الى متى لا يستطيعون النقاوة** (١) » لـيس المقصود هنا البرارة المطلقة ، فهذه لن يصل اليها الإنسان الخاطىء . لكن المقصود : كـم مـن الـزمـن يـنـقـضـى حـتـى يتوبوا و يصلحوا حياتهم ، و يصيروا أبر ياء فى هذه الناحية ، و يتمرروا من خطية العبادة الوثنية ؟

إنهم شغوفون بأصنامهم ، فكم من الزمن ينقضى حتى يعظموا عنها ، و يتحرروا منها ؟

هـذه تـشير ضـمـنـا الى أن التعود على الخطية يجعل التخلى عنها أمرا عسيراً جداً . من العسير التطهر من دنس الجسد والروح بعد أن يكون المرء انغمس فيه .

لـكـن الله يـتـكـلم كأنه رأى بأن الوقت طو يل لكى يترك الخطاة آثامهم ، و يبدأوا بأن يحيوا حـيـاة جديدة . لقد شكا من عنادهم الذى جعل غضبه عليهم يظل مشتعلا ، والذى كان يمكن أن يتحول عنهم لو كان قد عرفوا طر يق « النقاوة » من تلك الخطايا التى اشعلت ذلك الغضب .

انهـم فى ضيقهم يصرخون « إلى متى لايرجع الله الينا بطر يق الرحمة ؟ » . لكنهم لا يسمعونه وهو يسأل إلى متى لا يرجعون إلى الله بطر يق تأدية الواجب ؟ » .

---

(١) « إلى متى لا يطيقون التنقى » حسب ترجمة اليسوعيين ، « كم ينقضى من الزمن حتى تصلوا إلى حالة البرارة » حسب الترجمة الانكليز ية .

خامسا : وهنا نجد بعض خطايا معينة اتهموا بها ، و بكتوا من أجل حماقتهم فى ارتكابها ، وحذروا من نتائجها المميتة ، ومن أجلها اشتعل غضب الله عليهم .

١ ـــ فى شئونهم المدنية . « **هم أقاموا ملوكاً وليس من** » الله ، وازدراء بالله ع ٤ . هكذا فعلوا عندما رفضوا صموئيل ، الذى فى شخصه كان الله ملكهم ، واختاروا شاول ليكونوا « مثل سائر الشعوب » (١ صم ٨ : ٢٠) .

هكذا فعلوا عندما شقوا عصا الطاعة على بيت داود ، وأقاموا يربعام . وهم إن كانوا بهذا قد تمموا مشورة الله السرية ، إلا أنهم لم يهدفوا إلى مجده . ولا استشاروه ، ولا لجأوا إليه بالصلاة لطلب الإرشاد ، ولا احترموا أعمال عنايته ، لكنهم ساروا وراء هواهم ، واندفعوا وراء شهواتهم وعواطفهم .

هكذا فعلوا وقتئذ عندما كان هوشع يتنبأ ، عندما جرت العادة أن « يقيموا ملوكاً » ، ثم يخلعوهم ، حسبما يقوى المتنازعون على العرش (٢ مل ١٥ : ٨ الخ) .

(ملاحظة) لا يمكن أن نتوقع راحة ونجاحاً فى شئوننا عندما نبدأها ونستمر فيها دون استشارة الله ، ودون أن نعترف به فى كل طرقنا .

« هم أقاموا ملوكاً وليس منى » ، « أقاموا رؤساء وأنا لم أعرف » أى وأنا لم أعرف منهم ، لم يطلبوا المشورة من فمى ، مع أنهم كان يجب أن يسألونى ، سيما وكان لديهم أنبياء ليستشيروهم . « لا ينظرون إلى قدوس اسرائيل » (إش ٣١ : ١) . ولا عمل الرؤساء كيفتاح ، الذى قبل أن يقبل على إدارة بلاده « تكلم بجميع كلامه أمام الرب فى المصفاة « (قض ١١ : ١١) .

(ملاحظة) أن الذين توكل إليهم الشئون العامة ، سيما اختيار وترشيح الولاة والحكام ، يجب أن يأخذوا الله معهم ، وذلك بطلب إرشاده ، وطلب مجده .

٢ ـــ وفى شئونهم الدينية كانوا أسوأ . لأنهم « أقاموا عجولاً ضد الله » ، لتنافسه ، وضد إرادته .

« **من فضتهم ومن ذهبهم** » الذين أعطاهما لهم الله ، وأجزلها عليهم ، لكى يعبدوه و يكرموه بها ، « **صنعوا لأنفسهم أصناماً** » . ودعوها آلهة (١ مل ١٢ : ٢٨) « هوذا آلهتك يا إسرائيل » . لكن الله دعاها أصناماً . والكلمة تعنى أحزاناً ، أو متاعب لأنها تسىء إلى الله ، وتهلك الذين يعبدونها .

« صنعوا لأنفسهم من فضتهم ومن ذهبهم أصناماً » ، إشارة إلى تماثيل آلهتهم ، التى صنعوها من ذهب وفضة ، سيا عجلى الذهب فى دان و بيت إيل. إن عبدة الأصنام لا يبالون بأى ثمن فى عبادتهم لأصنامهم .

لكنها تنطبق جداً على العبادة الوثنية الروحية التى تتملك على الطماعين فان ذهبهم وفضتهم هما الآلهة التى يركزون فيها سعادتهم ، و يضعون عليها قلوبهم ، و يؤدون لها واجب الطاعة والولاء ، والتى يثقون فيها ، و يعتمدون عليها . ولكى يبين لهم النبى حماقتهم فى عبادتهم للأوثان أخبرهم :

(١) من أين جاءت آلهتهم . إذا بحثت عن أصلها وجدتها من اختراع أوهامهم ومن صنع أيديهم ع ٦ . فالعجل الذى عبدوه دعى هنا « عجل السامرة » لأنه من المرجح أنه عندما صارت السامرة عاصمة المملكة فى أيام آخاب أقيم عجل فيها ليكون بجوار القصر الملكى ، علاوة على العجلين اللذين كانا فى دان و بيت إيل . أو ربما كان قد نقل أحد هذين العجلين إلى السامرة . لأن الذين يطلبون آلهة جديدة لا يشبعون من طلب آلهة جديدة . والآن ليتأملوا فى أصل قيام ووجود إلههم هذا .

[١] أنه كان يعزى لاختراعهم وتدبيرهم . « **هو أيضاً من إسرائيل** » . لا من إله إسرائيل ، فهذا ما حرمه بصراحة ، بل من اسرائيل . كان من اختراعهم (كما يعتقد البعض) . لم يقتبس من أيه مملكة من جيرانهم . حتى ولا من المصريين . لأنه وإن كان المصريون قد عبدوا العجل ليس إلا فى شخص بقرة حية ، لكنهم لم يعبدوا قط عجلا ذهبياً . كان ذلك « من إسرائيل » . و « وكان إثمهم » .

والآن ، هل تلك التى كانت من اختراعهم تستحق أن يعبدوها ؟

لقد كان « من اسرائيل » ، أى أن الذهب والفضة اللذين صنع منها جمعاً من شعب اسرائيل . كان إلهاً حقيراً ذلك الذى صنع من التبرعات .

[٢] وكان يعزى لمهارة وتعب الصانع (تث ١٧ : ١٥) . « **صنعه الصانع وليس (١) هو إلهاً** » ع ٦ . هذا برهان قاطع جداً ومقنع ، واستنتاج واضح كان خليقاً بأن يخطر ببالهم ، فيخجلوا من عبادتهم للأصنام . أية سخافة أشد من أن يعبد الناس إلهاً منحوه الوجود ، لكنهم لم يستطيعوا أن يمنحوه الحياة ؟ أن إلها مصنوعاً لا يمكن أن يكون إلهاً . هذه حقيقة تبرهن نفسها بنفسها . ومع ذلك فقد اتهم بولس الرسول كمجرم لأنه كرز بأن « التى تصنع بالأيادى ليست آلهة » (أع ١٩ : ٢٦) .

---

(١) « فليس » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

وهذا الذى كان يجب أن يحولهم عن أصنامهم يذكر هنا كسبب لتمسكهم بها . لذلك « لم يستطيعوا النقاوة » لأنه كان « من أنفسهم » . لقد أرادوا أن تكون لهم آلهة من صنع أيديهم يعملوا بها ما أرادوا لكى يفعلوا هم أنفسهم كل ما أرادوا .

(٢) ماذا يكون مصير آلهتهم . ان لم تكن آلهة فانها لا تدوم . أن أدعوا بأنها آلهة فانهم سيحاسبون على هذا « **إن عجل السامرة يصير كسراً** » والذين لم يخضعوا لقوة الحجة السابقة لابد أن تقنعهم هذه بأن هذا ليس إلهاً ، بل « صنما لا ينفع » . أنه « يصير كسراً » يتحطم إلى كسر صغيرة كأناء خزفى ، ولو كان عجلا ذهبياً . يصير تراباً ، أو « نسيج العنكبوت » كتفسير القديس جيروم .

و يبدو أن هذه تشير إلى ما صنعه موسى إذ سحق العجل الذهبى الذى عمل فى أيامه . فان ما عمل بذلك العجل الذى سحقه موسى سوف يعمل لهذا . لقد افتخر سنحاريب بما « صنعه بالسامرة و بأوثانها » (إش ١٠ : ١١) .

(ملاحظة) إن تأليه أية خليقة يمهد الطريق لهلاكها .

لو كانوا قد صنعوا لأنفسهم من ذهبهم وفضتهم أوانى وحلياً لدامت . أما وقد صنعوا منها آلهة فقد تحطمت « يصير كسراً » .

(٣) ماذا تجره عليهم آلهتهم . إن تحطيم تلك الآلهة خيب آمال الذين اتكلوا عليها و وثقوا فيها . لكن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد . فانهم صنعوا لأنفسهم أصناماً « **لكى ينقرضوا** » ع ٤ . لكى ينقرض ذهبهم وفضتهم اللذين أساءوا استعمالها (حسب تفسير البعض) .

بل لكى ينقرضوا هم أنفسهم و يقطعوا عن الله ، و ينقرضوا من أرضهم ، من أرض الأحياء . سوف تتلاشى عبادتهم الوثنية يقيناً بانقراضهم واستئصالهم ، كأنهم قد قصدوا هذا عمداً .

وعندما يثبت بأن هذه هى نتيجة خطيتهم فأية مساعدة يجدونها من الآلهة التى وثقوا فيها واعتمدوا عليها ؟ لا شىء على الإطلاق . « **قد زنخ ([1]) عجلك يا سامرة** » . لا يستطيع أن يقدم لك أية معونة فى شدتك ، وسوف تزول اللذة التى تجدينها فيه الآن ، ولا يكون يبقى لك بعد سرور فيه . إن الذين بعدل أرسلوا إلى الآلهة التى اختاروها (قض ١٠ : ١٤) وجدوها « معزين متعبين » (أى ١٦ : ٢) .

---

(١) « سمج » حسب ترجمة اليسوعيين ، « نبذك » حسب الترجمة الانكليزية .

إن لم يترك الناس محبة وخدمة الخطية فقدوا يقيناً كل لذة فيها ، وكل نفع فيها . لو كانت السامرة قد بقيت ثابتة وأمينة لإله إسرائيل لكان قد صار لها عضداً قو ياً . لكن العجل الذى فضلته عليه كان قصبة مرضوضة . وسوف تكون هذه هى حال الذين يجعلون فضتهم وذهبهم والهم . فانه « ينبذهم » ، « لا ينفعهم فى يوم السخط » (حز ٧ : ١٢ ، أم ١١ : ٤) .

(ملاحظة) أن الذين يسمحون لأنفسهم بأن يخدعوا بأى نوع من العبادة الوثنية سوف يجدون أنفسهم يقيناً قد خدعوا فيها . قال الكاردينال ولسى Wolsey إنه لو كان قد خدم إلهه بنفس الأمانة التى خدم بها ملكه لما « نبذه » فى شيخوخته كما فعل به ملكه .

وفى ع ٧ نجد خيبة آمالهم فى أصنامهم . فقد وضحت بتشبيه يظهرها و يظهر أيضاً الهلاك الذى جلبه الله عليهم من أجل عبادتهم الوثنية .

[١] لم ينالوا أى خير لأنفسهم من عبادتهم الاصنام . « **انهم يزرعون (١) الريح** » لقد تكبدوا مشقات جزيلة ونفقات طائلة ليصنعوا أصنامهم ، وليعبدوها . جعلوها شغلهم الشاغل كما يفعل الفلاح عندما يزرع قمحه ، راجين أن ينالوا منها ربحاً جزيلا ، وأن يكونوا ناجحين ومنتصرين كالأمم المجاورة التى كانت تعبد الأصنام .

على أن هذا كله خداع ، أنه يشبه « زرع الريح » ، الذى لا فائدة منه . انهم « يتعبون باطلا » (إش ٦٥ : ٢٣) ، « يتعبون للريح » (جا ٥ : ١٦) . يتكبدون مشقة جزيلة بلا غرض . « وللباطل يعيون » (حب ٢ : ١٣) .

هذا ما يفعله الذين يجعلون هذا العالم صنماً . فانهم « يطيرون أعينهم نحوه وليس هو» (أم ٢٣ : ٥) . فانه كالريح ، عالى الصوت خاوى الوفاض .

[٢] وبها جلبوا على أنفسهم الهلاك . « ويحصدون الزوبعة » ، التى تجرفهم وتحطمهم . إنهم لم يكتفوا بأن لا تكون آلهتم الكاذبة معهم ، لكنهم جعلوا الإله الحق ضدهم . إن رضا تلك الآلهة الكاذبة لن يفيدهم أكثر مما يفيدهم الريح ، أما غضب الله فانه يضرهم أكثر من الزوبعة .

كما يزرع الإنسان يحصد . لو فرض بأن الإنسان يستطيع أن يزرع الريح ، و يغطيه بالتراب ، أو يغلق عليه قليلا ، فاذا تكون نتيجة كبته إلا أنه ينفجر بشدة و بعنف ؟

(١) « زرعوا » حسب الترجمة الانكليزية .

إنهم يمنون أنفسهم بالمحصول الوفير، و بالسلام ، والانتصار، من عبادتهم للأصنام . لكن اماهم كلها تخيب . فان ما يزرعونه لا ينبت قط . « **زرع ليس له غلة** (١) » ، ليس له ساق ، ولا سنابل . وإن وجدت فانها « **لا تصنع دقيقاً** » . تكون كالسنابل الملفوحة في حلم فرعون التى لفحتها الريح الشرقية ، ولم يوجد فيها شيء .

« وإن صنع » ، إن نجحوا وقتياً في عبادتهم الوثنية « **فالغرباء تبتلعه** » لا يجديهم نفعاً مطلقاً ، بل أنه يكون مغرياً للغرباء لكى يغزوا بلادهم ، وغنيمة تغنى أولئك الغرباء ليزدادوا قوة في الإساءة إليهم .

(ملاحظة) ان عبادة الأصنام عبادة غير مجدية ، وأعمال الظلمة غير مثمرة (أف ٥ : ١١) ، بل انها في النهاية تؤدى إلى الهلاك . « نهاية تلك الأمور هي الموت » (رو ٦ : ٢١) . والذين « يزرعون إنما يحصدون بلية » (أم ٢٢ : ٨) . بل أن الذين يزرعون للجسد يحصدون فساداً (غل ٦ : ٨) . إن آمال الخطاة مخادعة ، وربحهم فخ لهم .

٨ قد ابتلع إسرائيل . الآن صاروا بين الأمم كأناء لا مسرة فيه ٩ لأنهم صعدوا إلى أشور مثل حمار وحشى معتزل بنفسه . استأجر افرايم محبين ١٠ إني وإن كانوا يستأجرون بين الأمم الآن أجمعهم فينفكون قليلا من ثقل ملك الرؤساء .

١١ لأن افرايم كثر مذابح للخطية صارت له المذابح للخطية ١٢ أكتب له كثرة شرائعى فهى تحسب أجنبية ١٣ أما ذبائح تقدماتي فيذبحون لحماً و يأكلون . الرب لا يرتضيها . الآن يذكر إثمهم و يعاقب خطيتهم . إنهم إلى مصر يرجعون ١٤ وقد نسى اسرائيل صانعه و بنى قصوراً وكثر يهوذا مدناً حصينة . لكنى أرسل على مدنه ناراً فتأكل قصوره .

كان من مجد وسعادة اسرائيل انهم كان لهم إله واحد ليتكلوا عليه ، ففيه كل الكفاية في كل ضيقة ، وإله واحد ليعبدوه ، وهو يستحق منهم كل عبادة . لكنه كان خطية لهم ، وحماقة ، وخزياً ، انهم — في رخائهم — تركوا مراحمهم واستبدلوها بأباطيل كاذبة .

أولا : لأنهم أكثروا محالفاتهم ع ٥ « استأجروا محبين » . لقد تكبدوا نفقات كثيرة ليشتروا صداقة الأمم المحيطين بهم ، الذين لولا هذا لما كانوا يبالون بهم ، ولما كانوا يحملون لهم أية محبة ، ولما كانوا يفكرون بأن تكون لهم أية علاقة بهم ، سوى العمل بمبدأ أهل شكيم « لكى تكون مواشيهم ومقتناهم وكل بهائمهم لنا » (تك ٣٤ : ٢٣) .

(١) « ليس له ساق » حسب الترجمة الانكليزية ، « زرع لا يقوم على ساق وغلة لا تخرج دقيقا » حسب ترجمة اليسوعيين .

لو كان اسرائيل قد احتفظوا بشرف عزلتهم لأستمرت الأمم المحيطة بهم فى الإعجاب بهم « كشعب حكيم وفطن » (تث ٤ : ٦) . لكنهم عندما نجسوا تاجهم احتقرهم جيرانهم ، ولم تعد لهم مصلحة فيهم سوى أنهم دفعوا ثمناً غالياً فى هذا . أما الذين أساءوا التصرف بين جيرانهم فهم الذين لم يكن لهم محبون سوى الذين استأجروهم . وهنا نرى .

١ ــ احتقار الأمم لاسرائيل ع ٨ « قد ابتلع اسرائيل » ابتلعهم الغرباء ، وابتلعت أرضهم ع ٧ . وإذ افتقروا هم أنفسهم فقدوا شرفهم وسمعتهم ، كالتاجر عندما يفلس ، « وصاروا بين الأمم كاناء لا مسرة فيه ، كاناء للهوان » (٢ تى ٢ : ٢٠) ، « وكاناء مهان مكسور » (إر ٢٢ : ٢٨) . لم تكن لهم قيمة فى نظر جيرانهم ، ولم يبال جيرانهم بأن تكون لهم أية صلة بهم .

(ملاحظة) أن الذين ينحرفون ، و يزدادون نجاسة ، بعد سيرهم فى طريق التدين ، هم أكثر الناس احتقاراً وهواناً . « إن فسد الملح لا يصلح لشيء الا أن يداس من الناس » (مت ٥ : ١٣) .

أو قد تشير هذه العبارة إلى تشتتهم وسبيهم « بين الأمم » . سوف يكونون بينهم فقراء ومسبيين . ومن ذا الذى يجد فى أناس كهؤلاء أية مسرة ؟

٢ ــ احترام إسرائيل للأمم رغم كل ذلك ع ٩ . « **فانهم صعدوا إلى أشور** » اطلب مساعدة ملكها . وبهذا صاروا « **مثل حمار وحشي معتزل بنفسه** » ، غبى ، عنيد ، متمرد ، صعب المراس . إن سلكوا طريقاً لا يصدهم أى شيء ، حتى ولو قوة ناموس الله ، لا يرجعهم شيء ، حتى ولا سيف غضب الله . يسلكون طريقاً من تلقاء أنفسهم ، فتكون النتيجة أنهم ــ « مثل حمار وحشى معتزل بنفسه » يصيرون فريسة سهلة وأكيدة للأسد . أنظر (أى ١١ : ١٢ ، إر ٢ : ٢٤) .

(ملاحظة) لا يكون الإنسان أقرب شبهاً إلى الحمار الوحشى إلا عندما يطلب المعونة والراحة من الخليقة ، وهو لا يجدهما إلا فى الله وحده .

٣ ــ المضايقات التى سيلقونها فى محالفاتهم مع الأمم المجاورة ع ١٠ « **إنى وإن كانوا يستأجرون بين الأمم** » و يرجون بهذا أن يمنعوا هلاكهم « **الآن أجمعهم** » ، « كحزم إلى البيدر» (مى ٤ : ١٢) . وهكذا يصير ما أعدوه لنجاتهم فريسة سهلة لأعدائهم .

(ملاحظة) لا خلاص من قصاصات الله عندما تأتى بأمره . بل أن ما يستأجره البشر لنجاتهم كثيراً ما أدى إلى هلاكهم . انظر (إش ٧ : ٢٠) .

وملك أشور، الذى التمسوا صداقته ، دعا نفسه « **ملك الرؤساء** » . « اليست رؤسائى جميعاً ملوكا » (إش ١٠ : ٨) . لقد ثقل كاهل اسرائيل ، وفرض عليهم جزية (٢ مل ١٥ : ١٩ و ٢٠) .

و بسبب هذا « **ينفكون قليلا (١) من ثقل ملك الرؤساء** » . سوف يكون هذا ثقلا خفيفاً لهم بالنسبة لما سيحل بهم فيما بعد . أو أنهم سوف يحسون قليلا بهذه المضايقة ، لا يضعونها على قلوبهم ، ولذلك قد تأتى عليهم قصاصات أثقل .

و يقرأ البعض هذه العبارة هكذا « بدأوا يتناقصون بسبب ثقل ملك الرؤساء » . لكن « هذا مبتدأ الأوجاع » (مت ٢٤ : ٨) .

(ملاحظة) كثيراً ما يأتى الله تدريجياً بقصاصاته على الشعب المتمرد ، لكى يبين كيف أنه بطىء فى الغضب ، ولكى يوقظهم للتوبة . والذين يحزنون قليلا ، إن لم يؤد هذا الحزن إلى أن يحزنوا حزناً مقدساً ، سوف يحزنون ، فى يوم آخر ، حزناً شديداً ، بل حزناً أبدياً .

ثانيا : وأكثروا مذابحهم وهياكلهم . لاحظ هنا :

١ ـــ كيف أنكروا قوة التقوى ، ونبذوها كلية ع ١٢ « **اكتب له كثرة شرائعى (١)** » . هذه تشير ضمناً إلى الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها ، إذ أعطى لهم أن يعرفوا شرائع الله وأحكامه ، وائتمنوا على أقوال الله الحية .

(ملاحظات) (١) أن شرائع ناموس الله تتضمن « عظائم الله » ، وهى تبين عظائم واضع الناموس ، وهى ذات نفع عظيم لنا ، وذات أهمية عظيمة . هى حياتنا . و يتوقف خيرنا الأبدى على حفظنا لها وطاعتنا إياها . وإذا أحسنا الانتفاع بها جعلتنا عظماء . وهى أشياء يعظمها الله ويمجدها .

(٢) أنه امتياز عظيم أن تصلنا شرائع الله مكتوبة . وبهذا تزداد يقنيه ، وتزداد انتشاراً ، وتزداد استدامة ، و يقل تعرضها للتحريف عما اذا كانت قد وصلت إلينا شفوياً فقط .

(٣) وشرائع الله كتبها الله بنفسه . فوسى والأنبياء كتبوا على لسان الله ، إذ قد « تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢١) .

---

(١) « يحلون قليلا » حسب ترجمة اليسوعيين ، « يحزنون قليلا » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) « عظائم شريعتى » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(٤) أنه لامتياز لاعضاء الكنيسة المنظورة أن هذه الشرائع كتبت إليهم ، وقصد بها إرشادهم ، ويجب عليهم أن يقبلوها على هذا الأساس . أن ما كتب فى العصور السابقة « كتب لتعليمنا » (رو ١٥ : ٤) ، وهو « نافع لنا » (٢ تى ٣ : ١٦) . وإن كان أولئك الذين كتب لهم الناموس سعداء فكم نكون أسعد نحن الذين كتبت إلينا عظائم إنجيله ، التى هى أسمى وأعظم .

لكن أنظر كيف ازدرى بهذا الامتياز . فان « عظائم شريعة » الله هذه « حسبت أجنبية » غير مفهومة ، وغير معقولة ، ومن أجل هذا تحتقر لأنها لا يمكن أن تدرك أعماقها ، ولا يمكن تعليلها . أو « أجنبية » لا تخصهم ، ليست لها علاقة بهم ، ولا داعى لكى يسلكوا بموجبها . كانوا يتناولونها كأجانب ، يخجلون منها ، ولم يعرفوا كيف يرحبون بها « وبمعرفة طرقك لانسر » (أى ٢١ : ١٤) .

(ملاحظتان) [١] إذ كتب لنا الله عظائم شريعته وجب أن نجعلها مألوفة لنا ، كأقرب اقربائنا (أم ٧ : ٣ و ٤) . لأنها كتبت لنا لكى « تحدثنا » (أم ٦ : ٢٢) .

[٢] ونحن لا ننتفع شيئاً من شريعة الله إن جعلناها أجنبية عنا ، كأنها لم تؤثر علينا ، ولذلك لا نريد أن نتأثر بها .

٢ ــ وكيف احتفظوا بصورة التقوى رغم هذا ، وكيف فعلوا هذا بدون جدوى .

(١) لقد كثروا مذابحهم « **لأن افرايم كثر مذابح للخطية** » . لقد أمر الله بأن لا يكون هنالك سوى مذبح واحد للذبيحة (تث ١٢ : ٣ و ٥) .

أما العشرة الأسباط ، فاذا تركوا هذا ظلوا يعتبرون أنفسهم أتقياء ، وغيورين على مجد الله ، وأقاموا مذابح كثيرة مكرسة لإله إسرائيل الذى قصدوا ، أو على الأقل ادعوا أنهم يمجدوا بهذا ، كأنهم يريدون أن يكفروا عن اساءتهم لمذبح الله .

لكن هذا لم يكن يبرر كسرهم لوصية الله الصريحة . كذلك لم يكن يبررهم مثال الآباء الأولين الذين كانت لهم مذابح كثيرة قبل ناموس موسى .

بل كثروا المذابح « للخطية » أى أنهم فعلوا ما تحول لهم إلى خطية ولذلك تكون هذه المذابح لهم « للخطية » ، أى أن الله سوف يعتبرها لهم خطية مشينة ، وأضاف إلى جرائمهم الكثيرة ذاك الذى كانوا يقصدون به أن يكفروا عن جرائمهم .

أو أن هذه المذابح سوف تكون لهم فرصة لخطية أخرى . فان تكثيرهم للمذابح المكرسة لإله اسرائيل كان يفتح الباب لإقامة مذابح مكرسة لآلهة أخرى .

(ملاحظة) إن افساد عبادة الله خطية شنيعة . وسوف يعتبر خطية لمن يفعلونه ، مهما كانت مظاهر مدعيها جميلة . وهذا الطريق ـــ كباقي الخطايا ـــ سريع الانحدار . فان الذين ينحرفون عن القانون الثابت الذى لوصايا الله يتيهون إلى ما لا نهاية .

(٢) وكثروا ذبائحهم ع ١٣ . كانت مذابحهم مذابح مدخنة « **أما ذبائح تقدماتي فيذبحون لحماً ويأكلون** (١) » ويحتفلون بأعيادهم من ذبائحهم . لقد تكبدوا نفقات طائلة من أجل إقامة عبادتهم ، غيورين فيها جداً ، كما يكون عادة الذين يحلون اختراعاتهم محل العبادة التى رسمها الله . كأنهم أرادوا بما فرضوه على أنفسهم أن يفكروا عن **احتقارهم للكفارة العظمى ،** وأرادوا بممارستهم للطقوس التى اخترعوها أن يتحللوا من التزاماتهم بكل وصايا الله الأدبية . لكن ماذا كان حالهم ؟

[١] أن الله لا يعير أقل التفات لعبادتهم « **الرب لا يرتضيها** » . وكيف يرتضيها إن كانوا لا يقدمون ذبائحهم على المذبح الذى هو وحده يقدس التقدمة ، وإن كانوا قد ذبحوا لحماً فقط ، دون الذبيحة الروحية التى يقدمها القلب التائب المؤمن .

(ملاحظة) أن الخدمة الوحيدة التى يقبلها الله هى التى تتمم وفق ما رسمته كلمته ، وبيسوع المسيح (١ بط ٢ : ٥) .

[٢] وانتهز تلك الفرصة ليحاسبهم على خطاياهم . إنه الآن « **يذكر إثمهم ويعاقب خطيتهم** » بدلا من أن يغفر اثمهم ويمحو خطاياهم كما كانوا يتوقعون . ان « ذبيحة الأشرار مكرهة الرب » (أم ١٥ : ٨) وبها يغيظون حتى يدعوهم ليحاسبهم عن مكرهاتهم الاخرى عندما يظنون أنهم بذبائحهم يرشون ديان السماء والأرض لكى يغض النظر عن آثامهم فانه يعتبر هذه أشد اساءة يمكن أن يوجهوها إليه ، وتصير هى الخطية التى تملأ المكيال .

(ملاحظة) إن طلب الاذن للخطية يعتبر طلباً للعنة من أجل الخطية ، وهكذا « يجيبه الرب حسب كثرة أصنامه » (حز ١٤ : ٤) .

« **ويعاقب خطيتهم أنهم إلى مصر يرجعون** » سيحملون اسرى إلى أشور التى تصير لهم بيت عبودية ، كما كانت مصر لآبائهم .

أو أنها تشير إلى ما ورد فى (تث ٢٨ : ٦٨) حيث قيل أن الرجوع إلى مصر يختم و يكمل نكبات تلك الأمة الخاطئة .

(١) « يذبحون لحما من أجل ذبائح تقدماتى ، ويأكلونه » حسب الترجمة الانكليزية .

(٣) وكثروا هياكلهم ، وهذا أيضاً إكراماً للإله الحق ، حسب ادعائهم ، لكنه في الواقع كان أزدراء باختيار الله لأورشليم ليحل اسمه فيها . « **نسي إسرائيل صانعه** » ع ١٤ . لقد ادعوا بأنهم يعرفونه ، لكنهم نسوه ، لأنهم « لم يستحسنوا أن يبقوافي معرفتهم » (رو ١ : ٢٨) ، طالما كان تذكره يصدهم عن شهواتهم .

وكان مما يزيد شناعة خطيتهم في نسيان الله أن الله هو « صانعهم » (تث ٢٢ : ١٥ و١٨ ، أي ٣٥ : ١٠) . لأنه لا شيء يلزمنا بتذكره أكثر من أنه هوخالقنا (جا ١٢ : ١) .

أنه « نسي صانعه » ثم « **بنى قصوراً (١)** » . كان يبدو بالهياكل التي بناها أنه يذكر صانعه و يظل حافظا إياه في ذاكرته . لكنه في الواقع نسيه ، لأنه طرح عنه مخافته .

أو « بنى قصوره » . لقد « نسي صانعه » ومع ذلك كان آمناً ومتغطرساً حتى تحدى أحكامه ، كما فعل نبوخذ نصر عندما قال « أليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها » (دا ٤ : ٣٠) .

واتهم يهوذا أيضاً بأنه « **كثرمدناً حصينة** » ، واعتمد عليها لسلامته ، مع ان قصاصات الله كانت على الأبواب . كان تحصين مدنهم مع الخضوع لله أمراً مستحسناً جداً . أما تحصينها لمقاومة الله ، ودون أي اعتبار له أو لأعمال عنايته (إش ٢٢ : ١١) فقد بين بأن قلوبهم قد « تقست في غرور الخطية » (عب ٣ : ١٣) . ولكن « من تصلب عليه فسلم » حتى يسلموا هم (أي ٩ : ٤) .

والله « يرسل على مدنهم ناراً » ، على مدن يهوذا وإسرائيل . ليس فقط على مدينتيهم الرئيسيتين ، أورشليم والسامرة ، بل على المدن الاخرى في هاتين المملكتين فالنار لا تلتهم الاكوام فقط ، بل القصور أيضاً التي فيها . ومهما كانت حصينة فالنار تقوى عليها ، مهما كانت فاخرة فالنار لن تشفق عليها .

هذا تم عندما حول ملك أشور كل مدن إسرائيل إلى رماد ، وعندما فعل ملك بابل هذا بمدن يهوذا . كانت النار التي اشتعلت هنا وهناك من صنع الله « أرسل ناراً » . وهو عندما يدين يغلب .

---

(١) « هياكل » حسب اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

الأصحاح التاسع

في هذا الأصحاح نرى :

(١) أن الله يهدد بحرمان نسل اسرائيل الفاسد هذا من كل تمتعاتهم العالمية ، لأنهم بالخطية خسروا استحقاقهم لها . ولذلك فلن يتمتعوا لا بقبولها هم أنفسهم، ولا بتقديمها لله ع ١ — ٥ .

(٢) ويحكم عليهم بالخراب التام من أجل خطاياهم وخطايا أنبيائهم ع ٦ — ٨ .

(٣) و يوبخهم من أجل خطايا آبائهم الذين كانوا قبلهم ، والذين سلكوا في خطواتهم ع ٩ و ١٠ .

(٤) ويهددهم بهلاك أبنائهم واستئصال ذريتهم ع ١١ — ١٧ .

١ لا تفرح يااسرائيل طرباً كالشعوب . لأنك قد زنيت عن إلهك . أحببت الأجرة
على جميع بيادر الحنطة ٢ لا يطعمهم البيدر والمعصرة . و يكذب عليهم المسطار ٣
لايسكنون في أرض الرب . بل يرجع أفرايم إلى مصر . و يأكلون النجس في أشور ٤
لا يسكبون للرب خمراً . ولا تسره ذبائحهم . انها لهم كخبز الحزن . كل من أكله يتنجس . أن
خبزهم لنفسهم . لا يدخل بيت الرب ٥ ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب
٦ انهم قد ذهبوا من الخراب . تجمعهم مصر . تدفنهم موف . يرث القريص نفائس
فضتهم . يكون العوسج في منازلهم .

هنا نرى :

أولا : اتهام شعب إسرائيل بالزنى الروحي . « **يااسرائيل ... أنك قد زنيت عن الهك** » ع ١ . كان عهدهم مع الله عهد زيجة . به ارتبطوا بالله كالههم ، نابذين كل الآله الأخرى . لكنهم عندما أقاموا أصناماً ، وعبدوها ، عندما لجأوا للخليقة للمعونة ، واتكلوا عليها ، « زنوا عن الله » كالههم ، وأكرموا منازعيه ومنافسيه بالمحبة ، والعبادة ، والثقة ، التي لا تليق الا بالله وحده .

عبدت الشعوب الأخرى الأصنام ،لكن هذه الخطية لم تحسب لهم زنى ذن الله ، كما حسبت على اسرائيل الذين كانوا مرتبطين به بعهد الزيجة . .

(ملاحظة) ان خطايا المتدينين المرتبطين بعلاقة مع الله أشد إغاظة له أكثر من خطايا غيرهم .

و برهاناً على زناهم عن الله اتهموا بأنهم « **أحبوا الأجرة (١) على جميع بيادر الحنطة** » .

١ ــ أحبوا أن يعطوا أجرة (مكافآت) لأصنامهم ، بالتقدمات والباكورات التى قدموها لها من « جميع بيادر الحنطة » . كانت لهم لذة غريبة فى خدمة أصنامهم بتلك الخيرات التى كان يتحتم عليهم تكريسها لله ، واستخدامها فى خدمته .

(ملاحظة) من عادة الذين يبخلون فيما تتطلبه ديانتهم ان يسرفوا فى الانفاق على شهواتهم .

٢ ــ أو أحبوا أن يأخذوا أجرة (مكافآت) من أصنامهم معتبرين بأن ثمار الأرض ينبغى أن تكون هكذا . « هذه أجرتى التى أعطانيها محبى » (ص ٢ : ١٢) .

(ملاحظة) ان الذين يحبون أجرتهم من بيدر الحنطة لا من رضا الله والحياة الأبدية هم فى الحقيقة يميلون للزنى الروحى .

ثانيا : ومنعوا من أن يفرحوا كالشعوب الاخرى « **لا تفرح ياأسرائيل طرباً** » . لا تتوقع بأن تفرح . أى سلام ، أى فرح ، ومالك بهذا أو ذاك ، مادام زناك وسحرك كثيراً (٢ مل ٩ : ١٩ ــ ٢٢) . لا تفكر فى أن تفرح لأنه لايليق بك أن تفرح ، بل بالحرى « اكتئبوا ونوحوا وابكوا » (يع ٤ : ٩) .

كان يحق ليهوذا أن يفرح ، فقد ظل ملتصقاً بالله الحقيقى ، كذلك يحق للشعوب الأخرى التى لم تعرفه قط ، ولا كان ممكناً أن تتهم بالتمرد عليه ، لأنه لم يكن هنالك ما يدعوهم كثيراً أن يخجلوا كاسرائيل ، الذى زنى عنه .

يظن البعض أنهم وقتئذ كانت لهم مناسبة خاصة للفرح ، ربما بسبب استرداد بعض الخسائر ، أو ربح بعض المغانم ، أو بسبب عقد معاهدة مع حليف قوى . ومن أجل هذا فرحوا فرحا عاما ، كما اعتادت الشعوب الأخرى فى مثل تلك المناسبات . لكن الله أمرهم بأن لا يفرحوا .

---

(١) « مكافأة » حسب الترجمة الانكليزية .

(ملاحظة) الفرح فاكهة محرمة على الاشرار.

ينبغى أن لا يفرحوا لأنهم زنوا عن إلههم . وذلك

١ ـــ مهما كان ذاك الذى فرحوا من أجله فانه لايمكن أن يجعلهم فى أمان ، ولايمكن أن يكون امتيازاً لهم طالما كانوا بعيدين عن الله ، وطالما كانوا يحاربون الله .

(ملاحظة) إن كنا لانجعل الله أعظمَ فرحنا فلايمكن ان نحصل من الخليقة الا على فرح ضئيل جداً .

٢ ـــ ان الشعور بالخطية والخوف من غضب الله ينبغى أن يلاشيا أفراحهم ومسراتهم .

(ملاحظة) ان الذين بابتعادهم عن الله قد فتحوا المجال للتوبة يعطلون بهذا فرحهم إلى أن يعودوا و يتصالحوا مع الله .

ثالثا : وقد هددوا بقصاصات مهلكة من أجل زناهم الروحى ، وفقا لما سبق أن قيل (مز ٧٣ : ٢٧) « هوذا البعداء عنك يبيدون . تهلك كل من يزنى عنك » . لقد هددوا هنا :

١ ـــ بأن أرضهم لا تعطى ثمارها الوفير المعتادة . فكنعان (تلك الأرض المثمرة) يجعلها « سخية من شر الساكنين فيها » (مز١٠٧ : ٣٤) . لقد أحبوا « بيادر الحنطة » ، فامتلأوا فرحاً ، فرح الحصاد ، حتى اصبحوا لا يحسون قط بأى ميل للحزن على خطاياهم . ولذلك فان الله ، لكى يذلهم ، لا ينزع منهم فقط ملذاتهم وأطايبهم ، بل أيضاً طعامهم الضرورى « **لا يطعمهم البيدر والمعصرة** »ع ٢ ، و بالأولى لايقدمان لهم ولائم . إما أن الله يفلحها بيده ، أو تنهبها يد الإنسان . « والمسطار» الذى استخدموه ليفرحهم « يكذب عليهم » .

(ملاحظة) عندما نجعل العالم ، والأشياء التى فيه ، صنماً لنا ونصيباً ، فوق ما قصد به ، يكون عدلا أن يحرمنا الله حتى من المعونه والتغذية التى فى العالم ومافيه ، حسبما قصد به ، وذلك لكى يبين لنا غباوتنا ، و يؤدبنا من أجلها . أن الذين يطلبون أجرتهم من بيادر الحنطة يحرمون من طعامهم من بيادر الحنطة . اننا نحرم من خيرات هذا العالم إن احببناها كأنها أفضل شيء .

٢ ـــ و بأن أرضهم لا تكف فقط عن أن تطعمهم ، بل تكف عن أن تسكنهم ، وعن أن تكون مسكناً لهم . « وتقذفهم كما قذفت الشعوب (الكنعانيين) التى قبلهم » (لا ١٨ : ٢٨) . « **لا يسكنون فى أرض الرب** » فيما بعد ع ٣ . كانت أرض كنعان بصفة خاصة « أرض الرب » ، أرض رب كل العالم . فان ذاك الذى « له الأرض وملؤها » (مز٢٤ : ١) . اتخذ تلك الأرض ملكا له .

قال الله « والارض لا تباع لأن لى الأرض » (لا ٢٥ : ٢٣) . أما هم فقد استعملوها ، او بالحرى أساءوا استعمالها ، كأنها ملك لهم ، لم يدفعوا الإيجار الواجب ، ولا أدوا الحقوق الواجبة لله صاحب الأرض . ولذلك فان الله « يدخل » بعدل ، ويمتلكها ، لأنهم خسروا حق امتيازهم فيها .

يقول الله « لى الأرض » ، وسوف أبين هذا لأنهم سوف يضطردون كمستأجرين أشرار ، وأبين أنهم ليسوا الا مستأجرين بارادتى ، وإن كانوا قد ظنوا بأنهم أصحاب الأرض .

(ملاحظة) مما يمجد عدل الله وقداسته ان الذين يزنون عنه لا يسمح لهم بالسكن على أرضه . ولذلك فان الأشرار لابد أن « يطردوا من المسكونة » إن آجلا أو عاجلا (أى ١٨ : ١٨) .

أو انها دعيت « أرض الرب » لأنها كانت هى الأرض المقدسة ، « أرض عمانوئيل » ، الأرض التى كانت لها علامات خاصة عن محبة الله لها ، وحضوره فيها ، حيث كان الله معروفاً فيها ، واسمه عظيم ، حيث حل الله فيها أنبياء الله ، وأقوال الله الحية . لقد كانت صورة مصغرة للفردوس الأرضى . ورمزاً للفردوس السماوى .

كان امتيازاً عظيماً أن يكون للمرء نصيب فى أرض كهذه ، وكانت خطية شنيعة وحماقة أن يتمرد على الله ، وأن يزنى عنه ، فى أرض كهذه ، « وأن يصنع الشر فى أرض الإستقامة » (إش ٢٦ : ١٠) . وكان قصاصاً مروعا أن يطرد المرء من أرض كهذه ، إذ يعتبر بمثابة طرد أبوينا الأولين من جنة عدن ، وبمثابة الطرد من كنعان السماوية .

(ملاحظة) ان الذين يأبون الخضوع لشرائع الرب ، أو التأثر بمحبته ، لا يمكنهم أن يتوقعوا السكن فى أرض الرب . والذين لا يسلكون بحسب قوانين الكنيسة يخسرون امتيازاتها .

٣ — وعندما يطردون من أرض الرب لا يجدون راحة أو استقراراً فى أى أرض أخرى . عندما « طرد قايين من وجه الرب » صار « تائهاً وهارباً » فى الأرض حتى نهاية حياته (تك ٤ : ١٤)، وسكن فى « أرض الأتعاب » .

هكذا يكون الحال مع اسرائيل هنا . فالبعض « **يرجعون إلى مصر** » ، بيت العبودية القديم ، إليها يهربون من وجه الأشوريين (ص ٨ : ١٣) ، فيخسرون أنفسهم ، ويهلكون أنفسهم ، حيث ظنوا أن يختبئوا و ينجوا .

والاخرون يحملون أسرى إلى اشور ، وهناك « **يأكلون النجس** » .

(١) أى يأكلون ما لا يليق بالبشر أن يأكلوه ، أى المتعفن القذر، إشارة إلى انهم يصلون الى أقصى درجات الفقر، كالابن الضال « الذى كان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله » (لو ١٥ : ١٦) .

(٢) أو يأكلون ما لا يليق باليهود أن يأكلوه ، لأن الناموس يحرمه . الأرجح أنهم طالما كانوا فى أرضهم كانوا يدققون فى الأطعمة وكانوا يفتخرون بهذا ، حتى وإن كانوا لم يطيعوا فى نواح اخرى . لكن طالما كانوا لم يريدوا أن يحفظوا ناموس الله فى نواح أخرى فكان يجب أن لا يسمح لهم بأن يحفظوه فى هذه الناحية ، وكان قصاصاً عادلا من أجل خطيتهم بأكلهم مما قدم للأوثان .

(ملاحظة) عندما نعانى بعض الآلام فى طعامنا ، ونضطر إلى أن ناكل ونشرب ما تعافه نفوسنا ، إما بسبب عدم توفر الطعام ، أو لأسباب صحية ، فيجب أن نعترف بأن الله عادل لأننا قد أخطأنا من جهة طعامنا ، وأفراطنا فى أكل وشرب ما تشتهيه نفوسنا .

٤ ـــ وفى أرض أعدائهم ، التى يسبون إليها ، سوف لا تكون لديهم فرصة لا لتمجيد الله ، ولا للحصول على رضاه ، بتقديم أية ذبيحة إليه . سوف لا تكون لديهم قدرة على الإطلاق لأية مظاهر دينية بين الذين سبوا فى وسطهم . وهكذا يكونون كأنهم قد قطعوا تماماً من أية علاقة به ، من كل علامات النعمة ، و وسائط المصالحة معه ، وعلى انه لم يعد بعد يعترف بأنهم شعبه .

(١) سوف لا تكون لديهم ذبائح لتقديمها ، ولا مذبح يقدمونها عليه ، ولا كهنة ليقدموها . « **لا يقدمون للرب خمراً** » و بالأحرى لا يقدمون له ذبائح .

(٢) وإن قدموها فانهم لا يكونون مقبولين أمامه لاهم ولا ذبائحهم ، لأنهم لا يمكن أن تكون لديهم ذبائح شرعية ، ولأن قلوبهم لم تذلل . « لا تسره ذبائحهم » .

(٣) و بدلا من ذبائحهم للسرور والتسبيح فانهم يأكلون « **خبز الحزن** » . يعيشون موحشين ، بدون تعزية ، حزانى بسبب موت أقربائهم ، و بسبب شقاوتهم . وحتى إذا توفرت لديهم الفرصة لتقديم الذبائح فلن تكون حالتهم النفسية مهيأة لها . لأنهم قد أمروا بأن لا يأكلوا المقدسات « فى حزنهم » (تث ٢٦ : ١٤) . « **كل من أكله** » أى أكل خبز الحزن « **يتنجس** » ولا يستطيع أن يكون من « شركاء المذبح » .

(٤) « **ان خبزهم لنفسهم** » الخبز الذى يجب أن يأكلوه وإلا ماتوا جوعاً ، الذى يجب أن يأكلوه لاستبقاء حياتهم « **لا يدخل بيت الرب** » لا يكون لديهم بيت للرب لكى يأتوا به إليه ، وإن وجد البيت لا يكون الخبز لائقاً بأن يقدم ، ولا يكونون لائقين لتقديمه .

(٥) ولهذا سوف تكون عودة أعيادهم المقدسة ومواسمهم أيام حزن وغم لهم ع ٥ « ماذا تصنعون في يوم الموسم » في السبت « في يوم الموسم » كل اسبوع ، « في الأهلة » في يوم الموسم كل شهر ، في عودة يوم الفصح ، و يوم الخمسين ، وعيد المظال ، في « يوم الموسم » كل سنة ، « **في يوم عيد الرب** » ؟

(ملاحظة) إن أعياد الرب أيام موسم ، أيام مقدسة رهيبة وعندما تدعى لتلك الأعياد يجب أن نفكر جدياً فيما نفعله .

لكن السؤال هنا موجه لمن كانوا سيحرمون من بركة وتعزية تلك الأعياد الرهيبة « **ماذا تصنعون** » حينئذ . سوف تقضون تلك الايام في الحزن والبكاء وكان يجب أن تقضوها في الفرح والتسبيح لولا خطاياكم . سوف تدركون قيمة المراحم عندما تحرمون منها ، وقيمة طعام الروح عندما تشعرون بالجوع إليه .

(ملاحظة) عندما نتمتع بوسائط النعمة يجب أن نفكر فيما كنا نعمله لو حرمنا منها ، أو اخذت منا ، أو عجزنا عن حضورها .

٥ — وسوف يهلكون في أرض تشتتهم ع ٦ « **انهم قد ذهبوا** » من أرض الرب التي كان يمكنهم أن يقضوا فيها أيام السبت ، وأيام الأعياد الأخرى ، في سلام ، « **ذهبوا من الخراب** (١) » ، ذهبوا إلى « مصر » من أجل تخريب الأشوريين لبلادهم ، وهم يمنون أنفسهم بالآمال بالعودة عندما تهدم العاصفة . لكن هذه الآمال سوف تخيب أيضاً . فانهم سوف يجدون قبور مصر تنتظرهم ، كما سبق ان قال آباؤهم في تذمرهم (خر ١٤ : ١١) . سوف يجدون قبوراً لهم . « **تجمعهم مصر** » كما يجمع الموتى ويحملون إلى القبر « **تدفنهم موف** » (منف) إحدى مدن مصر الرئيسية ، وقد جمع إرميا النبي الجمع والدفن معاً (إر ٨ : ٢ ، إي ٢٧ : ١٩) .

(ملاحظة) إن الذين يتعمدون الهروب من قصاصات الله يلقون الموت في نفس المكان الذي ظنوا انهم ينجون أنفسهم فيه .

٦ — سوف تخرب التي تركوها ، والتي كانوا يرجون العودة إليها . سوف تهدم « **منازلهم** » التي سبق أن سكنوا فيها ، وحفظوا فيها نفائسهم ، « **نفائس (١) فضتهم** » وتصير خراباً ، لدرجة أنها ينبت فيها « **القريص** » ، حتى إذا ما قاوموا الضيقات وعاشوا ، ورجعوا ثانية إلى أرضهم ، وجدوها لا تصلح للزرع ولا للسكن ، لا تقدم لهم طعاماً ولا مسكناً .

---

(١) « من اجل الخراب » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(ملاحظة) إن الذين يجعلون المال إلهاً لهم يحسبون أماكن فضتهم أماكنهم النفيسة ، كما أن الذين يجعلون الرب إلهاً لهم يحسبون مظاله جميلة وفرائضه مشتهيات (إش ٦٤ : ١١) . وعندما تتقدم من البشر لذة الشركة مع الله فان « نفائس الفضة (١) » التى اشتريت بفضة ، أو التى اودعوا فيها الفضة ، او التى زينوها بالفضة ، تكون عرضة للخراب ، و ينبت فيها القريص ، وتتلاشى كل لذة كانوا يجدونها فيها .

٧ جاءت أيام العقاب . جاءت أيام الجزاء . سيعرف اسرائيل . النبى أحمق . انسان الروح مجنون من كثرة اثمك وكثرة الحقد ٨ افرايم منتظر عند إلهى . النبى فخ صياد على جميع طرقه . حقد فى بيت إلهه ٩ قد توغلوا فسدوا كأيام جبعة . سيذكر أثمهم . سيعاقب خطاياهم .

١٠ وجدت اسرائيل كعنب فى البرية . رأيت آباءكم كباكورة على تينة فى أولها . أما هم فجاءوا الى بعل فغور ونذروا أنفسهم للخزى وصاروا رجساً كما أحبوا .

ولأيقاظهم مرة أخرى إليهم هذا التهديد .

أولا : ان الخراب السابق التحدث عنه سوف يجىء سريعاً . لهم مبرر لكى يرجوا ارجاء تنفيذ القصاص طويلا ، لأن الدينونة لا تنعس ، انها على الأبواب « جاءت ايام العقاب (٢) بلا أبطاء « **جاءت أيام الجزاء** » التى طالما انذروا بتوقيعها لقد أخبرهم انبياءهم بان الخراب آت ، وها هوذا قد أتى ، وانتهى وقت الصبر الإلهى .

(ملاحظتان) (١) إن يوم دينونة الله هو « يوم العقاب » (الافتقاد) ، فيه تكشف خطايا البشر ، « و يوم جزاء » ، فيه يصدر الحكم لتحديد مصير البشر ، ويجازى كل واحد حسب أعماله . ان الافتقاد الصارم تمهيد للجزاء العادل .

(٢) و يوم الافتقاد والجزاء هذا مسرع . إنه أكيد ، وقريب ، كأنه قد جاء فعلا .

ثانيا : وهم بهذا سوف يخجلون من موقفهم بازاء أنبيائهم . عندما يأتى يوم الافتقاد « **سيعرف اسرائيل** » سيعرفه . سيعرف بالاختبار الأليم مالم يرد أن يعرفه بالتعليم سيعرف اسرائيل وقتئذ ان « ترك الرب شر ومر » (إر ٢ : ١٩) وأن الوقوع فى يديه مخيف (عب ١٠ : ٣١) . « يارب عند ارتفاع يدك ولايرون . يرون ويخزون » (إش ٢٦ : ١١) . سوف يعرف اسرائيل الفرق بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة .

(١) « الامكنة النفيسة لفضتهم » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) « الافتقاد » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

١ — سوف يعرفون وقتئذ ان ادعياء النبوة ، الذين تملقوهم وهم في خطاياهم ، وخدروا أعصابهم حتى ظنوا أنهم آمنين ، وقالوا لهم أنهم سوف يكون لهم سلام ، ولو ظلوا سائرين في طريقهم الملتوى ، مهما ادعوا بأنهم روحانيون ، كما ادعى أنبياء آخاب (١ مل ٢٢ : ٢٤) — سوف يعرفون أن الأنبياء حمقى ومجانين ، وليسوا أنبياء صادقين . « النبي أحمق . . ومجنون » . لقد خدعوا أنفسهم وأضلوا الذين تنبأوا لهم .

لكن لماذا سمح الله لشعبه اسرائيل بأن يضللهم أولئك الأنبياء الكذبة ؟ والإجابة على ذلك نجدها في الكلمات التالية « **من كثرة اثمك** » وهو احتقار الناموس الإلهى ، الأمر الذى أجريت عليه ، « وكثرة الحقد » على الأنبياء الصادقين ، الذين وبخوك — من أجل ذلك — بأسم الله .

(ملاحظة) لأن الناس لا « يقبلون محبة الحق » ، بل يبغضونه ، و يتحدونه بكثرة آثامهم ، لذلك « يرسل الله إليهم عمل الضلال (١) حتى يصدقوا الكذب » (٢ تس ٢ : ١٠ و ١١) . وسيكون هذا الضلال قوياً جداً بحيث لا يستفيقون منه حتى يأتى « يوم الإفتقاد والجزاء » ، الذى يقنعهم بحماقة وجنون الذين أضلوهم ، وحماقتهم وجنونهم لأنهم سمحوا لهم بأن يضللوهم .

٢ — سوف يعرفون وقتئذ إن كان الأنبياء الحقيقيون ، الذين كانوا روحانيين فعلا ، مسترشدين بروح الله ، هم كما دعوهم وحسبوهم حمقى ومجانين . وسوف تقتنعون بأنهم أبعد من أن يكونوا هكذا ، وأنهم هم حكماء جيلهم ، وسفراء الله الأمناء الذين أرسلوا إليهم ،

عندما رأى اسرائيل أنه لم يسقط على الأرض شيء من كلام صموئيل عرفوا انه أؤتمن نبياً للرب (١ صم ٣ : ١٩ و ٢٠) . وهكذا الحال هنا ، فانه عندما يتمم الله كلمة أنبيائه ، بمجيء أيام الجزاء التى تنبأوا بها ، فان الذين احتقروهم وسخروا بهم وحسبوهم مجانين ، سوف يخجلون من « كثرة آثامهم » التى من هذا القبيل ، ومن « كثرة الحقد » ، الأمر الذى من أجله يأتى الله عليهم بهذا الخراب السريع . كان الاستهزاء بأنبياء الرب هو الخطية التى عوقبوا من أجلها ، وأخجلوا بسببها .

ثالثا : وبهذا يعلن شر الأنبياء الكذبة أنفسهم لتخجيلهم ع ٨ « **افرايم منتظر عند إلهى (٢)** » . قديماً كان رقيب افرايم عند إلهى . كان لديهم مجموعة من الخدام الصالحين الأمناء ،

(١) « ضلالا قويا » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) افرايم منتظر عند إلهى . النبى فخ صياد على جميع طرقه . حقد في بيت الهه » ترجمة بيروت . « إن النبى رقيب افرايم عند إلهى قد صار فخ صياد على جميع طرقه وحنقا في بيت الهه » ترجمة اليسوعيين « رقيب افرايم عند إلهى اما النبىّ فهو فخ صياد فى كل طرقة و بغض في بيت إلهه » حسب الترجمة الانكليزية .

الذين ظلوا متصلين ، ومحتفظين بالشركة معه . أما الآن فلديهم مجموعة من الفاسدين ، الخبثاء ، مضطهدى الأنبياء ، الذين هم أساس كل شر.

أو ، أن رقيب افرايم يدعى الآن بأنه كان عند الله ، و يقدم لأكاذيبه بهذه العبارة « هكذا قال الرب » ، لكنه « **فخ صياد على جميع طرقه** » ، وهو يحتال بمكر لكى يجر البسطاء إلى الخطية والمستقيمين إلى التعب . وهو ملىء بالحقد والبغضة والعداوة للصلاح وللصالحين ، حتى أصبح هو الحقد نفسه « **حقد فى بيت الهه** » ، أو « حقد ضد بيت الهه » .

(ملاحظة) إن الأنبياء الأشرار هم أشر الناس ، وخطاياهم ضد الله أشنع الخطايا ، ومؤامراتهم ضد الديانة أخطر المؤامرات . قد يفتخرون بأنهم رقباء و بعيدى النظر، وأنهم — حسبما يتسع بعد نظرهم — صادقون ، « وعند إلهى » وأن أدمغتهم مملوءة أفكاراً صالحة . لكن إذا ما تأملت فى حياتهم وجدتهم « **فخ صياد على جميع طرقهم** » ليصطادوا الآخرين ويجعلوهم فريسة . وإذا ما تأملت فى قلوبهم وجدتها « حقداً فى بيت إلهى » ومملوءة خبثاً على الخدام الصالحين ، والناس الصالحين . و يل لك أيتها الأرض ، و يل لك أيتها الكنيسة ، التى يوجد مثل هؤلاء الرقباء والأنبياء ، الذين يرون لكنهم لا يعملون . يقول المثل اللاتينى : إن فسدت أحسن الأمور صارت أسوأها .

رابعا : وسوف يحاسبهم الله الآن على خطايا آبائهم ، التى سلكو فى أثرها ٩ و ١٠ .

١ — فقد كانوا أشراراً كآبائهم « **قد توغلوا فسدوا** (١) » **قد تأصلوا وتعمقوا فى** الخطية ، تعمقوا فى أعماق الشيطان (إش ٣١ : ٦) ، حتى أصبح **شفاؤهم مستحيلا . ان لوثة** الفساد عميقة ، لا يمكن استئصالها . انها كالقرمز وكالدودى ، او كرقط النمر.

والذنب ذنبهم ، لأنهم هم الذين « فسدوا أنفسهم » . أفسدوا وقسوا قلوبهم « **كأيام جبعه** » عندما أذل سكان جبعة سرية الرجل اللاوى حتى ماتت ، وستر جميع سبط بنيامين على هذه الفضيحة (قض ٢٠) . كان ذلك زمن فساد عميق حقاً ، وهذه هى الحال فى الأيام الحاضرة (أيام النبى هوشع) . فالنجاسة والدعارة والفجور أصبحت الآن وقحة وجريئة « كأيام جبعة » . وماذا ينتظر إلا الانتقام كالذى حدث فى جبعة ؟ .

---

(١) « توغلو فى الافساد » حسب ترجمة اليسوعيين « توغلوا فى إفساد انفسهم » حسب الترجمة الانكليزية .

لقد فسد كل سبط كسبط بنيامين ، فكان ينبغى أن يتوقعوا نفس قصاص ذلك السبط .

٢ — ولذلك سوف يحاسبون على خطايا آبائهم . « **سيتذكر إثمهم سيعاقب خطاياهم** » ، ثم الذى ورثوه بعينه ، والخطية التى تجرى فى دمائهم . سوف تفتقد الآن خطية الآباء فى الأبناء . ومن هذا اتخذ الله الفرصة ليوبخهم من أجل انحطاط آبائهم وارتدادهم ، من أجل خيانتهم وجحودهم الخسيس ع ١٠ . هنا نلاحظ :

(١) الشرف العظيم الذى وضعه الله على إسرائيل عندما جعلهم أولا شعباً . « **وجدت اسرائيل كعنب فى البرية** » لقد سربهم جداً كما يسر السائح المتعب إذ يجد عنباً فى البرية ، وحيث كان فى أشد الحاجة إليه ، وحيث كان لا يتوقع أن يجده قط .

أو ، عندما كانوا فى البرية وجدهم كعنب ، ليست لهم قيمة فى حد أنفسهم ، لكن لهم قيمة عظيمة فى نظره ، ومبهجون كباكورة العنب لصاحب الكرم . كانوا « عزيزين فى عينيه ومكرمين » (إش ٤٣ : ٤) ، لأنه « غرسهم كرمة سورق زرع حق » (إر ٢ : ٢١) . « ووجد أنهم ليسوا أفضل مما صنعهم ، وجد إنهم عنب جيد فى بداية الأمر .

« رأيت » بسرور « **آباءكم كباكورة على تينة فى أولها** » . يشبه الناس الصالحون بالتين الجيد جداً الباكورى (إر ٢٤ : ٢) . إن تينة واحدة فى وقت مبكر أفضل من تين كثير فيما بعد .

هذه تشير إلى مسرة الله بهم ، وبعمل الخير لهم ، ليس من أجل خاطرهم ، بل لأنه أحب آباءهم . لقد حفظهم بحرص ، كما يحفظ المرء باكورة وأفضل عنب كرمه .

عندما وضع الله عليهم كل هذا الشرف ، ووقفوا امامه فى جمال عظيم ، كان يظن المرء إنهم سوف يحتفظون بهذا السمو العظيم . لكن .

(٢) انظر الخزى العظيم الذى وضعوه على أنفسهم لقد أفرزهم الله لنفسه شعباً خاصاً . « **أما هم فجاءوا إلى بعل فغور** » اشتركوا مع المؤابيين فى تقديم الذبائح لذلك الاله القذر النجس (عد ٢٥ : ٢ و ٣) .

« **ونذروا أنفسهم للخزى** » لذلك الصنم المخزى . هكذا كان بعل فغور بكيفية خاصة ، إذ يبدو أن الزنى الذى ارتكبه الشعب مع بنات موآب كان جزءاً من العبادة التى تقدم لبعل فغور .

(مـلاحـظـة) أن الـذيـن يـتـركـون الله سوف يجدون يقيناً ما نذروا أنفسهم له صار خزياً لهم ، أولا أو أخيراً .

وقد قيل هنا إنهم « **صاروا رجساً كما أحبوا** (١) » إن تصرفاتهم التى كانت رجساً فى نظر الله كانت أفضل ما أحبته نفوسهم .

أو أنهـم عـنـدمـا تـركـوا الله كثروا رجاساتهم ، وأصنامهم وعبادتهم الوثنية الرجسة ، كما أحـبـوا . كـان هـذا هـو طـريـق آبائهم . لقد احسن الله إليهم ، اما هو فخانوه وجحدوه . و بنفس الطريقة توغل الجيل الحاضر فى إفساد أنفسهم .

١١ افرايم تـطير كرامتهم كطائر من الولادة ومن البطن ومن الحبل ١٢ وان ربوا أولادهم أثكلهم أياهم حتى لا يكون انسان . و يل لهم أيضاً متى انصرفت عنهم ١٣ افرايم كما أرى كصور مـغـروس فـى مرعى ولكن افرايم سيخرج بنيه إلى القاتل ١٤ أعطهم يارب . ماذا تعطى . أعطهم رحماً مسقطاً وثديين يبسين .

١٥ كـل شـرهـم فـى الجلجال . إنى هناك ابغضتهم . من أجل سوء أفعالهم أطردهم من بيـتـى . لا أعـود أحبهـم . جميع رؤسـائـهـم مـتمردون ١٦ أفرايم مضروب . أصلهم قد جف . لا يـصـنـعـون ثمراً . وان ولدوا أميت مشتهيات بطونهم ١٧ يرفضهم إلهى لأنهم لم يسمعوا له . فيكونون تائهين بين الأمم .

فـى الآيـات الـسـابـقـة رأيـنـا خـطية اسرائيل التى نقلوها من آبائهم . وهنا نجد قصاص اسـرائـيـل الـذى نقلوه لأبنائهم . لأنه كما أن الموت دخل أولا بدخول الخطية ، هكذا لا نزال نرى ان الخطية تنتج موتاً .

وفى هذه الآيات نرى :

أولا . خطية افرايم . هنا نرى بعض تعبيرات تصفهم بأنهم .

١ ـــ « **لم يسمعوا له** » اى الله ع ١٧ . لم يلتفتوا لا لصوت كلمته ، ولا لصوت عصاه . لم يـصـدقـوا مـا قاله ، ولم يريدوه أن يحكم عليهم . لقد حدثهم عن واجباتهم ، وعن مصلحتهم ، وعن الخطر الذى يهددهم . لكنهم لم يلتفتوا إليه . كل ما قاله لهم بكلمته و بأنبيائه كان كقصة تروى ، ولذلك فلا غرابة أن سمعنا عن .

(١) « وصارت رجاساتهم كما احبوا » حسب الترجمة الانكليزية .

٢ ــ وساءت أعمالهم « **سوء أفعالهم** » ع ١٥ ، الخبث الذى كانت تطوى عليه خطاياهم ، التى لم تكن مجرد ضعفات ، بل خطايا جريئة ارتكبت بأصرار. كيف لا يمكن إلا أن يفعل شراً أولئك الذين لا يريدون ان يصغوا لكلمة الله ، التى تعلمهم وتقنعهم بأن يفعلوا الخير؟

٣ ــ ولا غرابة أن وجدت بينهم أفعال سيئة عندما فسدت عبادتهم ع ١٥ . « كل شرهم فى الجلجال » ، وهو مكان ساءت سمعته بسبب العبادة الوثنية ، كما يتضح من (ص ٤ : ١٥ ، ١٢ : ١١ ، عا ٤ : ٤ ، ٥ : ٥) . ربما كان عبدة الأوثان قد اختاروا ذلك المكان كمركز رئيسى لهم لأنه اشتهر فى أجيال أخرى بأتصالات رائعة بين الله واسرائيل ، كما نرى فى (يش ٥ : ٢ و ١٠ ، ١ صم ١٠ : ٨ ، ١١ : ١٥) . لقد قيل إن « كل شرهم » هناك ، حيث كانت مصدر العباده الوثنية ، ومن هناك انتشرت فى كل أرجاء المملكة ، لأن كل شر آخر يعزى إلى تلك العبادة الوثنية . فلقد دعيت « أم الزوانى أماً لكل رجسات الأرض » (رؤ ١٧ : ٥) .

قال أحد العلماء المفسرين أن لهذه العبارة معنى رمزياً . « فالجلجثة » فى الأرامية تقابلها « الجلجال » فى العبرانية . لذلك قد تشير هذه العبارة إلى صلب المسيح فى الجلجثة ، وهذه كانت أشنع خطية للأمة اليهودية . وكان يمكن أن يقال عنها حقاً « كل شرهم كان هناك » .

٤ ــ ولا عجب ان كان الشعب قد « ساءت أفعالهم » ، سواء فى العبادة أو فى سلوكهم ، عندما كان « **جميع رؤسائهم متمردين** » . فجميع ملوك الأسباط العشرة (مملكة اسرائيل) عملوا الشر فى عينى الرب ، أو إن كان كل حكام وولاة ذلك العصر كانوا أشراراً . لقد عادوا إلى طرقهم الأثيمة وأصروا على السلوك فى طرقهم هذه .

ثانيا : غضب الله على أفرايم من أجل الخطية . وهذا قد توضح هنا بتعبيرات مختلفة ، لإظهار مقدار شناعة الخطية فى عينى الله ، وكيف تجعل الخاطىء كريهاً أمام الله .

١ ــ إنه ينصرف عنهم : « متى انصرفت عنهم » ع ١٢ . عندما يتمردون عليه ، و يكفون عن ولائهم له ، فماذا يتوقعون الا أن ينصرف عنهم ، ويمنع عنهم حماية وفيرة ؟ وحسناً شدد تهديده ، وجعله مرعباً : « **و يل لهم أيضاً متى انصرفت عنهم** » .

(ملاحظة) ان الذين ينصرف عنهم الله يحل عليهم و يل شديد . ان خيرنا أو و يلنا يتوقف على مقدار حضور الله معنا . فان أنصرف عنا انصرف عنا كل خير وحل علينا كل الو يل . « ان الله قد تركه . الحقوه وأمسكوه » (مز ٧١ : ١١) .

علم شاول هذا عندما شدد على هذه الناحية فى شكواه « الفلسطينيون يحاربوننى والرب فارقنى » (١ صم ٢٨ : ١٥) .

٢ ــ نعم انه لم ينصرف عنهم فقط ، لكنه يبغضهم « **كل شرهم فى الجلجال . انى هناك ابغضتهم** » . « هناك » حيث ترتكب رجاسات الخطية ، هناك يبغض الله الخطاة . فى الجلجال منح الله علامات كثيرة عن رحمته لأبائهم ، أما الآن فهذا هو المكان الذى يبغضهم فيه من أجل جحودهم الدنىء .

٣ ــ نعم انه لا يبغضهم فقط ، بل « **لا يعود يحبهم** » لا يعود يرضى عنهم ثانية . إن الثغرة بين الله واسرائيل متسعة جداً كالبحر ، ولاشفاء منها . هذا يتفق مع ما سبق أن قاله (ص ١ : ٦ و ٧) « لا أعود أرحم بيت اسرائيل » أى الأسباط العشرة .

٤ ــ وسوف ينبذهم ، ولا تعود له أية علاقة بهم . « **من اجل سوء أفعالهم اطردهم من بيتى** » . لا يعود يعترف بهم كشعبه ، أو كأنهم ضمن أسرته فى العالم . سوف يخرجهم من البيت كسكان غير أمناء لا يدفعون له الأجره ، وكعبيد بطالين لا يصنعون له سمعة حسنة ، ولا يقومون بأى عمل .

(ملاحظة) ان الذين يدنسون بيت الله لا يمكن أن يتوقعوا إلا الطرد منه ، ولا يسمح لهم لا بالسكن فيه ولا حتى بالخدمة فيه .

٥ ــ وهو لا يطردهم من بيته فقط ، بل يطردهم بعيداً « **يرفضهم** ([1]) **إلهى** » ع ١٧ . لا يطردهم من بيته فقط ، بل يطردهم بعيداً عن نظره . ينبذهم و يرفضهم رفضاً تاماً . يصيرون منبوذين .

قال الله « اطردهم من بيتى » ، وهنا يعزز النبى هذا ، كمن عرف جيداً فكر إلهه « يرفضهم إلهى » . أنظر كيف يدعو النبى الله إلهه بكل مسرة وافتخار .

(ملاحظة) عندما ينكر الآخرون الله ، و ينكرهم الله ، يجد الصالحون لذة وفرحاً أنهم يستطيعون أن يدعوا الله إلهاً لهم ، انهم يستطيعون بفرح ان يعترفوا به ، و يروه يعترف بهم . الكل متمردون ، والكل هالكون ، أما أنا فان الله إلهى .

ثالثا : أما نتائج هذا الغضب فهى قطع ونبذ ذريتهم . وهذا هو القصاص الذى هددوا به هنا مراراً وتكراراً . لاحظ هنا :

---

(١) « يطردهم بعيداً » حسب الترجمة الانكليزية .

١ — كيف كان ينتظر أن يكون افرايم كثير العدد جداً . إن كلمة « افرايم » معناها « مثمر » (تك ٤١ : ٥٢) ويوسف « غصن شجرة مثمرة » (تك ٤٩ : ٢٢) . وبركة موسى تنبأت عن ربوات افرايم (تث ٣٣ : ١٧) . كان هذا هو مجده ع ١١ . كان يبدو أن هذا ما قصده لهم ذاك الذى حتم بحدود مساكن البشر « **افرايم كما أرى كصور** (أى **كمدينة صور) مغروس فى مرعى** (١) » الأمر الذى يبشر بنمو، كما يتوقع المرء من شجرة مغروسة عند مجارى المياه . أفرايم قوى وغنى كما كانت مدينة صور، ومتشامخ ومطمئن . وجاء فى التفسير الكلدانى « ان جماعة اسرائيل ، طالما كانوا حافظين الناموس ، كانوا مثل صور فى الرخاء والاطمئنان » .

٢ — كيف سيكون افرايم قليل العدد ع ١١ « **تطير كرامتهم (١) كطائر**» . أبناؤهم يحملون بعيداً ، وآمال عائلاتهم تقطع . كل مجدهم يطير كنسر نحو السماء ، بسرعة وبلا رجعة .

(ملاحظة) إن المجد العالمى مجد يطير، أما الذين اتخذوا الله مجداً لهم فانهم يجدون فيه مجداً أبدياً لا يزبل .

كان أفرايم كشجرة مثمرة ، أما الآن فان « **أفرايم مضروب**» ملفوح ، « **أصلهم قد جف . لا يصنعون ثمراً** » ع ١٦ . إن جف الأصل يبس الفرع بطبيعة الحال . لاحظ هنا :

(١) تهديد الله بهذا القصاص ، بأفناء ابنائهم .

[١] سوف يبيدون من تلقاء أنفسهم ، بيد الله مباشرة ع ١١ : يطيرون « **من الولادة ومن البطن ومن الحبل** » . بعض أبنائهم يموتون حالما يولدون . يتحول المهد فى الحال إلى لحد . والبعض الآخر يولدون موتى أو تكون البطن قبراً لهم . وتموت أمهاتهم بموتهم . والبعض الآخر تجهضهم أمهاتهم حالما يحبلن بهم ، فيكونون كثمرة لم تنضج ، بل تسقط فى غير أوانها .

أنظر كيف يستطيع الله بسهولة ، وبعدل ، أن يستأصل كل الجنس البشرى ، ذلك الجنس الفاسد الأثيم الكريه ، ويمحو اسمه من تحت السماء ، ذلك أنه يفعل به كما فعل بافرايم هنا ، يحرمهم من البنين ، « يجعل كل مجدهم يطير من الولادة ومن البطن ومن الحبل » ، ويجفف أصلهم لكى لا يثمروا . وهذا كله يتم فى سنوات قليلة .

---

(١) « ان افريم كما رأيت مثل صور المغروسة فى مرتع » حسب ترجمة اليسوعيين .

(٢) « مجدهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

[٢] يهلكون بيد أعدائهم ، يموتون موتاً شنيعاً ع ١٢ « **وإن ربوا أولادهم** » إلى حد البلوغ ، وإن نجوا من الموت ومن الأمراض ، التى يتعرض لها الأطفال ، وإن ظنوا أنهم قد ربوهم بعيداً عن الأخطار، فانى « **اثكلهم اياهم** » **ع ١٢** بهذا القصاص أو ذاك ، « **حتى لا يكون إنسان** » يبنى عائلاتهم ويحمل اسمهم .

وأيضاً فى ع ١٣ « **افرايم سيخرج بنيه إلى القاتل** » **.** الأمهات يلدن البنين بالتعب والوجع ، و ينفق الكثير من العناية والتعب والأموال على تربيتهم ، وعندما يأتى عدو قاس و يأخذ الجميع بالسيف الكبار والصغار، بدون رأفة ، عندئذ يبدو كأن هؤلاء البنين كانوا فى كل ذلك الوقت يربون للذبح .

(ملاحظة) مما يقلل من تمتع الوالدين ببنيهم إنهم لا يعرفون لأى قصد ولدوهم وربوهم ، فربما يكون للقاتل ، أو ، ما هو أسوأ ، قد يكون هؤلاء البنون نكبة جيلهم .

وهنالك تهديداً آخرع ١٦ « **إن ولدوا اميت مشتهيات بطونهم** » اولئك البنين هم أعز من يحبون و يشتهون .

(ملاحظة) إن محبة الوالدين ليست حصناً لسلامة حياة البنين . بل أن الموت فى بعض الأحيان يرسل ليأخذ محظوظى العائلة و يترك المرذولين . عندما صور الحكم على إسرائيل فى البرية انهم كلهم يهلكون فيها مزجت هذه الرحمة بالغضب ، فقيل لهم إن أبناءهم ، رغم هذا سوف يدخلون الراحة التى لم يستطيعوا هم دخولها لعدم الإيمان .

لكن هذا رفض كامل نهائى ، فان كل أبنائهم يقطعون ، وتنتقل ملكية الأرض إلى الدولة ، أو بالأحرى سوف تضيع الملكية لعدم وجود وريث .

يقول التفسير الكلدانى ، والكثيرون من علماء اليهود ، إن المقصود بتسليم البنين الذين يولدون إلى « القاتل » هو تقديم بنيهم ذبيحة « لمولوك » ، وهذه خطية كانت تحمل قصاصها ، وتبين أن الوالدين خالين من الأحشاء ، وعديمى الشفقة ، ولذا فانهم بعدل يحرمون من البركة .

[٣] والقليلون الذين ينجون و يبقون سوف يتشتتون ع ١٧ « يكونون تائهين بين الأمم » . هكذا نرى بقية اليهود إلى اليوم ، ولا يوجد مكان فى العالم يجتمعون فيه كأمة .

(٢) صلاة النبى فى هذا الصدد ع ١٤ « **اعطهم يارب . فماذا تعطى** » ؟ ماذا أطلب لشعب محكوم عليه هكذا بالهلاك ؟ هذا هو ما أطلبه : طالما كان الأمر قد صدر أنهم إما أن يموتوا من البطن أو يولدوا للقاتل ، فان أفضل الاثنين أن يموتوا من البطن . خير لهم أن لا يكون لهم بنون

من أن يكون لهم بنون ، ليشقوا و يتعذبوا . ومن أجل هذا السبب فانه عندما كان الهلاك التام قادماً على الأمة اليهودية قال المسيح : « طوبى للبطون التى لم تلد والثدى التى لم ترضع » (لو ٢٣ : ٢٩) .

إذن « **فأعطهم رحماً مسقطاً وثديين يبسين** » لأن السقوط فى يدى الله ، الكثير المراحم ، أفضل من السقوط فى يدى الإنسان .

(ملاحظة) على الذين قد حرموا من البنين أن يخضعوا لمشيئة الله عالمين إنهم إن أعطوا بنين فقد يأتى الوقت الذى فيه يتمنون لو لم يكونوا قد أعطوا .

الأصحاح العاشر

في هذا الأصحاح نرى .

(١) أن شعب اسرائيل قد اتهموا بنجاسات شنيعة في عبادة الله ، وهددوا بتحطيم تماثيلهم وهدم مذابحهم ع ١ و٢ و٥ و٦ و٨ .

(٢) واتهموا بنجاسات في إدارة شئونهم المدنية ، وهددوا بملاشاتها ع ٣ و ٤ و ٧

(٣) واتهموا بالاقتداء بخطايا آبائهم ، و برضائهم على خطاياهم الشخصية ، وهددوا بقصاصات مذلة قاسية ع ٩ — ١١ .

(٤) ودعوا بالحاح للتوبة وإصلاح الحياة ، وهددوا بالهلاك إن لم يفعلوا هكذا ع ١٢ — ١٥ .

١ اسرائيل جفنة ممتدة . يخرج ثمراً لنفسه . على حسب كثرة ثمره كثر المذابح . على حسب جودة أرضه أجاد الأنصاب ٢ قد قسموا قلوبهم . الآن يعاقبون . هو يحطم مذابحهم . يخرب أنصابهم ٣ إنهم الآن يقولون لا ملك لنا لأننا لا نخاف الرب فالملك ماذا يصنع بنا ٤ يتكلمون كلاماً بأقسام باطلة يقطعون عهداً فينبت القضاء عليهم كالعلقم في اتلام الحقل ٥ على عجول بيت آون يخاف سكان السامرة . إن شعبه ينوح عليه يرتعدون على مجده لأنه انتفى عنه ٦ وهو أيضاً يجلب إلى أشور هدية لملك عدو . يأخذ أفرايم خزياً يخجل اسرائيل على رأيه ٧ السامرة ملكها يبيد كغثاء على وجه الماء ٨ وتخرب شوامخ آون خطية اسرائيل . يطلع الشوك والحسك على مذابحهم . و يقولون للجبال غطينا وللتلال اسقطي علينا .

في هذه الأعداد نلاحظ .

أولا : ما هي الخطايا التي اتهم بها اسرائيل هنا ، الخطايا الشعبية التي جلبت القصاص الشعبي ، لقد عالجها النبي بوضوح وصراحة ، لأنه أي خير ينالونه من التملق ؟

١ — لم يثمروا ثمار البر لمجد الله . هنا بدأت كل شرورهم الأخرى ع ١ « **اسرائيل جفنة ممتدة** (١) » . حسناً شبهت كنيسة الله بكرمة ، فهي ضعيفة ، ليس لها منظر جميل في الخارج ، ومع ذلك فهي ممتدة ومثمرة . والمؤمنون أغصان في تلك الكرمة ، و يشتركون في أصلها ورسمها .

« كرمة خالية » (أو فارغة) حسب الترجمة الانكليزية .

لكن كانت هذه هي صنعة اسرائيل ، فقد كانوا « جفنة ممتدة » ، كرمة لاعصارة فيها ولا فضيلة ، ولذلك لم تأت بأية ثمرة من الثمار الحسنة التي كانت تنتظر منها ، التي بها يكرم الله والإنسان .

(ملاحظة) يوجد الكثيرين الذين وإن لم يصيروا كرمة فاسدة شريرة الا أنهم كرمة فارغة ، لا شيء فيهم من الصلاح . الكرمة — دون سائر الأشجار — لاخير فيها إن لم تثمر . ولذلك فهي لا تصلح لشيء (حز ١٥ : ٣ و٥) . والذين لا يصنعون عنباً سرعان ما يصنعون عنباً رديئاً (إش ٥ : ٢) ، الذين لا يصنعون خيراً يصنعون شراً .

هو « جفنة ممتدة » لأنه « يخرج ثمراً لنفسه » . إن ما فيه من صلاح لا يوجه لمجد الله ، لكنه يحوله لمجده ، و يفتخر به . المسيحيون لا يعيشون لأنفسهم (رو ١٤ : ٦) ، أما المراؤون فانهم يحصرون كل اهتمامهم في أنفسهم ، يأكلون و يشربون لأنفسهم (زك ٧ : ٥ و٦) .

أو إن اسرائيل ، بمقتضى قصاصات الله ، قد أفرغ ونهبت كل ثروته ، لأنه استخدمها في شهواته ، لا لمجد الله الذي أعطاها له .

(ملاحظة) إن ما لا نستخدمه استخداماً طيباً يجب أن نتوقع بعدل أن نحرم منه .

٢ — وكثروا مذابحهم وتماثيلهم ، وعلى قدر كثرة إحسانات الله لهم أسرفوا في عبادة أصنامهم . « **على حسب كثرة ثمره** » الذي أنتجته أرضه « **قد كثر المذابح . على حسب جودة أرضه أجاد الأنصاب (١)** » .

(ملاحظة) إنها إهانة لله ، وإساءة لصلاحه عندما تزداد الخطايا التي ترتكبها ضده كلما ازدادت المراحم التي نتقبلها منه ، وعندما تزداد الشرور التي يرتكبها البشر كلما ازدادت ثروتهم . الا يليق بنا أن تزداد خدمتنا لله على قدر ما تزداد خدمة أهل العالم لأصنامهم ؟ و بقدر ما تزداد ثروتنا وممتلكاتنا وجب أن نزداد في أعمال التقوى والمحبة .

٣ — وانغمست قلوبهم ع ٢ « **قد قسموا قلوبهم** » .

(١) « التماثيل » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) انقسموا بين أنفسهم . لقد اختلفوا بصدد أصنامهم ، فالبعض تبعوا هذا ، وغيرهم تبع ذاك . واختلفوا بصدد ملوكهم ، الذين إذا اختلفت مصالحهم كثرت الأحزاب فى المملكة . وفى ملوكهم انقسمت قلوبهم ، فتباعد الواحد عن الآخر ، وأصبحوا لا توجد بينهم محبة قلبية . ولأنهم « قد قسموا قلوبهم » فقد نشأ من هذا أنهم « **الآن يعاقبون (٢)** » .

(ملاحظة) إن الانقسامات والمشاحنات بين الشعب تسبب خطايا كثيرة ، وتمهد للخراب والهلاك .

(٢) وانقسموا بين الله وأصنامهم . كانوا لا يزالون يحتفظون فى قلوبهم ببقايا محبة لله ، وبمحبة غامرة لأصنامهم . كانوا « يعرجون بين الله والبعل » ، وهذا هو انقسام قلوبهم . لكن الله هو ملك القلب ، وهو لا يرتضى بأى حال أن يكون له فيه منازع . أما أن يكون كل القلب له ، وإلا تركه .

يقول الشيطان ، ما قالته المرأة التى ادعت بأن الطفل الحى هو ابنها : « لا يكون لى ولا لك . أشطروه (اقسموه) » (١ مل ٣ : ٢٦) . وإذا ما سلم بهذا قال الله : ليأخذه كله . إذا ما قسم القلب هكذا « وجد مخطئاً » ، ورفض لخيانته وعدم أمانته فى الصلة بالله .

(ملاحظة) إن القلب المنقسم بين الله والشيطان ، مهما حسن مظهره لكى يبدو جميلا ، سوف يوجد مخطئا فى اليوم الذى تنكشف فيه السرائر .

٤ ـــ لم يبالوا بما قالوه أو فعلوه بمهابة ووقار وخشوع ع ٤ .

(١) لم يبالوا بما قالوه فى أقسامهم ، وهى أخطر أنواع الكلام « **يتكلمون كلاماً** » مجرد كلام ، لأنهم لم يقصدوا ما قالوه . يتكلمون كلاماً أجوف .

« **بأقسام باطلة يقطعون عهداً** » . كانوا مخادعين فى عهودهم مع الله ، عهد الختان ، الوعود الجميلة التى أعطوها لإصلاح حياتهم عندما جازوا الضيقات . ولا غرابة أن كان المخادعون مع الله مخادعين مع كل البشرية . لقد ألفوا عادة الخيانة حتى ازدروا بأخطر الارتباطات وأقدسها ، ولم يبالوا بها . الرعية نقضوا عهود الولاء ، وملوكهم نقضوا العهود التى قطعوها يوم تتويجهم . نقضوا محالفاتهم مع الأمم التى تحالفوا معها . وازدرى بكل العقود التى أبرمت بين الأفراد .

(٢) « يوجدون مخطئين » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) ولم يبالوا بما فعلوا فى « القضاء » ، وهو أخطر أنواع الأفعال ، لفض المنازعات . عندما يحنث الناس بأقسامهم فان العدل لا يمكن أن يقوم . ولهذا فان « القضاء » ، الذى كان ينبغى أن يكون نباتاً شافياً ، وذا رائحة عطرية « **ينبت عليهم كالعلقم** » الكريه المضر، « **ينبت فى اتلام الحقل** » ، الحقل الذى حرث وأعد لزراعة القمح الجيد .

(ملاحظة) يهان الله جداً بالرجاسات التى ترتكب ليس فقط فى عبادته ، بل أيضاً فى إجراء العدل بين الناس . وإن عدم أمانة الشعب تكون أساس خصومته معهم ، بنفس المقياس الذى تؤدى إليه العبادة الوثنية والفساد ، لأن نواميس الله قصد بها أن تكون لمنفعة الإنسان ، ولخير المجتمع ، كما قصد بها أن تكون لمجد الله . وتدنيس دور القضاء ينتقم له كما ينتقم لتدنيس الهياكل .

ثانيا : ما هى القصاصات التى يعاقب بها اسرائيل من أجل هذه الخطايا . لقد أخطأوا فى الأمور المدنية وفى الأمور الدينية . وفى هاتين الناحيتين سيعاقبون .

١ — سوف لا تكون لهم مسرة بملوكهم ولا بحكومتهم . لأن العدل قد تحول إلى ظلم لذلك فان الذين أوكل إليهم اجراؤه ، والذين كان يجب أن يكونوا بركة للدولة ، سوف يشتكى منهم كشقل عليها ع ٣ . والذين لا يحسنون حكم شعبهم لا يقدرون أن يحموهم أو يدافعوا عنهم « **انهم الآن يقولون لا ملك لنا** » أى أننا الآن كأن لا ملك لنا ، لا ملك لنا يصنع لنا أى خير، أو يدافع عنا أو يحفظنا من أن نهلك أنفسنا ، أو من أن يهلكنا أعداؤنا ، لا ملك لنا يحفظ السلام العام ، أو يحارب حروبنا . وقد جاء علينا هذا بعدل .

« **لأننا لا نخاف الرب** » ، عندما نكون آمنين تحت حماية ملوكنا ، لذلك رفضنا الرب ، « **فالملك ماذا صنع بنا** » ؟ ماذا يمكن أن نتوقعه من الملك إن خسرنا رضا إلهنا ؟

(ملاحظة) ان الذين ينبذون خوف الله لا يمكن ان تكون لهم مسرة بتعزيات الخليقة . ولا يمكن أن يكون ولاء الناس لملكهم محبباً له فهم بدون التدين ، لأنهم حتى وإن ضمنوه أن يكون معهم فأى خير لهم إن كان الله عليهم ؟ والذين يحفظون أنفسهم فى خوف الله ورضاه يحق لهم أن يقولوا متهللين : ماذا يستطيع أن يفعله بنا أعظم الناس ؟ أما الذين يبعدون أنفسهم عن حمايته فيحق لهم أن يقولوا يائسين : ماذا يستطيع أن يفعله لنا أعظم الناس ؟

كان ملكاً ذاك الذى قال «لا يخلصك الرب . من اين اخلصك (١)» (٢ مل ٦ : ٢٧) . لكنه أحمق وغبى ذاك الذى يقول : إن لم يقدر الملك ان يغيثنا هلكنا لا محالة (وهذا ما يفهم ضمناً من هذه الكلمات) . إنه احمق وغبى لأن الله يقدر ان يفعل ما يعجز عنه الملوك .

كان هنالك وقت شغف فيه اسرائيل بوجود ملك لهم . أما الآن فماذا يستطيع أن يفعله لهم الملك الذى سبق أن ظنوا انه يستطيع ان يفعل لهم كل شيء ؟

(ملاحظة) يستطيع الله أن يجعل الشعب يملون من تلك الخليقة التى وثقوا فيها والتى شغفوا بها .

كانت هذه هى شكواهم عندما عجز الملك عن أن يغيثهم لكن لم يكن هذا هو أسوأ ما فى الأمر . فان حكومتهم المدنية لا تضعف فقط ، بل تبيد تماماً ع ٧ « **السامرة** » ، عاصمة المملكة ، وتكاد تكون هى آخر ما بقى « **ملكها يبيد كغثاء على وجه الماء** » . الغثاء (فقاقيع الماء) يعوم فوق سطح الماء ، و يعمل مظهراً عظيماً على وجه الماء ، لكنه مجرد فقاقيع يحدثها اضطراب الماء .

هكذا كان ملوك اسرائيل بعد تمردهم على بيت داود — مجرد فقاقيع ، وكانت حكوماتهم لا أساس لها . ولا يمكن أن يكون أفضل من هذا أعظم الملوك عندما يقاومون الله فانه عندما يأتى لمحاكمتهم بقصاصاته يستطيع أن يشتتهم ، و يلاشيهم ، ويجعلهم كلا شيء ، بمنتهى السهولة كفقاقيع المياه .

٢ — سوف لا تكون لهم مسرة باصنامهم ، بعبادتها . و بائس هو ذلك الشعب الذى تخيب آماله الهته عندما يخيب آماله ملوكه .

(١) إن الأصنام التى صنعوها ، والمذابح التى شيدوها اكراماً لها ، سوف يحطمها العدو الظافر و ينهبها ، ويحملها ، كغنيمة عادية . « **هو يحطم مذابحهم** » . سوف يفعل الله هذا بيد الأشوريين والأشوريون يفعلون هذا بامر من الله . « **يخرب انصابهم** (١) » ع ٢ .

(ملاحظة) أنه عادل عند الله أن يحطم ويخرب ما يجعله الناس صنماً لهم .

---

(١) « ان لم يغثك الرب فمن اين اغيثك » حسب الترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين .

(٢) « ينهب تماثيلهم » حسب الترجمة الانكليزية .

لـكـن عجل بيت إيل كان هو صنمهم الرئيسى . كان هو الذى شغف به سكان السامرة أكثر من غيره . وقد تنبىء عنه هنا أنه يحطم « **مجده انتفى عنه** » ع ٥ عندما يهدم ، و يزال ، ولا يعود يعبد بعد .

وليس هذا هو كل ما فى الأمر، لكنه « **يجلب إلى أشور هدية لملك عدو** (١) » و يظن البعض أن هذا ما تم لعجل دان قبل ذلك . لقل حمل إليه كغنيمة فاخرة . لأنه كان عجلا ذهبياً ، والأرجح أنه كان مز يناً بهدايا وتقدمات عابديه ، وكعلامة للانتصار على أعدائهم . وأية علامة كان يمكنهم تقديمها أمجد من هذه ، وأى برهان أقوى ليدل على الانتصار الساحق ؟

وهكذا قيل « وتخرب ... خطية اسرائيل » ع ٨ ، أى الأصنام التى جعلوها مادة خطيتهم . لقد قيل عنها إنها كانت خطية إسرائيل (١ مل ١٢ : ٣٠) .

(ملاحظة) إن كانت نعمة الله لا تنجح فى إبادة محبة الخطية التى فينا صار عدلا من الله أن يبيد طعام و وقود الخطية المحيطة بنا .

ومع الأصنام تخرب أيضاً الشوامخ « **تخرب شوامخ آون** » ، أى « بيت آون » ع ٥ ، أو « بيت ايل » . كانت سابقاً تدعى « بيت الله » (وهذا هو معنى « بيت ايل ») . أما الآن فقد دعيت « بيت الإثم » (وهذا هو معنى « بيت آون ») ، بل الإثم نفسه .

لم يشأ الملوك — كما كان ينبغى أن يفعلوا — أن يخربوا الشوامخ بسيف العدل ، ولذلك أراد الله أن يخربها بسيف الحرب . ومن أجل هذا « **يطلع الشوك والحسك على مذابحهم** » أى تخرب خراباً كاملا . لما كانت مذابحهم قائمة كانت كالشوك والحسك ، مهينة لله وللأتقياء ، وثماراً للخطية واللعنة ، ولذلك فانها بعدل يغطيها الشوك والحسك .

(٢) وسيسبب لهم تخريب أصنامهم ومذابحهم وشوامخهم حزناً وخجلاً ورعباً .

[١] سيسبب لهم حزناً . عندما يحطم عجل بيت ايل « **شعبه ينوح عليه** » . كانوا يعتقدون بأن العجل هو حامى أمتهم . وعندما أزيل اعتقدوا بأنهم لابد هالكون ، الأمر الذى جعل هذا الشعب المسكين ، الجاهل ، الذى ضل فأحب ذلك العجل ، يبكى بحرقة ، كما فعل ميخا الذى قال « آلهتى التى عملت قد اخذتموها ... فماذا لى بعد » (قض ١٨ : ٢٤) . والكهنة الذين فرحوا به سوف يحزنون مع الشعب من أجله « **شعبه ينوح عليه وكهنته عليه يرتعدون** » .

---

(١) « للملك المنتقم » حسب ترجمة اليسوعيين ، « الى الملك يارب » حسب الترجمة الانكليزية وحسب هامش ترجمة بيروت .

(ملاحظة) مهما آلّه الشعب أى شيء فإنهم لابد أن يحزنوا على فقده . والحزن المفرط من أجل خسارة أى شيء عالمى دليل على أننا قد اتخذناه صنما لأنفسنا .

لقد اعتادوا أن يفرحوا جداً بعبادة أصنامهم ، أما الآن فإنهم سوف يحزنون عليها ، لأن الفرح الخاطىء لابد أن يتحول إلى حزن إن عاجلا أو آجلا .

[٢] سيسبب لهم خزياً ع ٦ « يأخذ افرايم خزياً » عندما يرى أن الآلهة التى اتكل عليها قد حملت إلى السبى « **ويخجل اسرائيل على رأيه** (١) » لوضع مثل هذه الثقة فيها ، وتقديم مثل هذه العبادة لها . لم تحطم مذابح الله وتابوته إلا بعد أن رفضها الشعب ، أما مذابح الأوثان فقد حطمت عندما كان الشعب شغوفاً بها ، الأمر الذى يدل على أن الازدراء بالأولى ، واحترام الأخيرة ، كانتا هما الخطيتان اللتان افتقدهم الله من أجلهما .

[٣] سيسبب لهم خوفاً ع ٥ « **يخاف سكان السامرة** » سوف يتألمون من أجل آلهتم ، ويخافون لئلا يفقدوها . أو بالأحرى سوف يتالمون من أجل أنفسهم وأولادهم وعائلاتهم ، عندما يرون قصاصات الله تداهمهم ، مبتدئة بأصنامهم ، كما « صنع أحكاماً بكل آلهة المصريين » (خر ١٢ : ١٢) . هكذا يرتعب عبدة الأوثان « عند قيام الله ليرعب الأرض » (إش ٢ : ٢١) .

وهنا نرى أنهم « يقولون للجبال غطينا وللتلال اسقطى علينا » ع ٨ . إن معضدى العبادة الوثنية سوف يصرخون عبثاً للجبال والتلال لكى تخفيهم من غضب الله (رؤ ٦ : ١٥ و ١٦) .

٩ من أيام جبعة اخطأت يا أسرائيل . هناك وقفوا لم تدركهم فى جبعة الحرب عل بنى الإثم ١٠ حينما أريد اؤدبهم ويجتمع عليهم شعوب فى ارتباطهم باثميهم ١١ وأفرايم عجلة متمرنة تحب الدراس ولكنى اجتاز على عنقها الحسن . أركب على افرايم . يفلح يهوذا . يمهد يعقوب .

١٢ ازرعوا لأنفسكم بالبر . احصدوا بحسب الصلاح . احرثوا لأنفسكم حرثاً . فإنه وقت لطلب الرب حتى يأتى و يعلمكم البر ١٣ قد حرثتم النفاق الإثم . أكلتم ثمر الكذب لأنك وثقت بطريقك بكثرة أبطالك ١٤ يقوم ضجيج فى شعوبك وتخرب جميع حصونك كإخراب شلمان بيت اريئيل فى يوم الحرب . الأم مع الأولاد حطمت ١٥ هكذا تصنع بكم بيت ايل من أجل رداءة شركم . فى الصبح يهلك اسرائيل هلاكاً .

---

(١) « من مشورته » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

هنا نجد :

أولا : انهم يذكرون بخطايا آبائهم وأسلافهم ، التى أراد الله أن يحاسبهم عنا وقتئذ . لقد قيل لهم (ص ٩ : ٩) انهم « فسدوا (أفسدوا أنفسهم) كأيام جبعة » ، وهنا يقول لهم **« من ايام جبعة اخطأت يا اسرائيل »** . هذا لا يعنى أن الشر الذى ارتكب فى ذلك العصر قد انتعش و بدأ يتكرر، نسخة طبق الأصل . لكن الشر الذى ارتكب فى ذلك العصر استمر متصلا منذ ذلك العصر حتى وقتئذ . ولهذا فان مكيال الإثم قضى وقتاً طو يلا لكى يمتلىء ، وقد أضيفت إليه شرور كثيرة .

او: انك اخطأت يا اسرائيل « **اكثر من ايام جبعة** (١) » ، كما يقرأها البعض . إن خطايا هذا الجيل تزيد عن خطايا اسوأ العصور الماضية . كانت الحالة سيئة إذن لأنهم « هناك وقفوا » . لقد وقف المجرمون يدافعون عن أنفسهم . اما أسباط اسرائيل ، الذين تعهدوا بتأديبهم من أجل شرهم ، « فهناك وقفوا » ، حيث كان عاملو الشر هم المنتصرين فى الموقعة الأولى ، والموقعة الثانية « **لم تدركهم فى جبعة الحرب على بنى الإثم** » إلى وقت الموقعة الثالثة ، وهذه لم تأخذهم كلهم لأنه افلت ستمائة شخص (قض ٢٠ : ٤٧) .

أما خطيتك فهى أشر من خطيتهم ، ولذلك فلا يمكنك أن تتوقع إلا أن تداهمك وتنتصر عليك « الحرب على بنى الإثم » .

ثانيا : وقد أعطى إليهم انذاراً عادلا عن قصاصات الله التى كانت قادمة عليهم ع ١٠ . إلى ذلك الوقت كان الرب قد شفق عليهم وأنقذهم . و بالرغم من أنهم أهانوه جداً إلا أنه أراد أن يجرب إن كان يمكن التأثير عليهم بالصبر وطول الأناة . أما الآن فاننى « **أريد أؤدبهم** » . هذا ما قصدته ، وهذه هى مسرتى . « يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم » (تث ٢٨ : ٦٣) .

(ملاحظة) الرب لا يريد موت أو هلاك الخطاة ، ولهذا فانه يريد يؤدبهم .

وانظر ماذا كان هذا التأديب « **يجتمع عليهم شعوب** » كما اجتمع كل الأسباط الأخرى ضد سبط بنيامين فى حرب جبعة (قض ٢٠) . وقد فسر أحد علماء اليهود هذه العبارة فقال : لأنهم لا يقبلون التأديب منى على يد انبيائى ، الذين يو بخونهم بأسمى ، فانى أؤدبهم على أيدى الشعب الذين يجتمعون عليهم « **فى ارتباطهم بأثميهم** (٢) » ، أى حين يظنون أن يحصنوا أنفسهم فى خندقين

---

(١) حسب هامش ترجمة بيروت .

(٢) « حين يؤسرون لأجل اثميهم » حسب ترجمة اليسوعيين ، « حين يربطون أنفسهم فى اخدوديهم » حسب الترجمة الانكليزية ، « فى ارتباطهم قدام عينيهم » حسب هامش ترجمة بيروت .

أو « حين أربطهم من أجل إثـمهم » أي من أجل زناهم الجسدى وزناهم الروحى ، اللذين طالما اتهموا بها ، أو من أجل العجلين اللذين فى دان و بيت ايل او من اجل الشرين العظيمين الوارد ذكرهما فى (إر ٢ : ١٣) .

أو « حين أربطهم فى أخدوديهم » أى أسلمهم لعبودية الأشوريين الذين يحفظونهم تحت النير كثورين فى المحراث ، يربطان فى اخدودين ، ذهاباً وإياباً فى الحقل ، ولا يجرآن على الإفلات منه خوفاً من المنخاس .

و يقول التفسير الكلدانى : إن الذين يجتمعون عليهم يتسلطون عليهم كثورين يربطان فى اخدوديهما .

وهكذا نرى أن الذين لا يرتضون بأن يكونوا أحرار الله يصيرون عبيد أعدائهم ، فيعرفون الفرق بين « خدمة الله وخدمة ممالك الأراضى » (٢ أى ١٢ : ٨) .

ثالثا : سيعرفون بأن عدم خبرتهم بالآلام والمشقات لا يعفيهم من سبى أليم جداً ع ١١ . أنظر مقدار جمال أفرايم ورقته ولطفة « **أفرايم عجلة متمرنة تحب الدراس** » وتحب ذلك العمل ، لأنها إذ لا تكم فلها الحرية لتأكل كما تريد . و يكون الدراس نفسه يابساً وسهلا ، و يكون تسلية لها وأجراً .

لكن الله يقول إن لى نيراً أضعه « **على عنقها الحسن** « الحسن جداً ، « **وأركب على أفرايم** (١) » أى أننى أروضهم ، وأجعل الأشوريين يركبونهم ، وكذا الغزاة الآخرين الذين يحكمونهم بعنف ، كما يفعل الناس بالبهائم التى يركبونها (مز ٦٦ : ١٢) .

ويهوذا أيضاً يلزم بأن يحرث « **يفلح يهوذا** (٢) . **يهد يعقوب** » . أى أنهما سيستخدمان بقسوة ، لكن بقسوة أقل من أفرايم .

(ملاحظة) إنه عدل عند اله أن يجعل الذين يتمادون فى تراخيهم ولذاتهم يعرفون معنى الصعوبات والمشقات .

و يرى أحد المفسرين أن هذه الكلمات تشير إلى الطرق الهادئة الرقيقة التى اتخذها مع هذا الشعب لكى يجعلهم يطيعون ناموسه كمبرر ليرجعوا إلى تلك الطاعة ، فانه قد استخدمهم كما يستخدم الفلاح مواشيه التى يمرنها للخدمة . فلأن افرايم كعجلة سهلة الترويض ، قابلة للخدمة

(١) « أركب على افرايم » حسب ترجمة اليسوعيين ، « أجعل افرايم يركب » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) « ويهوذا يحرث و يعقوب يهد » حسب ترجمة اليسوعيين ، « ويهوذا يحرث و يعقوب يمهد اخاديده » حسب الترجمة الانكليزية .

أمسك الله بعنقها الحسن ليمرنها على العمل ، ووضع عليها النير، نير وصاياه ، وأعطى شعبه إسرائيل ناموساً حتى إذا ما تمرنوا على فرائضه ووصاياه لا يجربوا بعادات الوثنيين . لقد استخدم معهم كل الوسائط الجميلة المحبوبة ليحفظهم فى طاعته ، أقام يهوذا ليحرث و يعقوب ليمهد الأخاديد ، استخدمها فى حفظ الوصايا اللائقة بها . ومع ذلك لم يريد الأحتفاظ بطاعتها ، بل شردا عن الطريق .

رابعا : ولقد دعوا وشجعوا للعودة إلى الله بالصلاة والتوبة وإصلاح الحياة ع ١٢ و١٣ . انظر هنا :

١ ــ الواجبات التى دعوا إليها . هم « فلاحة الله » (١ كو٣ : ٩) وقد عبر عن الواجبات باصطلاحات مقتبسة من مهنة الفلاحة . إن كانوا لا يرتضون عبودية ظالميهم فليرجعوا إلى خدمة الله .

(١) ليحرثوا الأرض حرثاً « **أحرثوا لأنفسكم حرثاً** (١) » ليطهروا قلوبهم من كل العواطف والشهوات الدنسة ، التى تشبه الأعشاب والأشواك . وليذللوا من اجل خطاياهم ، ولتكن لهم الروح المنكسرة والمنسحقة للشعور بتلك الخطايا . ليمتلئوا حزناً وخجلا إذ يتذكرونها . ليستعدوا لقبول الوصايا الإلهية ، كما تهيأ الأرض التى تحرث لقبول الحبوب ، لكى تمد فيها جذورها . انظر (إر ٤ : ٣) .

(٢) ليزرعوا لأنفسهم بالبر « **ازرعوا لأنفسكم بالبر** » ليعودوا لممارسة الأعمال الصالحة ، وفق ناموس الله ، الذى هو ناموس البر. ليكثروا فى أعمال التقوى من نحو الله ، وأعمال العدل والرحمة نحو بعضهم البعض ، وبهذا « يزرعون للروح » كما يقول الرسول (غل ٦ : ٧ و٨) . إن كل عمل هو بذار تزرع . « ليزرعوا بالبر» ، ليزرعوا ما يجب أن يزرعوه ليعملوا ما يجب أن يعملوه ، وهم أنفسهم الذين سيحصلون على فائدته .

(٣) ليطلبوا الرب « فانه وقت لطلب الرب » ليتطلعوا إليه لطلب نعمته ، وليلتمسوا منه أن يبارك الزرع الذى زرع . يجب على الفلاح أن يحرث و يزرع وهو متطلع إلى الله ، طالباً منه المطر فى حينه .

٢ ــ الحجج التى استخدمت لتدعيم هذه الواجبات .

---

(١) « احرثوا ارضكم المتروكة بدون زرع » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) « **انه وقت (١)** » لا تمامها . الفلاح يزرع فى وقت الزرع ، وإن فات هذا الأوان قام بالعمل و باجتهاد أوفر.

(ملاحظة) إن طلب الرب هو عمل كل يوم . لكن هنالك مناسبات خاصة تقدمها العناية الإلهية والنعمة الإلهية يحين فيها الوقت ـــ بصفة خاصة ـــ لطلبه .

(٢) إن قمنا بواجبنا قام الله بواجبه أيضاً . إن كنا « نزرع لأنفسنا بالبر» ، إن قمنا بواجبنا بعناية واجتهاد ، معتمدين على نعمته ، سكب علينا نعمته ، وأمطر علينا البر « **حتى يأتى و يعلمكم البر (٢)** » وهو نفس ما يحتاجه الذين يزرعون بالبر. لأننا بنعمة الله نحن ما نحن « ولكن بنعمة الله أنا ما أنا . ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة » (١ كو ١٥ : ١٠) .

يطبق البعض هذه العبارة على المسيح الذى كان سوف يأتى فى ملء الزمن ، الذى كان ينبغى أن يستعدوا لمجيئه . سوف يأتى « كالرب برنا » ويمطر علينا براً ، البر الأبدى الذى أتى به ، و يعطينا منه بغنى . لقد تنبىء عنه بأنه « ينزل مثل المطر» (مز ٧٢ : ٦) .

(٣) وإن كنا نزرع بالبر فاننا نحصد بالرحمة « **احصدوا بحسب الصلاح (١)** » . وهذا يتفق مع ذلك الوعد « من يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غل ٦ : ٨) نحصد « حسب مقياس الرحمة » (حسب النص الأغنى) . « سوف نعطى أجراً عظيماً حسب غنى الرحمة » . لا كما يليق بخليقه ضعيفة مثلنا أن تتقبل ، بل كما يليق باله متناه فى الرحمة أن يعطى . نتقبل أجراً ، لا على سبيل دين ، بل بالرحمة . هو نفس ما زرع ، « ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد » (١ كو ١٥ : ٣٨) .

(٤) إن زرعنا النفاق فلابد من أن نحصد الإثم « **قد حرثتم النفاق حصدتم الإثم** » ع ١٣ « لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا » هكذا (١ بط ٤ : ٣) . لقد تكبدتم مشقة كبيرة جداً فى خدمة الخطية ، تعبتم فى خدمتها فى النار المحرقة ، أفلا تحتملون ثقل النهار وحره فى خدمة الله ، وعمل ما يعود عليكم بالنفع الجزيل ؟ لقد عملتم كثيراً لإهلاك نفوسكم ، أفلا تصلحون أخطاءكم وتعملون شيئاً لتنجوها ؟

---

(١) « فانه قد حان » حسب ترجمة اليسوعيين وهو قريب من الترجمة الانكليزية .

(٢) « الى أن يأتى ويمطر عليكم البر» حسب الترجمة الانكليزية وحسب هامش ترجمة بيروت .

(١) « حسب الحمه » حسب ترجمة اليسوعيين ، أو « بالرحمة » حسب الترجمة الانكليزية .

(٥) لم نحصل على شيء قط من خدمة الخطية . « قد حرثتم النفاق » أى وصلتم إلى أقصى درجات الخطية ، « حصرتم الإثم » أى حصلوا على كل ما يمكن الحصول عليه منها . وماذا حصدوا ؟ كله خداع . « **أكلتم ثمر الكذب** » ثمراً كاذباً ومخادعاً ، يبدو جميلا ، لكنه متعفن من الداخل . إن « أعمال الظلمة غير مثمرة » (أف ٥ : ١١ ، رو ٦ : ٢١) . حتى مكاسب الخطايا لا تعطى الخاطىء راحة .

(٦) وكما تخيب رجائنا يقيناً تنعماتنا فى خدمة الخطية ، هكذا تخيب رجاءنا ثقتنا فيها . « لأنك وثقت بطريقك بكثرة أبطالك » . لقد اعتمدت على الخليقة ، وطلبت منها القوة والإرشاد ، ولذلك تجاسرت بان تحرث الإثم والنفاق ، فخدعتك آمالك . فتعال إذن ، وأطلب الرب ، وعندئذ لا تخدعك آمالك فيه .

خامسا : وهددوا بالهلاك التام ، بسبب تصرفاتهم الجسدية ، واعتماداتهم الجسدية ع ١٤ و١٥ . لأنك زرعت الإثم ، ولأنك وثقت بطريقك « **يقوم ضجيج فى شعوبك** » ، إما بسبب الثورات الداخلية ، أو الهجوم من الخارج ، وكلاهما يسبب الضجيج أو الفوضى فى المملكة ، أو يسببان كليهما .

١ — تكون مدنهم وحصونهم نهباً للعدو . « **تخرب جميع الحصون** » التى وثقوا فيها ، والتى أودعوا فيها ودائعهم « **كاخراب شلمان بيت اربئيل فى يوم الحرب** » . هذه تشير إلى حادث حدث أخيراً ، ولم يذكر فى أى موقع آخر من الكتاب المقدس . ولعل « شلمان » هذا هو « شلمناحر ملك أشور ، الذى هجم مؤخراً على إحدى المدن ، أو الحصون ، أو البيوت « بيت أربئيل » ، وكان قاسياً جداً فى بداية هجومه ليلزم خصمه بسرعة التسليم لدى أول نداء . وهكذا قال لهم الله إن السامرة يجب أن تخرب .

٢ — سوف يهجم السيف على السكان كما حدث مع « بيت اربئيل » . فانه عندما أخذ « **حطمت الام مع الأولاد** » أى أن الجنود فى ثورتهم الجنونية حطموهم . انظر إلى أى حد تصل بشاعة الحروب . يقول المثل اللاتينى « الشرير يسير فى طريقه حراً » . من الغريب أن يخرج الإنسان عن إنسانيته هكذا . لكن أنظر إلى نتائج الخطية . يقول المثل اللاتينى : الإنسان ذئب للإنسان ، ومن ثم يصير الإنسان حملا للإنسان .

٣ — حتى الدم الملكى سوف يختلط بالدم العادى . « **فى الصبح يهلك ملك اسرائيل هلاكاً** » ع ١٥ . كان هوشع آخر ملك فى اسرائيل . وفى هلاكه هلكت كل المملكة هلاكاً ، ولم تقم لها قائمة . ولعل هذه العبارة تشير إليه ، أو إلى بعض أسلافه الذين هلكوا بالغدر والخيانة .

وسوف يتم هذا « فى الصبح » فى وقت وجيز جداً ، فجأة كاشراق الصبح . أو فى الوقت المعين ، لأن الصبح يأتى فى وقته بانتظام .

أو « فى الصبح » عندما يظنون ان ليل المصائب قد انتهى ، و يتوقعون عودة النهار. لكن كل آمالهم تنهار عندما يرون أن ملكهم قد هلك هلاكاً ع ٧ . إن كان الملوك آلهة فى نظرنا فانهم بشر فى نظر الله ، وسيموتون كالبشر.

(وأخيراً) إلى أى شىء يعزى كل هذا الخراب ؟ ما هو سبب سفك الدماء هذا ؟ إنه يخبرنا فى ع ١٥ « **هكذا تصنع بكم بيت ايل** » . كانت بيت ايل هى المكان الذى اقيم فيه أحد العجلين . وكانت الجلجال ــ التى سبق أن قيل عنها إن كل شرهم فيها (ص ٩ : ١٥) ــ قريبة منها . فى بيت ايل كان شرهم العظيم ، أو رداءة شرهم « **من أجل رداءة شركم** » خلاصة خطيتكم . وهذا ما فعل كل ذلك لهم ، هذا ما أتى بكل ذلك الخراب ، لأنه هو الذى أغاظ الله لكى يأتى به عليهم . إنه لم يقل « هكذا يصنع بكم ملك اشور» ، بل « هكذا تصنع بكم بيت ايل » .

(ملاحظة) إن للخطية يداً فى كل أذى يحصل لنا . هل خربت الحصون ؟ هل حطمت الأم مع الأولاد ؟ هل هلك الملك هلاكاً ؟ إن الخطية هى التى تعمل كل هذا . الخطية هى التى تدمر النفس والجسم والثروة وكل شىء . « هكذا تصنع بكم بيت ايل » . «يوبخك شرك وعصيانك يؤدبك » (إر ٢ : ١٩) .

الأصحاح الحادى عشر

فى هذا الاصحاح نجد :

(١) صلاح الله العظيم من جهة شعبه اسرائيل ، والعظائم التى صنعها معهم ع ١ و٣ و٤ .

(٢) جحودهم معه رغم نعمه التى منحها لهم ع ٢ — ٤ و٧ و١٢ .

(٣) تهديدهم بالغضب من أجل جحودهم وخيانتهم ع ٥ و٦

(٤) فى الغضب تذكر الرحمة ع ٨ و٩

(٥) مواعيد عما يريد الله أن يصنعه لهم رغم كل هذا ع ١٠ و١١

(٦) صفة كريمة أعطيت ليهوذا ع ١٢ .

١ لما كان اسرائيل غلاماً احببته ومن مصر دعوت ابنى ٢ كلما دعوهم ذهبوا من أمامهم يذبحون للبعليم و يبخرون للتماثيل المنحوتة ٣ وأنا درجت افرايم ممسكاً اياهم بأذرعهم فلم يعرفوا إنى شفيتهم ٤ كنت أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة . وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم . ومددت إليه مطعماً إياه .

٥ لا يرجع إلى أرض مصر بل أشور هو ملكه . لأنهم أبوا أن يرجعوا ٦ يثور السيف فى مدنهم و يتلف عصيها . و يأكلهم من أجل آرائهم ٧ وشعبى جانحون إلى الارتداد عنى فيدعونهم إلى العلى ولا أحد يرفعه.

فى هذه ألآيات نجد :

أولا : رحمة الله العظيمة من نحو اسرائيل . كانوا شعباً عمل معهم أعظم مما عمله مع أى شعب تحت السماء ، وأعطاهم أكثر مما أعطاه لأى شعب آخر ، الأمر الذى من أجله هنا — لا أقول يعيرهم ، لأن الله يعطى ولا يعير — يذكرهم به ، مما يزيد خطيتهم شناعة ، و يشجعهم على التوبة .

١ — لقد شفق عليهم عندما كانوا حديثى السن ع ١ « **لما كان اسرائيل غلاما أحببته** » . عندما بدأوا يتكاثرون و يكونون أمة فى مصر حينئذ « التصق بهم واختارهم من محبته إياهم » (تث ٧ : ٧ و ٨) . عندما كانوا ضعفاء ولاعون لهم كالأولاد ، أغبياء ومشاكسين كالأولاد ، عندما كانوا منبوذين كبعض الأولاد ، حينئذ « أحبهم » الله . لقد شفق عليهم ، وأظهر

نيته الطيبة من نحوهم ، حملهم كما تحمل المربية رضيعها (عد ١١ : ١٢) ، وغذاهم ، واحتمل **عوائدهم (أع ١٣ : ١٨) .**

(ملاحظة) على الذين كبروا ، بل الذين شاخوا ، أن يفكروا من وقت لآخر في مراحم **الرب لهم في طفولتهم .**

٢ ــ وخلصهم من بيت العبودية **« من مصر دعوت ابني »** ، لأنه ابن ، لأنه ابن محبوب . عندما أمر الله فرعون بأن يطرد اسرائيل دعاهم « ابنه » ، « ابنه البكر» (خر ٤ : ٢٢ و٢٣) .

(ملاحظة) إن الذين يحبهم الله يخرجهم من عبودية الخطية والشيطان إلى حرية مجد أولاده .

قيل إن هذه الكلمات تمت في المسيح عند موت هيرودس ، ودعوة المسيح من مصر مع أمه و يوسف (مت ٢ : ١٥) .

وهكذا يكون لهذه العبادة اتجاهان ، اتجاه تاريخي إذ تحدثت عن دعوة اسرائيل للخروج من مصر ، واتجاه نبوى عن إخراج المسيح منها . وكانت الدعوة الأولى رمزاً للثانية ، وعربوناً وضماناً للمراحم العظيمة الكثيرة التي حفظها لذلك الشعب ، سيما إرسال ابنه إلى العالم ، وعودته إلى أرض اسرائيل التي طردوه منها بوحشية ، والتي كان يحق له بعدل أن لا يعود إليها مطلقاً . إن دعوة الله لشعبه مصر رمزاً لدعوته لكل الذين هم له للخروج منَ العبودية الروحية .

٣ ــ وهذبهم تهذيباً صالحاً ، وعنى بهم ، وتعب معهم ، ليس فقط كأب أو كمرب ، لكن هكذا تنازلت النعمة الإلهية وكان معهم كأم أو كمربية ع ٣ **« وأنا درجت أفرايم (١) »** كما يعلم الطفل المشي . عندما كانوا في البرية قادهم الله بعمود السحاب وعمود النار ، أراهم الطريق الذي ينبغي أن يسلكوا فيه ، وحملهم **« ممسكاً إياهم بأذرعهم »** .

لقد « درجهم » في طريق وصاياه ، بطقوس الناموس الطقسي التي كانت بمثابة أوصياء ووكلاء لهذا الشعب القاصر (غل ٤ : ١ و٢) . لقد « أمسكهم بأذرعهم » ليقودهم فلا يضلوا الطريق ، وليدعمهم فلا يعثروا و يسقطوا . هكذا يدعم الله اسرائيله الروحي . « أمسكت بيدى اليمنى » (مز ٧٣ : ٢٣) .

---

(١) « علمت افرايم ايضا المشي » حسب الترجمة الانكليزية .

٤ — وعندما كان يحل بهم أى تعب كان هو طبيبهم « **شفيتهم** » لم اعتن بهم عناية رقيقة فقط ، فهذا ما قد يفعله الصديق ، لكننى شفيتهم شفاء فعالا . والله وحده هو الذى يستطيع أن يفعل هذا . « أنا الرب شافيك » (خر ١٥ : ٢٦) ، الذى أزلت كل أحزانك ومتاعبك .

٥ — وأتى بهم إلى خدمته وعبادته بطرق لطيفة ع ٤ « **كنت أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة** » .

(ملاحظة) إنه عمل الله أن يجذب لنفسه النفوس المسكينة ، ولا يستطيع أحد أن يأتى إليه إن لم يجتذبه (يو ٦ : ٤٤) . إنه يجذب .

« بحبال البشر » بالحبال التى يجذب بها البشر الذين لهم مبادئى الإنسانية ، أو الحبال التى يجذب بها البشر . لقد عاملهم كبشر ، بطريقة عادلة عاقلة ، بطريقة رقيقة سهلة ، « بحبال آدم » . لقد عاملهم كما كان يعامل آدم فى برارته ، أدخلهم فى الحال الى الفردوس ، وقطع لهم عهداً مع نفسه .

(٢) « بربط المحبة » وهذه تعنى ربطاً اقوى من الربط السابقة . فهو لم يدفعهم بالقوة إلى خدمته وعبادته ، سواء أرادوا أو لم يريدوا ، ولا حكم عليهم بالعنف ، ولا حجزهم قهراً . لكن جذبه لهم كان بالمحبة والإعزاز ، كان كل شيء حلواً ورقيقاً ، لكى يغلبهم بالعطف . كان موسى — الذى جعله قائدهم — « حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عد ١٢ : ٣) إننا ندعو « العطف عادة بين الناس إلزاماً ، أو « ربطاً » ، أو « ربط المحبة » . هكذا يجذب الله « برائحة أدهانه الطيبة » (نش ١ ، ٣ و ٤) . يجذب « بالمحبة الأبدية (إر ٣١ : ٣) .

هكذا يعاملنا الله . ونحن يجب علينا أن نعامل — بنفس المعاملة — المرؤسين لنا ، وتلاميذنا ، نعاملهم بالرقة واللطف والمحبة .

٦ — وأراحهم من النير الذى ظلوا طويلا يئنون تحته . « **وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم** [1] » إشارة إلى عناية الفلاح الرقيق القلب ، الذى يشفق على بهيمته ، ولا يتعبها بالعمل المضنى المستمر . ربما كان النير الذى عنق الثور فى تلك الأيام يربط بسرع على الفكين لكى يكم فمه .

---

(١) « فكوكهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية وهامش ترجمة بيروت .

كان اسرائيل فى مصر يمنعون من التمتع بملذاتهم ، وكانوا يثقلون بالأعمال الشاقة . لكن الله أراحهم ، « أبعد من الحمل أكتافهم » (مز ٨١ : ٦) .

(ملاحظة) الحرية رحمة جزيلة ، سيما التحرر من العبودية .

٧ ــ وامدهم بالطعام المناسب . كانوا يحصلون على طعامهم بالمشقة فى مصر. لكن عندما أخرجهم الله قدم إليهم الطعام بسهولة « **مددت إليه مطعما إياه** » . كما يعلف الفلاح بهيمته عندما يفك عنها النير. كان الله يمطر المن حول محلتهم ، خبز السماء ، طعام الملائكة . الخلائق الأخرى « تطلب طعامها » ، تبحث عنه ، أما الله فقد قدم الطعام لشعبه ، بسطه أمامهم « مددت » ، كما تقدم الطعام لأولادنا ، كان يعد لهم الطعام بنفسه و يقدمه إليهم بنفسه ، كان « يتقدمهم ببركات خير» (٢١ : ٣) أى يعدها إليهم مقدماً .

ثانيا : وهنا نجد اسرائيل جاحدين جداً مع الله .

١ ــ لقد صموا آذانهم عن صوته ، غير مطيعين . لقد تكلم إليهم عن طريق أنبيائه ، موسى والأنبياء الآخرين ، دعاهم من خطاياهم ، دعاهم لشخصه ، دعاهم لعملهم وواجبهم « **كلما دعوهم ذهبوا من أمامهم** » . لقد تمردوا فى نفس تلك المناسبات التى قدمت إليهم النصيحة فيها . كلما ضغط وألح عليهم الأنبياء ، ليقنعوهم بما هو للخير، أزدادوا هم **جموحاً** وتمرداً ، وعناداً فى طرقهم الشريرة ، وعصياناً من أجل العصيان نفسه هذه الحماقة مرتبطة بقلوب الأطفال ، الذين حالما يدرجون ، يتعلمون المشى ، يمشون مبتعدين عمن يدعونهم .

٢ ــ كانوا شغوفين بالأصنام ، وعبدوها « **يذبحون للبعليم** » ، يذبحون أولا لبعل ثم لبعل آخر ، « و يبخرون للتماثيل المنحوتة » رغم أن أنبياء الرب دعوهم مراراً وتكراراً لكى لا يصنعوا هذا الأمر الكريه الذى يبغضه . كانت العبادة الوثنية هى الخطية التى أحاطت بهم بسهولة جداً منذ البداية .

٣ ــ لم يبالوا بالله ولا بمراحمه عليهم . « فلم يعرفوا انى شفيتهم » كانوا ينظرون فقط إلى موسى وهارون ، واسطة شفائهم . وعند الشدة كانوا يتذمرون عليهما . ولم ينظروا إلى الله الذى استخدمهما .

أو، عندما كان الله يؤدبهم ، ويحفظهم تحت تأديب قاس ، لم يعرفوا بأن ذلك كان لخيرهم ، وأن الله كان بهذا يشفيهم ، وانه كان لازماً لشفائهم ، و بدون هذا لم يكن ممكناً أن يدركوا الطريق التى اتخذها الله معهم .

(ملاحظة) الجهل أساس الجحود وعدم الاعتراف بالجميل (ص ٢ : ٨) .

٤ ــ كانوا يميلون بشدة إلى الارتداد . وهذه أسوأ مادة فى التهمة ع ٧ « **شعبى جانحون إلى الارتداد عنى** (١) » . كل كلمة هنا تزيد خطيتهم شناعة .

(١) انهم « يرتدون » لاشيء يمسكهم ، لا ثبات فيهم . يظهرون بأنهم يتقدمون إلى الأمام نحو الله ، لكنهم سرعان ما يرجعون إلى الوراء ، وهم « كفرس مخطئة » .

(٢) يرتدون « عنى » . عن الله ، الخير الأعظم ، ينبوع الحياة والمياه الحية . عن إلههم الذى هم ملك له ، عن الله ملكهم ، المحسن إليهم . عن الله الذى لم يرتد عنهم قط ، ولم يكن لهم كبرية .

(٣) انهم « جانحون إلى الارتداد » ، متوثبون للخطية . هنالك فى طبيعتهم استعداد وميل لما هو شرير . وهم على أفضل الأحوال يعرجون بين الله والعالم ، حتى أن أتفه الأسباب يجذبهم إلى الطريق الخاطىء . أنهم مستعدون للاستجابة لكل تجربة .

هذه تشير أيضاً إلى « تشبثهم » بالخطية ، « قد امتلأت قلوبهم فيهم لفعل الشر » (جا ٨ : ١١) . الانحراف شديد جداً لهذه الناحية . وهم « يتشبثون بارتدادهم » مهما قيل لهم أو عمل لهم لصدهم .

(٤) ومع ذلك فانهم « شعبى » حسب الظاهر . لقد دعوا باسمى ، و يعترفون بعلاقتهم بي . هم لى ، الذين عملت لهم الكثير ، وكنت أتوقع منهم الكثير . الذين « ربيتهم ونشأتهم » كبنين ، « أما هم فعصوا على » (إش ١ : ٢) .

(ملاحظة) فى توبتنا ينبغى أن نحزن ليس فقط من أجل ارتدادنا ، بل أيضاً من أجل ميلنا للارتداد ، ليس فقط من أجل تعدياتنا الفعلية بل أيضاً من أجل الفساد الأصلى ، من أجل الخطية الساكنة فينا ، من أجل اهتمام الجسد .

٥ ــ و بكيفية غريبة رفضوا التوبة وإصلاح الحياة . هنا نجد تعبيرين عن عنادهم .

(١) « **لأنهم أبوا أن يرجعوا** » ع ٥ . كان ميلهم للارتداد شديداً جداً حتى أنهم ، بالرغم من اكتشافهم حماقتهم فى ارتدادهم ، وسوء حالتهم عند تركهم الله . استمروا فى ارتدادهم « قد أحببت الغرباء ووراءهم أذهب » (إر ٢ : ٢٥) . لقد أمروا بأن يرجعوا وقدم إليهم الرجاء والتوسلات لكى يرجعوا ، ووعدوا بأن يستقبلوا أحسن استقبال إن رجعوا ، لكنهم « أبوا ان يرجعوا » .

---

(١) « فان شعبى قد تشبث بالارتداد عنى » حسب ترجمة اليسوعيين ، « يميل إلى الارتداد عنى » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) وأبوا أن يرجعوا رغم انهم كانوا « **يدعونهم إلى العلى** » . لقد دعاهم أنبياء الله وخدامهم ليرجعوا إلى الله الذى إرتدوا عنه ، إلى العلى الذى ابتعدوا عنه فسقطوا فى بالوعة الفساد والانحطاط هذه لقد دعوهم من عبادة الأصنام التى كانت أحط منهم جداً ، والتى كانت عبادتها انحطاطاً مزرياً لهم ، دعوها إلى الله الحقيقى ، الذى هو أعلى منهم جداً ، والذى كانت عبادته سمواً عظيما لهم لقد دعوهم من هذه الأرض إلى السماويات العالية . لكن دعوتهم كانت بدون جدوى .

« **ولا أحد يرفعه** (١) » إلى فوق . مع أنه هو الله العلى ، فانهم لم يريدوا الاعتراف بأنه هكذا ، لم يريدوا أن يفعلوا شيئا ليكرموه ولم يعطوه المجد اللائق بأسمه .

او ، لم يريدوا أن يرفعوا أنفسهم ، لم يريدوا أن يقوموا من حالة الارتداد والتعاسة التى هووا بأنفسهم إليها . لكنهم بأرادتهم استمروا فيها ، لم يريدوا أن يرفعوا رؤوسهم ، أو يرفعوا نفوسهم .

(ملاحظة) لقد تكبد خدام الله الأمناء مشقة جزيلة بدون جدوى مع الابناء المرتدين ، دعوهم إلى العلى ، لكن لم يرد أحد أن يتحرك « لا أحد يرفعه » .

ثالثا : وهنا نجد الله غاضباً جداً ، بعدل ، على اسرائيل . انظر إلى علامات غضب الله التى هددوا بها هنا .

١ ــ فان الله الذى أخرجهم من مصر ، ليتخذهم لنفسه شعباً خاصاً ، سوف يأتى بهم إلى حالة اردأ مما وجدهم فيها ، وذلك لأنهم لم يريدوا أن يكونوا أمناء له ع ٥ « لا يرجع إلى أرض مصر » . رغم أنها كانت بيت عبودية قاسية جداً ، لكنه يذهب الى عبودية أقسى ، لأن « اشور هو ملكه » سيكون هو ملكه الذى يعامله معاملة اسوأ من معاملة فرعون ، لا يعودون إلى مصر القريبة منهم ، حيث يمكنهم أن يسمعوا عن أخبار بلادهم من وقت لآخر ، وحيث يرجون أن يرجعوا قريباً إلى بلادهم . لكنهم يحملون إلى أشور ، التى هى أبعد كثيراً جداً من مصر ، وحيث يقطعون تماماً من كل اتصالات ببلادهم ، ومن كل رجاء فى العودة إليها . وكان ذلك عدلاً « لأنهم أبوا أن يرجعوا » .

(ملاحظة) إن الذين يأبون الرجوع إلى واجباتهم التى تركوها لا يمكن أن يتوقعوا عودة النعم التى خسروها .

---

(١) « دعوه إلى العلى لكنه لم يرفع رأسه » حسب ترجمة اليسوعيين .

٢ ـــ والله الذى أعطاهم كنعان ، تلك الأرض الجيدة ، وأعطاهم إقامة أمينة مريحة فيها ، سيأتى بقصاصاته عليهم هناك ، فتجعل إقامتهم غير أمينة وغير مريحة ع ٦ « **يثور السيف** » عليهم ، سيف الحرب ، سيف العدو الأجنبى ، يبطش بهم .

(١) سوف يمتد ذلك القصاص إلى مدى بعيد . سوف يثور السيف « فى مدنهم » التى يأوى إليها الشعب ، والتى يخزنون فيها ثروتهم . « **و يتلف عصيها (١)** » سيمتد أيضاً إلى أغصانهم ، أى « القرى » ، حسب تفسير البعض ، أو السكان أنفسهم « وجهاءها » ، أو « عصيها » أى عصى مدنهم وأبوابها ، أو كل فروع ايرادتهم وثروتهم أو أولادهم ، فروع عائلاتهم .

(٢) سوف يستقر طو يلا « يثور (٢) السيف فى مدنهم » . رأى داود أن الهروب أمام اعدائه ثلاثة أشهر هو أشر ما عرض عليه من الثلاثة القصاصات (٢ صم ٢٤ : ١٢ و ١٣) . أما هذا السيف فانه يستقر على مدن اسرائيل أكثر من ثلاثة أشهر . لقد استمروا طو يلاً فى التمرد على الله ، ولذلك فان قصاصات الله تستمر طو يلا عليهم .

(٣) وسوف يقضى عليهم قضاء كاملا . فالسيف « **يتلف عصيها و يأكلهم (١)** » و يترك كل شيء خراباً .

وهذا « **من أجل آرائهم (٢)** » ، أى أنهم أرادوا أن يسلكوا فى طرقهم ، سواء فى العبادة أو فى سلوكهم وتصرفاتهم ، أرادوا أن يفعلوا ما شاءوا ، و يتابعوا مشروعاتهم ، التى أسلمهم الله إليها كقصاص عادل .

(ملاحظة) إن اضطراب الخطاة وخزيهم راجع إلى تدبيراتهم . كأن يمكن أن تخلصهم مشورات الله ، أما مشوراتهم فقد أهلكتهم .

٨ كيف أجعلك يا أفرايم . أصيرك يا إسرائيل . كيف أجعلك كأدمة . أصنعك كصبو ييم . قد انقلب على قلبى . اضطرمت مراحمى جميعاً .

٩ لا أجرى حمو غضبى . لا أعود أخرب أفرايم . لأنى الله لا إنسان . القدوس فى وسطك فلا آتى بسخط .

---

(١) « و بغى وجهاءها » حسب ترجمة اليسوعيين ، « أو اغصانها » أو « فروعها » حسب الترجمة الانكليزية ،

(٢) « يجول » حسب ترجمة اليسوعيين ، « يستقر » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) « يلتهمهم » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) « مشوراتهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

١٠ وراء الرب يمشون . كأسد يزمجر . فانه يزمجر فيسرع البنون من البحر ١١ يسرعون
كعصفور من مصر وكحمامة من ارض أشور . فأسكنهم فى بيوتهم يقول الرب ١٢ قد
أحاط بى أفرايم بالكذب . و بيت اسرائيل بالمكر . ولم يزل يهوذا شارداً عن الله وعن القدوس
الأمين .

فى هذه الأعداد نجد :

أولا : رجوع العجيب عن فكرة إهلاك اسرائيل ع ٨ و ٩ . « **كيف أجعلك** (١) **يا أفرايم** » ؟ هنا نلاحظ

١ ــ مناقشة الله الرحيمة مع نفسه بصدد حالة اسرائيل ، مناقشة بين العدل والرحمة . وواضح أن النصرة تميل إلى جانب الرحمة . « ابتهلى ايتها السماوات » (إر ٢ : ١٢) ، وتعجبى أيتها الأرض ، من مجد صلاح الله . ليس معنى هذا أن هنالك أى صراع عند الله ، كما هو الحال عندنا ، أو أى تردد . كلا فانه ثابت فى رأيه الواحد الذى لا يتغير ، وهو يعرفه . لكنها مجرد تعبيرات بشرية قصد بها أن تبين مقدار الصرامة التى كانت تستحقها خطية اسرائيل ، ومقدار النعمة الإلهية التى تتمجد فى إنقاذهم رغم كل هذا .

أما علاقة هذه بما ورد قبلها فانها عجيبة جداً . فقد قيل عن اسرائيل فى ع ٧ إنهم « جانحون إلى الارتداد عن الله » وإنهم رغم دعوتهم إليه فانه « لا أحد يرفعه » . و بناء على هذا يخيل للمرء أن النتيجة كان يجب أن تكون : لقد اعتزمت أن أهلكهم ، ولا أعود أرحمهم بعد .

كلا ، فما أعظم الرحمة الإلهية ، وما أكمل النعمة الإلهية المجانية . ولذلك نرى بعد ذلك مباشرة « كيف أجعلك يا أفرايم » (كيف أنبذك) ؟ وهنا نرى :

(١) الاقتراحات التى قدمها العدل من جهة اسرائيل . وهذه الاقتراحات تفهم هنا ضمناً . لينبذ أفرايم كما ينبذ الإبن الذى لا يرجى إصلاحه ويحرم من الميراث ، وكما ينبذ المريض الذى يرجو طبيبه شفاءه . لينبذ للهلاك . ليسلم اسرائيل ليد العدو كما يسلم الخروف للأسد ليفترسه .

ليجعلوا « **كأدمة وكصبو يم** » ، وهما المدينتان اللتان أخربتا ــ مع سدوم وعمورة ــ بالنار والكبريت إذ نزلا عليها من السماء . ليهلكوا هلاكاً تاماً ، لا شفاء منه ، وليصيروا مثل هاتين المدينتين اللتين هلكتا بسبب الخطية . لتحل عليهم تلك اللعنة المكتوبة فى الناموس « كل

(١) « أعاملك » حسب ترجمة اليسوعيين ، « أنبذك » حسب الترجمة الانكليزية .

أرضها حريق لا تزرع ولا تنبت ولا يطلع فيها عشب ما كانقلاب سدوم وعمورة وأدمة وصبو ييم » (تث ٢٩ : ٢٣) . إن افرايم وأسرائيل يستحقان أن ينبذا هكذا ، والله لا يظلمهما إن عاملهما هكذا .

(٢) الاعتراض الذى قدمته الرحمة على هذه الاقتراحات . كيف أصنع هذا ؟ كما يحتج الأب الرقيق نفسه : كيف أنبذ أبنى العنيد ؟ فهو لا يزال ابنى وإن كان عنيداً . كيف يطاوعنى قلبى أن أفعل هذا ؟ لقد كان افرايم ابناً عزيزاً ، طفلا جميلا . فكيف أصنع هذا ؟ إنه يستحق الهلاك ، والقصاصات متأهبة لكى تحل عليه ، ولا يحتاج الأمر إلا إلى نبذه . لكننى لا أقدر أن أصنع هذا . لقد كانوا شعباً قريباً منى ، ولا يزال يوجد به بعض الصالحين . هم أبناء الموعد . إذا ما أهلكوا شمت العدو . وهم ربما يتوبون و يصلحون حياتهم . ولذلك كيف أصنع هذا ؟

(ملاحظة) إن إله السماء بطىء الغضب . وهو لا يرتضى أن يترك للهلاك التام شعباً كانت له علاقة خاصة به .

انظر كيف تعمل الرحمة لمجرد ذكر تلك الإجراءات القاسية . « **قد انقلب علىّ قلبى** » كما نقول « كاد يغشى علىّ » عندما نفعل شيئاً ضد الميول التى فينا . هكذا يتحدث الله كأنه أحس بعواطف ملتهبة نحو اسرائيل ، كما ورد فى (مراثى ١ : ٢٠) « احشائى غلت . ارتد قلبى فى باطنى » .

وهذا ما نراه فى الكلمات التالية « **اضطرمت مراحمى جميعاً** » حنت أحشاؤه إليهم ، فضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل « وخطيتهم » (قض ١٠ : ١٦) . أنظر أيضاً ما ورد فى (إر ٣١ : ١٠) « لأنى كلما تكلمت ضده حنت احشائى إليه » .

عندما كان الله على وشك أن يسلم ابنه ذبيحة عن الخطية ومخلصاً للخطاة لم يقل كيف أسلمه ؟ كلا فانه « لم يشفق على ابنه » ، « وسر الرب أن يسحقه » . ولهذا لم يشفق عليه الله لكى يشفق علينا .

لكن هذه هى اللغة التى يتكلم فى يوم صبره فقط . لكن عندما يتمادى الناس فى الخطية دون رغبة فى الرجوع ، وعندما يأتى يوم غضبه العظيم ، لا تكون هنالك صعوبة فى أن يقول : « أنا أيضاً أضحك عند بليتهم » (أم ١ : ٢٦) .

٢ — قراره الرحيم بعد هذه المناقشة . بعد مناقشة طويلة تفتخر الرحمة على الحكم فى النهاية ، تكون لها الكلمة النهائية ع ٩ . لقد تقرر بأن مدة إرجاء تنفيذ القصاص تطول ، وأنا « **لا أجرى حمو غضبى** » ولو كنت غاضباً . و بالرغم من أنهم سوف لا يعفون نهائياً من القصاص إلا

أنه سوف يخفف الحكم ، و يلطف من قسوته . سوف يظهر بأنه كان عادلا فى غضبه ، لكنه ليس غضباً لا يتسامح . سوف يؤدبون ، لكن لا يفنون .

« لا أعود أخرب افرايم » سوف لا تكرر القصاصات التي أجريت سوف لا تتمشى القصاصات مع ما يستحقون . سوف لا يعود يخربهم ، كما يفعل الجنود الذين إذ أخربوا مدينة عادوا إليها مرة أخرى ليأخذوا المزيد ، وكما يفعل الجراد إذ يأكل فضلة القمص . (يوئيل ١ : ٤) .

وفى نهاية الآية يقوم « **فلا آتى بسخط** (١) » لا ادخل السامرة ولا أية مدينة من مدنهم . لا أدخلها كعدو ، لكى أخربها خراباً تاماً ، كما فعلت بمدينتى أدمة وصبو يم .

٣ ــ أساس قصده الرحيم هذا « **لأنى الله لا إنسان . القدوس فى وسطك** » ، قدوس اسرائيل . ولكى يشجعهم على أن يرجوا بأن يجدوا رحمة تأمل فيا يلى :

(١) ماذا هو فى نفسه « انى الله لا إنسان » . كما هو الله فى كل النواحى الأخرى هو الله فى غفران الخطية والإشفاق على الخطاة . إن كانوا قد أساءوا الى انسان مثلهم فانه لا يحتمل الاساءة ، ولا يمكن أن يحتملها ، لأن عواطفه تتغلب على شفقته ، فيحتمى غضبه . أما أنا « فاننى الله لا انسان » . هو سيد غضبه . أما غضب البشر فانه عادة يسود عليهم . لو أن اى ملك ارضى صار محصوراً بين العدل والرحمة فانه يحار فى امره ولا يعرف كيف يوفق بينهما ، اما هو فانه هو الله ، لا انسان ، يعرف كيف يجد وسيلة ليضمن كرامة عدله ، وفى نفس الوقت يزيد كرامة رحمته . ان شفقة الناس لا شيء بالنسبة لمراحم الهنا ، الذى علت افكاره وطرقه فى قبول الخطاة التائبين عن افكارنا وطرقنا « كما علت السماوات عن الارض » (إش ٥٥ : ٩) .

(ملاحظة) إنه لمشجع عظيم لنا عندما نرجو مراحم الله ان نذكر أنه هو الله لا إنسان .

وهو « القدوس » . قد يخيل للمرء بأن هذا كان مبرراً لكى يرفض شعباً متمرداً كهذا . كلا ، فان الله يعرف كيف يشفق على الخطاة المساكين ، و يغفر لهم ، ليس فقط دون أى مساس بقداسته ، بل انه يحرص جداً على كرامتها ، فهو « أمين وعادل لكى يغفر لنا خطايانا » وبهذا « يظهر بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة » (رو ٣ : ٢٦) ، لأن المسيح قد اشترى لنا الآن الغفران ، و وعد به .

---

(١) « فلا أدخل المدينة » حسب ترجمة اليسوعيين ، والترجمة الانكليزية ، وحاشية ترجمة بيروت .

(٢) مـاذا هو لهم . هو « القدوس في وسطك » ان قداسته تعمل من أجل خير كنيسته . وحتى في هذه الأرض الفاسدة ، والجيل الشرير ، كان يوجد أشخاص قدموا الشكر لدى تذكر قداسته ، وهو طلب منهم كلهم أن يكونوا قديسين كما أنه هو قدوس (لا ١٩ : ٢) .

طالما كان لنا القدوس في وسطنا فنحن آمنون وفي خير جزيل ، لكن و يل لنا عندما يتركنا .

(ملاحظة) إن الذين يخضعون لتأثير الله يحق لهم أن يتمتعوا بقداسته .

ثانيا : وهنا نجد استعداد الله العجيب ليضع خيراً لإسرائيل ، الأمر الذي يتضح في أنه يعدهم لقبول الخير الذي يقصده لهم ع ١٠ و ١١ . **« وراء الرب يمشون »** . هذه تشير إلى نفس الرحمة الواردة ذكرها في (ص ٣ : ٥) « بعد ذلك يعود بنو اسرائيل و يطلبون الرب إلههم » .

قيلت هذه عن العشرة أسباط . وقد تمت جزئياً في عودة بعضهم مع السبطين في أيام عزرا . لكنها تمت كاملة في اسرائيل الله الروحي ، كنيسة العهد الجديد ، وإذ أتى بهم الانجيل المسيح وجمعهم معاً .

كان قدماء اليهود يعتقدون بأنها تشير إلى عصر المسيا ، و يرى أحد علماء المسيحيين أنها نبوة عن مجيء المسيح ليكرز بالإنجيل الى بني اسرائيل المشتتين ، أبناء الله الذين تشتتوا بعيداً . ولهذا نلاحظ :

١ — كيف كان يجب أن يدعوا ويجمعوا معاً . الرب **« كأسد يزمجر»** . يقول التفسير الكلداني : إن كلمة الرب تكون كأسد يزمجر. قيل عن المسيح إنه هو « الأسد الذي من سبط يهوذا » (رؤ ٥ : ٥) ، وكان إنجيله في بدايته « صوت صارخ في البرية » . عندما صرخ المسيح بصوت عال كان « كما يزمجر الأسد (رؤ ١٠ : ٣) . لقد سمع صوت الإنجيل إلى مسافات بعيدة **كزمجرة الأسد** ، وكان صوتاً قو ياً . أنظر (يوئيل ٣ : ١٦) .

٢ — أي تأثير تؤثره فيهم هذه الدعوة ، كتأثير زمجرة الأسد في كل وحوش الغابة **« فإنه يزمجر فيسرع البنون من البحر (١) »** . انظر (عا ٣ : ٨) . « الأسد قد زمجر» الرب **الله قد** تكلم « فن لا يخاف » ؟ عندما ارتعد الذين وصل الإنجيل الى قلوبهم ، وتعجبوا ، وصرخوا قائلين « ماذا نصنع » ، عندما جعلهم يتممون خلاصهم ، و يعبدون الله بخوف ورعدة ، عندئذ تم هذا الوعد .

(١) « عندما يزمجر يرتعد البنون من الغرب » حسب الترجمة الانكليزية .

« يرتعد البنون من الغرب » . لقد حمل اليهود المشتتون إلى الشرق ، إلى أشور و بابل . والذين رجعوا جاءوا من الشرق . ولذلك يبدو أن هذه تشير إلى دعوة الأمم الذين كانوا يقيمون غرب كنعان ، لأن الإنجيل انتشر فى الغرب بصفة خاصة .

« يرتعدون » يتحركون و يأتون بارتعاد ، باهتمام وسرعة .

« من الغرب » من الأمم الواقعة فى الغرب ، إلى جبل الرب (إش ٢ : ٣) ، إلى أورشليم العهد الجديد ، لدى سماع صوت الإنجيل . تحدث الرسول عن « قوة آيات وعجائب » تمت بكرازة الإنجيل « من أورشليم وما حولها إلى الليريكون » (رو ١٥ : ١٩) . فى ذلك الوقت ارتعد البنون من الغرب .

ونظراً لأن إسرائيل حسب الجسد تشتتوا فى مصر وأشور فقد وعدوا بأن يدعوا من هناك دعوة فعالة ع ١١ « يرتعدون » . يأتون مرتعدين ، و بأقصى سرعة « **يسرعون كعصفور من مصر وكحمامة من أرض أشور** » . الحمامة مشهورة بسرعة الطيران واستمراره ، سيما عندما تطير إلى بيتها . وقد شبه بهذا الطيران تقاطر اليهود والأمم إلى الكنيسة كما نرى فى (إش ٦٠ : ٨) .

حيثما كان أولئك الذين ينتمون إلى اختيار النعمة ، شرقاً ، أو غرباً أو شمالا ، أو جنوباً ، فانهم سوف يسمعون الصوت المفرح ، فيؤثر فيهم الذين من مصر ومن أشور يأتون معاً . والبعيدون جداً عن بعضهم يجتمعون فى المسيح ، و ينضمون الى الكنيسة . وقد تنبأ إشعيا النبى عن اتحاد مصر وأشور (إش ١٩ : ٢٣) .

٣ ـــ ما هى نتيجة هذه المؤثرات فيهم . انهم إذ يتحركون خوفاً يهربون إلى التابوت « وراء الرب يمشون » ، أو « وراء خدمة الرب » حسب التفسير الكلدانى . يتخذون الرب يسوع قائداً لهم ومرشداً ، ينضمون تحت رايته كرئيس خلاصهم ، و يسلمون أنفسهم لإرشاد الروح القدس بكلمة الله . يتركون كل شيء و يتبعون المسيح ، كما يليق بتلاميذ .

(ملاحظة) إن ارتعادنا المقدس من كلمة المسيح لا يبعدنا عنه بل يجذبنا إليه . عندما « يزأر كأسد » فان العبيد يرتعدون ويهربون منه ، أما البنون فانهم يرتعدون ويهربون إليه .

٤ ـــ ما هى البركات التى يتمتعون بها لدى رجوعهم ع ١١ « **أسكنهم فى بيوتهم** » . كل الذين يأتون لدى دعوة الإنجيل يكون لهم مكان واسم فى الكنيسة ، فى الكنائس الخاصة التى هى بيوتهم ، والتى ينتمون إليها . يسكنون فى الله ، و يكونون واحداً معه ، يكونون مستريحين وآمنين ، كما يكون الإنسان فى بيته . تكون لهم منازل ، لأن فى بيت أبينا منازل كثيرة . يسكنون

فى مظلته على الأرض ، وفى هيكله فى السماء . فى « مظال أبدية » (لو ١٦ : ٩) ، يمكن ا ن يقال عنها إنها هى « بيوتهم » . لأنها هى النصيب الذى يقيمون فيه « فى آخر الأيام » .

ثالثا : وهنا نجد شكوى مرة من خيانة افرايم واسرائيل . وهذه يمكن أن تشير لا إلى اسرائيل حسب الجسد ، بل اسرائيل الروحى ، الذى تخصه المواعيد السابقة . لأن افرايم واسرائيل هذين قيل عنهما **« قد أحاط بى افرايم بالكذب وبيت اسرائيل بالمكر»** . كل عبادتهم له ، عندما أدعوا انهم يحيطون بمذبحه ، كانت زوراً ورياء . وعندما أحاطوا به بصلواتهم وتسبحاتهم ، وكانت لكل واحدة طلبة ليقدمها إليه ، خادعوه بافواههم وكذبوا عليه بألسنتهم » . (مز ٧٨ : ٣٦) . كانت مظاهرهم جميلة ، أما نياتهم فقد كانت قذرة جداً حتى أنهم كانوا يودون لو أن يخدعوا الله نفسه . كانت كل مظاهرهم ووعودهم خداعاً . ومع ذلك أرادوا بهذه أن يحيطوا بالله ، كأنهم يريدون أن يحاصروه ، و يبقوه بينهم ، ويمنعوه من أن يتركهم .

رابعا : وهنا مدح جميل لنزاهة السبطين التى تمسكا بها . وقد ذكرت هذه للتشنيع فى خيانة العشرة الأسباط وكمبرر لماذا حفظ الله رحمة ليهوذا ، وحرم منها اسرائيل (ص ١ : ٦ و ٧)**« ولم يزل يهوذا شارداً عن الله وعن القدوس الأمين(١) »** .

١ــ « يهوذا يملك مع الله » . أى يخدم الله ، وخدمة الله ليست فقط حرية حقيقية وتحرراً ، لكنها شرف عظيم وسلطان . « يهوذا يملك » أى ملوك يهوذا وحكامه يحكمون مع الله . يستخدمون سلطانهم من أجله ، من أجل مجده ، وتقدم مصالحه . إن الذين يحكمون بخوف الله مع الله (٢ صم ٢٣ : ٣) . وأنه لشرف لهم أن يفعلوا هكذا و يكون مدحهم من الله ، كما حصل مع يهوذا هنا . يهوذا اسرائيل ، « رئيس مع الله » .

٢ــ وهو « أمين مع القدوس » أو مع « القدوس » ، يتمسك بعبادته و بقديسيه ، بكهنته ، و بشعبه . « أمين مع القديس » ، مع ابراهيم وإسحق و يعقوب . الذين يسلكون بأمانة فى خطواتهم . « يسلكون فى طريق الصالحين . والذين يفعلون هكذا « يملكون مع الله » ، لهم اتصال قوى بالسماء ، ويهوذا « لم يزل » يفعل هكذا وهذه تشير إلى أنه سوف يأتى الوقت الذى فيه يتمرد يهوذا ايضاً و يفسد .

(ملاحظة) عندما نرى الكثيرين يحيطون بالله بالكذب والمكر فانه يعزينا أن نذكر بأن لله بقية يتمسكون به بعزم القلب ، وأمناء لقديسيه . ولهؤلاء الذين هم هكذا أمناء حتى الموت قد حفظ إكليل الحياة ، أما المراؤون وجميع الكذبة فنصيبهم خارج الحياة .

---

(١) « ولم يزل يهوذا يملك مع الله وأمين مع القديسين » حسب الترجمة الانكليزية .

الاصحاح الثانى عشر

فى هذا الأصحاح نرى :

(١) تهمة شنيعة ضد كل من اسرائيل ويهوذا من أجل خطاياهم ، التى كانت أساساً لخصومة الله معهم ع ١ و ٢ ، سيما خطية الغش والظلم التى اتهم بها افرايم ع ٧ ، والتى يبرر نفسه فيها ع ٨ . وخطية العبادة الوثنية ع ١١ التى اغاظت الله فخاصمهم ع ١٤ .

(٢) العوامل التى زادت شناعة خطاياهم التى اتهموا بها . وهذه استنتجت من المجد الذى وضعه الله على ابيهم يعقوب ع ٣ ــ ٥ ، والشرف الذى وضعه عليهم إذ جعلهم شعباً ، ورفعهم من بداية وضيعة ع ١٢ و ١٣ . وتهيئته لهم مساعدات لنفوسهم بالأنبياء الذين أرسلهم إليهم ع ١٠

(٣) دعوة لغير المتجددين ليرجعوا إلى الله ع ٦

(٤) إشارة إلى الرحمة التى حفظها الله لهم ع ٩

١ افرايم راعى الريح وتابع الريح الشرقية . كل يوم يكثر الكذب والاغتصاب . و يقطعون مع أشور عهداً والزيت إلى مصر يجلب

٢ فللرب خصام مع يهوذا وهو مزمع أن يعاقب يعقوب بحسب طرقه . بحسب أفعاله يرد عليه .

٣ فى البطن قبض بعقب أخيه و بقوته جاهد مع الله ٤ جاهد مع الملاك وغلب . بكى واسترحمه . وجده فى بيت ايل . وهناك تكلم معنا ٥ والرب إله الجنود يهوه اسمه ٦ وأنت فارجع إلى إلهك . احفظ الرحمة والحق وانتظر إلهك دائما .

فى هذه الآيات نجد :

أولا : اقناع افرايم بالحماقة لاعتماده على مصر وأشور فى ضيقته

ع ١ « **افرايم راعى الريح** » أى يطعم نفسه بالآمال الباطلة للحصول على مساعدة من الإنسان ، مع إنه على خلاف مع الله . وعندما يفشل يسير فى نفس الطريق « **ويتابع الريح الشرقية** » التى لا يستطيع أن يمسك بها ، وإن استطاع فليس فيها غذاء ، بل تكون مؤذية . إننا نقول عن الريح الشرقية إنها غير نافعة لا للإنسان ولا للبهائم . سبق أن قيل فى (ص ٨ : ٧) . انه « يزرع

الريح » وكما يزرع يحصد ، « يحصد الزوبعة » وكما يحصد يأكل ، يأكل الريح ، الريح الشرقية .

(ملاحظة) ان من يجعلون الخليقة معتمدهم يصيرون حمقى ، و يتكبدون مشقة جزيلة لكى يخدعوا أنفسهم و يغيظوا أنفسهم .

« **كل يوم يكثر الكذب** » أى يكثر مراسلاته ومحالفاته مع جيرانه ، التى يتضح أنها كلها مخادعة له ، بل يتضع أنها مهلكة له . تلك الأمم التى يجعلها ملجأ له يتضح أنها تسبب له الهلاك . ان الذين يعتمدون على الأكاذيب يستمرون فى طلب المزيد منها ، لكى يبنوا عليها آمالهم ثابتة ، كأن الأكاذيب الكثيرة إذا انضمت معاً كونت حقاً واحدا ، أو كأن اجتماع قصبات مرضوضة كثيرة يكوّن قصبة سليمة . هذه ضلالة كبيرة تؤدى إلى هلاك كبير. لأن الذين « يراعون أباطيل كاذبة » كلما كثروها كثروا لأنفسهم الفشل ، وازدادوا ابتعاداً عن نعمتهم (يونان ٢ : ٨) .

هذا ما فعله رجال أفرايم عندما ظنوا بان يضمنوا الأشوريين فى جانبهم بعقد محالفة يوقعون عليها ، ويختمونها ، و يقسمون عليها : « **يقطعون مع أشور عهداً** » . لكنهم يجدون أنهم لا يؤتمنون .وذلك الملك القوى يتنكر لكلمته .

وظنوا أن يضمنوا المصريين لجانبهم بتقديم هدية ثمينه إليهم من منتجات بلادهم و ليس فقط ليشتروا رضاهم ، بل لكى يظهروا أن صداقتهم تستحق الحصول عليها « والزيت إلى مصر يجلب » . لكن المصريين طالما أخذوا الرشوة أغمضوا عيونهم عنهم و ولم تتحسن حالة أفرايم بسببهم . وكما يقول المثل اللاتينى « ضاع الزيت والتعب هباء » هذا هو « رعى الريح » ، وهذا هو « تكثير الكذب والاغتصاب » .

ثانيا : وقامت الخصومة أيضاً مع يهوذا ، ومع يعقوب ، وهو يشمل كلا من أفرايم ويهوذا ع ٢ . « **للرب خصام مع يهوذا** » ، فع أنه منذ وقت وجيز كان « يملك مع الله » ، وكان « أميناً مع القديسين » ، إلا أنه بدأ الآن يفسد .

أو بالرغم من أنه مع الاحتفاظ بعلاقته مع بيت داود و بيت هارون ، والاحتفاظ عن طريقها بعهود الملكية والكهنوت ، وكانوا مصيبين فى كلتا الناحيتين ، ففى الأولى « ملكوا مع الله » ، وفى الثانية كانوا « أمناء مع القديسين » ، إلا أنهم فى نواح أخرى كان « للرب خصام معهم » ، وأراد أن يعاقبهم « **وهو مزمع أن يعاقب يعقوب** » .

(ملاحظة) ان وجود الناس على صواب في بعض النواحي ، في النواحي الرئيسية ، لا يعفيهم من التأديب والتوبيخ من أجل النواحي التي أخطأوا فيها . كان في كنائس أسيا بعض الكنائس التي مدحها ، ومع ذلك كان يقول لملاك كل كنيسة منها « ولكن عندي عليك قليل » .

هكذا نرى هنا : فمع أن نسل يعقوب كانوا شعباً قريبا من الله إلا أن الله أراد أن يعاقبهم « **بحسب طرقهم** » التي وجدوا فيها ، والأفعال الشريرة التي وجدوا مذنبين فيها . لأن الله يرى الخطية حتى وإن كانت في شعبه ، ويحاسبهم عليها .

ثالثا : وقد ذكر أفرايم ويهوذا بأبيهم يعقوب ، الذي كانوا هم نسله ، والذين حملوا اسمه ، وكان هذا شرفاً لهم ، ذكروا بالأعمال غير العادية التي عملها يعقوب ، والأعمال التي عملها الله معه ، وذلك لكي يزدادوا خجلا من انفسهم لانحطاطهم المزري وابتعادهم عن جد عظيم كهذا ، وتلويثهم مجد هذا الاسم العظيم . ومع ذلك ذكروا به لكي يفكروا و يتشجعوا على الرجوع إلى الله ، إله ابيهم يعقوب ، لعلهم يجدون منه رحمة من أجل خاطره . لقد دعا ذلك الشعب « يعقوب » ع ٢ مهدداً إياهم بالقصاص . لكن « كيف أنبذهم » ؟ كيف ينسى ذلك الاسم العظيم ؟

١ ــ لقد ذكر الشعب بثلاث نواح مجيدة عن يعقوب ، وشخص يعقوب لكن ذلك ذكر بالإيجاز فقط ، لأنه مفروض أنهم كانوا يعرفون كل شيء عن يعقوب .

(١) نزاعه مع عيسو في البطن « **في البطن قبض يعقوب أخيه** » ع ٣ . وهذه الرواية نجدها في (تك ٢٥ : ٢٦) . كان هذا عملا مبكراً من أعمال الشجاعة ، ومجهوداً للأسبقية . كان طمعاً مقدساً في البكورية ، في ذلك العهد الذي دمغ عيسو بعدل بأنه دنسه باحتقاره إياه .

لكن نسله الفاسد ، باختلاطه مع الأمم ، وعقد محالفات معها ، دنس ذلك التاج ، ووضع ذلك المجد في التراب ، ذلك المجد الذي كان قد حفظه لهم .

عندئذ أعطي إليه السلطان « الأكبر يستعبد للأصغر » . عندئذ اعترف الله بأنه حبيبه « أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » . لكنهم بسبب خطيتهم خسروا محبة الله ، والسلطان على جيرانهم .

(٢) مصارعته مع الملاك . أذكروا كيف أن أباكم يعقوب « **بقوته جاهد مع الله** » بالقوة التي أعطيت إليه هبة من الله . الذي لم يحاجه بكثرة قوته ، بل وضع فيه قوة (١) (أي ٢٣ : ٦) .

---

(١) « أبكثرة قوة يخاصمني . كلا . ولكنه كان ينتبه إلي » حسب ترجمة بيروت . « أبعظمة جبروته يحاجني . لا بل يعطف علي » حسب ترجمة اليسوعيين ، « أبعظمة قوته يحاجني . كلا ، ولكنه يضع فيّ قوة » حسب الترجمة الانكليزية .

قيل عن الملاك الذى صارع معه بأنه هو « الله » . ولذلك فالمفروض أنه هو « ابن الله » ، ملاك العهد .

كان الله يصارع مع يعقوب ، وفى نفس الوقت كان يعضده . فى الحالة الثانية كان الله يظهر قوة أعظم مما أظهره فى الحالة الأولى ، أى عندما كان يصارعه . فكأنه كان يصارع ضده بيده اليسرى ، و يصارع من أجله بيده اليمنى فيعطيه قوة أعظم .

لقد صارعت ضده أعمال العناية الإلهية عندما لقى خطر بعد خطر رجوعه إلى وطنه . أما نعمة الله فقد عضدته ليسير فى طريقه فرحا . وعندما تمسك إيمانه بالوعد الإلهى الذى بدد مخاوفه التى نشأتِ من أعمال العناية الإلهية التى صارعت ضده ، عندئذ « بقوته جاهد مع الله » .

لكن هذه تشير بصفة خاصة إلى صلاته للإنقاذ من عيسو ، ولطلب البركة . **« جاهد مع الملاك وغلب »** ذلك لأنه **« بكى واسترحمه »** .
هنا نجد مزيجاً من الشجاعة العظيمة والرقة العظيمة ، فا ن يعقوب صارع كبطل ، ومع ذلك بكى كطفل .

(ملاحظة) إن الصلوات والدموع هى الأسلحة التى بها حاز القديسون أعظم انتصار .

هكذا بدأ يعقوب بأن يكون اسرائيل « رئيساً مع الله » . ودعى نسله اسرائيل . لكنهم لم يستحقوا هذا الاسم ، لأنهم خسروا شركتهم مع الله ، ولذتهم فيه ، بالتمرد عليه ، وعدم إتمام واجبهم من نحوه .

(٣) التقاؤه بالله فى بيت ايل . الله « وجده فى بيت ايل . وهناك تكلم معنا » .
لقد وجده الله فى بيت ايل أولا عندما كان ذاهباً الى فدان ارام (تك ٢٨ : ١٠) . و وجده هناك مرة أخرى عند رجوعه (تك ٣٥ : ٩ ألخ) . والأرجح أن هذه العبارة تشير إلى المرتين . لأن الله فى كلتا المرتين تكلم مع يعقوب ، وجدد العهد معه .

وكان خليقاً جداً بهوشع النبى أن يقول « وهناك تكلم معنا » نحن نسل يعقوب ، لأن الله تكلم مع يعقوب ، فى كلتا المرتين ، فى بيت ايل ، عن نسله . « يكون نسلك كتراب الأرض » (تك ٢٨ : ١٤) ، «والأرض لك أعطيها ولنسلك من بعدك» (تك ٣٥ : ١٢) .

هكذا قطع الله عهد معه ومع نسله من بعده . ولقد و بخوا بعدل من أجل هذا . لأنه فى نفس المكان الذى دعاه يعقوب أبوهم « بيت ايل » أى « بيت الله » ، تذكاراً لشركته مع الله هناك وعبادته فيه ، أقاموا هم أحد العجلين وعبدوه . وهكذا حولوا « بيت ايل » إلى « بيت آون » أى « بيت الاثم » . هناك تكلم الله معهم ، وأعطاهم وعوداً عظيمة جداً وثمينة جدا . أما هم فاحتقروها وخسروا بركاتها .

٢ ــ وهنا يستخلص استنتاجان من هذه الروايات عن يعقوب ، وذلك لتعليم نسله .

(١) هنا يذكر النبي بعض الأنباء التاريخية لفائدتهم . مما جرى بين الله و يعقوب نتعلم بأن « **الرب إله الجنود يهوه اسمه**([١]) » هو « إله اسرائيل « . لقد كان هو « إله يعقوب » وهذا هو ذكره في كل أجيال نسل يعقوب ع ٥ . هذا ما يزيد في تخجيل الذين نسوا تذكارات كنيستهم ، وتركوا إله آبائهم ، وأبدلوا « رب الجنود » بالبعليم .

(ملاحظة) إن الذين يحسبون شعب الله هم فقط الذين يحفظون تذكار الله ، تذكاره الذي وضعه هو نفسه ، والذي يعلن عن ذاته ، و يريدنا به أن نذكره . هنا نجد تذكارين له ، بهما ميز ذاته عن كل الآلهة ، و ينبغي أن نعترف بهما ونوقرهما .

[١] التذكار الأول يدل على وجوده بذاته . « هويهوه » ، وتعني « أنا هو» . أو « أنا الكائن » ، أنا الذي كنت ، والكائن ، والذي سوف أكون . الأزلي ، الأبدي ، اللانهائي ، غير المتغير. يهوه « هذا ذكره » ، هذا اسمه الخاص .

[٢] التذكار الثاني يدل على سلطانه على الكل . فهو إله الجنود » . كل جنود السماء والأرض تحت إشارته وتحت امره ، وهو يستخدمها كما يشاء .

لقد رأى يعقوب « محنايم » أي جيشي الله ، قبيل الوقت الذي صارع فيه مع الملاك (تك ٣٢ : ١ و ٢) . وهكذا تعلم بأن يدعو الله « إله الجنود » . ونقل هذا إلينا كتذكار له . إن اسماء الله ، وألقابه وصفاته ، هي تذكاراته . ولا مبرر لعمل تماثيل له . وما أعلن عن الله لشخص واحد هو تذكاره للكثيرين ، لكل الأجيال .

(٢) وهنا يذكر بعض النصائح ع ٦ . هل كانت حقا ليعقوب أبيك هذه الشركة مع الرب إله الجنود ، وهل لا يزال هذا ذكره ؟ إذن :

[١] فعلى الذين ضلوا عن الله أن يرجعوا اليه « **وأنت فارجع إلى الهك** » . إن اله يعقوب هو إله اسرائيل ، « هو إلهك » . لقد تمردت وضللت عنه بغير عدل و بغير حق . لذلك فأرجع إليه بالتوبة والإيمان ، أرجع إليه على أساس انه إلهك . أحبه ، اطعمه ، ثق فيه واعتمد عليه .

---

(١) « الرب ذكره » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية وهامش ترجمة بيروت .

[٢] وعلى الذين رجعوا إليه أن يسلكوا معه « فى سيرة مقدسة وتقوى » (٢ بط ٣ : ١١) . « احفظ الرحمة والحق » الرحمة باغاثة وتعضيد الفقراء والحزانى والمتضايقين ، والحق باعطاء كل ذى حق حقه . كن رحيما بالجميع ، لا تسىء إلى احد . « عش بالبر والتقوى فى العالم الحاضر» (تى ٢ : ١٢) . كن تقيا وأميناً . لا تمارس هذه من وقت لآخر فقط ، بل مارسها بصفة مستمرة ، وبحرص ، و بضمير حى .

[٣] والذين يسلكون مع الله فليتشجعوا ليعيشوا حياة الاعتماد عليه « **وانتظر إلهك دائماً** » ، منتظراً بايمان أن تنال منه كل الامدادات والمعونة التى تحتاج إليها . ان الذين يحيون حياة التمثيل بالله يحيون حياة الثقة فيه والتعزية به . لكن عيوننا دائما نحو الرب (مز ٢٥ : ١٥) . ولتكن عقولنا هادئة ثابتة تحت حماية القدرة الإلهية ، وتأثير النعمة الإلهية ، ناظرين إلى الظروف الغامضة بدون جزع ، و بالإيمان حافظين أرواحنا رزينة هادئة . هذا هو انتظار الله ، على أساس أنه هو إلهنا فى العهد . وهذا ما يجب أن نفعله « دائماً » .

٧ مثل الكنعانى فى يده موازين الغش . يحب أن يظلم ٨ فقال افرايم إنى صرت غنياً . وجدت لنفسى ثروة . جميع اتعابى لا يجدون لى فيها ذنباً هو خطية ٩ وأنا الرب إلهك من أرض مصر حتى اسكنك الخيام كأيام الموسم ١٠ وكلمت الأنبياء وكثرت الرؤى و بيد الأنبياء مثلت أمثالا ١١ أنهم فى جلعاد قد صاروا إثماً بطلا لا غير. فى الجلجال ذبحوا ثيراناً . ومذابحهم كرجم فى إتلام الحقل .

١٢ وهرب يعقوب إلى صحراء آرام . وخدم اسرائيل لأجل امرأة . ولأجل امرأة رعى ١٣ وبنبى أصعد الرب اسرائيل من مصر و بنبى حفظ ١٤ أغاظة اسرائيل بمرارة فيترك دماءه عليه و يرد سيده عاره عليه .

فى هذه الآيات نجد مزيجاً من :

أولا : التوبيخات من أجل الخطية . عندما يخرج الله ليخاصم شعباً لكى يظهر بره فانه يظهر شرهم لقد دعى أفرايم للرجوع إلى الهه ، وليحفظ الرحمة والحق ع ٦ . والآن ، لكى يبين أنه كان فى حاجة إلى هذه الدعوة ، نراه يتهم بالتحول عن الهه بالعبادة الوثنية ، وكسر نواميس العدل والحق .

١ ــ هنا يتهم بالظلم ، « متعدياً وصايا اللوح الثانى (١) » ع ٧ و ٨ .

---

(١) « كتبت الوصايا العشر على لوحين ، الأربعة الأولى على لوح ، وهى المختصة بواجباتنا من نحو الله ، والستة الأخيرة على اللوح الثانى وهى المختصة بواجباتنا من نحو الآخرين » .

وهنا نلاحظ :

(١) ما هى الخطية التى اتهم بها . « **مثل الكنعانى** (٢) » ، لا يستحق الانتساب ليعقوب أو إسرائيل . بل يستحق أن يطرح خارجياً ــ بلعنة من هذه الأرض الصالحة ، كما حصل للكنعانيين . أنظر (عا ٩ : ٧) .

وكلمة « كنعان » تعنى بعض الأحيان « تاجراً » . ولذلك فان هذا المعنى هو المقصود هنا لأن افرايم اتهم بالغش فى التجارة . مع أن الله أعطى شعبه أرضاً تفيض لبناً وعسلا ، فانه لم يمنعهم بأن يعملوا لأنفسهم ثروة من التجارة . وهم قد خلفوا الكنعانيين فى التجارة ، وأيضاً فى الزراعة . ولذلك فانهم « رضعوا من فيض البحار وذخائر مطمورة فى الرمل » (تث ٣٣ : ١٩) .

ولو كانوا تجار أمناء لما كان فى ذلك أى عيب لهم على الإطلاق ،بل كان شرفاً و بركة . لكنه تاجر « مثل الكنعانين » الذين لم يكونوا أمناء إلا فى أن يكون مظهر بضاعتهم جميلا ، لكنهم كانوا يغشون كل مَن يتعاملون معهم إن أمكنهم . هذا ما يفعله أفرايم . فانه يغش ، وبهذا يظلم « **فى يده موازين غش . يحب أن يظلم** » .

(ملاحظة) هنالك ظلم بالغش كما يوجد ظلم بالعنف والقوة . ليس الملوك فقط والرؤساء هم الذين يظلمون رعاياهم ومرؤسيهم وخدمهم ، بل كثيراً ما كان التجار ظالمين لمن يتعاملون معهم ، عندما يستغلون جهلهم ، أو ضرورتهم و يتقاضون منهم أثماناً باهظة ، أو يستخدمون معهم العنف والقسوة عند استيفاء ديونهم . كان افرايم يغش .

[١] باستخدام الحيل والمكر « فى يده موازين الغش » . انه يستخدم الموازين ، و يسلم بضاعته بالموازين والمقاييس والمكاييل ، كأنه يريد أن يكون مدققاً جداً . لكنها موازين الغش ، سنج مزورة ، ومقاييس ومكاييل مزورة . وهكذا تحت ستار إجراء العدل يرتكب أشنع الظلم .

(ملاحظة) إن عين الله على التجار عندما يزنون بضائعهم و يدفعون أموالهم ، و يرى إن كانوا أمناء أو خونه . إنه يرى آية موازين فى أيديهم ، و يرى كيف يمسكونها . وإن كان عملاؤهم لا يتنبهون لخفة أيديهم التى بها يغشون فى موازينهم ، فان الله يراها ، و يعرفها . تصير التجارة بمهارة الإنسان أسراراً لكن مما يؤسف له إنها بخطية الإنسان تصير « سر الاثم » (٢ تس ٢ : ٧) .

(٢) « هو كنعان » حسب ترجمة اليسوعيين ، وكلمة « كنعان » معناها تاجر ، « هو تاجر » حسب الترجمة الانكليزية .

[٢] بقدر عظيم من اللذة والكبرياء « يحب أن يظلم » . الظلم شر عظيم ، أما محبة الظلم فهى شر أعظم . ضميره لم يصده عن الظلم ، ولم يوبخه من أجله ، كما كان ينبغى أن يكون وإن وبخه فانه لم يسر بالظلم حتى وإن كان قد ارتكبه . لكن فساده قوى جداً ، وقد قوى على ضميره ، حتى أنه لم يحب أرباح الظلم فقط ، بل « أحب أن يظلم » ، كان يخطىء محبة فى الخطية ، و يتلذذ بأنه لم يكتشفه أحد .

(٢) كيف برر نفسه فى هذه الخطية ع ٨ . يجد الأشرار ما يدافعون به عن أنفسهم عندما تكتشف أخطاؤهم ، فيقدمون هذه الحجة التافهة أو غيرها لكى يتفادوا التوبيخ . لقد اتهم افرايم بالغش . فانظر كيف أجاب عن هذه التهمة . إنه لم ينكرها ، ولم يدع بأنه برىء منها . ومع ذلك لم يعترف بها ولا طلب الصفح ، بل أصر على القول بأنه برىء . هب أنه استعمل « موازين الغش » فانه :

[١] يحتج بأنه قد كون ثروة طائلة . ليقل النبى ما شاء عن غشه ، عن خطية الغش وعن لعنة الله التى يستحقها الغش ، فانه لا يمكن أن يقتنع بأنه كان فيها أى ضرر أو خطر . هذا ما كان واثقاً منه ولذلك جمع ثروة طائلة . « **فقال افرايم إنى صرت غنياً . وجدت لنفسى ثروة** (١) » مهما تراه فيها فانى قد جمعت ثروة منه .

(ملاحظة) كثيراً ما ينظر أهل العالم إلى طرقهم الشريرة بنظرة صالحة عندما يتطلعون إلى رخائهم المادى ونجاحهم فى تلك الطرق . لكن هذا خطأ جسيم .

ان كل كلمة فيما افرايم هنا تعلن حماقته وغباوته .

أولا : انها حماقة أن يدعو ثروة هذا العالم مادة ، فانها أشياء لا وجود لها (أم ٢٣ : ٥) .

ثانياً : إنها حماقة أن يقول إنه هو الذى صنعها لنفسه ، « صرت غنياً » أو « أغنيت نفسى » . أن ما لدى من ثروة ، أو « مادة » ، يعزى إلى ذكائى وكدى . « قوتى وقدرة يدى اصطنعت لى هذه الثروة » (تث ٨ : ١٧) .

ثالثاً : إنها لحماقة أن نظن أن أموالنا هى لأنفسنا . « وجدت لنفسى ثروة » . كأننا قد حصلنا عليها من أجل استخدامها لمصلحتنا الشخصية ، مع أننا لسنا إلا وكلاء عليها .

---

(١) « مادة » حسب الترجمة الانكليزية .

رابعاً : إنها حماقة أن نظن بأن الثروة يصح الافتخار بها ، وأن نقول بفرح « إني صرت غنياً » . الثروة لا تشرف النفس ، ولا يختص بها أفضل الناس ، ولا هي مضمونة في أيدينا . ولذلك فلا يفتخرن الغني بثروته (يع ١ : ٩ و ١٠) .

خامساً : إنها حماقة أن تظن بأن ازدياد الثروة بالطرق الخاطئة يجعلنا بريئين ، أو آمنين ، أو مستريحين في تلك الطرق . فان نجاح الحمقى يخدعهم ويهلكهم . انظر (إش ٤٧ : ١٠ ، أم ١ : ٣٢) .

[٢] ويحتج بأنه قد احتفظ بسمعة طيبة . إن عادة الخطاة ، عندما يوبخهم خدام الله بعدل ، إن يلجأوا إلى جيرانهم . ولأن هؤلاء الجيران لا يرون فيهم شراً ، أو لا يقولون عنهم شيئاً ردياً ، أو يتوهمون أن ما يتهمهم به خدام الله لا أساس له من الصحة ، فانهم يهبون في وجه موبخيهم . لقد قال افرايم « **جميع أتعابي لا يجدون لي فيها ذنباً هو خطية** » .

(ملاحظة) يميل أهل العالم إلى أن يحسنوا الظن بأنفسهم بسبب السمعة الطيبة التي يتمتعون بها لدى جيرانهم .

كان افرايم مطمئناً :

أولا : لأن كل جيرانه يعرفون أنه مجتهد في عمله . كانوا يشخصون إلى « جميع أتعابه » ، ويمتدحونه من أجلها . « يمدحونك إذا أحسنت إلى نفسك » (مز ٤٩ : ١٨) .

ثانياً : لأن ليس أحد منهم يعرف أنه يعرف يغش في تجارته . لقد كان يتصرف بكل حرص حتى أن الجميع كانوا يشهدون بأنه نزيه .

(١) لأنه إما أن يكون قد أخفى الغش فلم يكتشفه أحد . مهما كان فيها من ذنب فانهم « لا يجدون لي فيها ذنباً » . كأنه لا يوجد ذنب يغضب الله ويهلك النفس ، إلا ما كان مكشوفاً أمام الناس وقبيحاً في نظرهم . ماذا يفيدنا إن كان الناس لا يجدون فينا ذنباً بينما يجد الله فينا ذنوباً كثيرة ، وسيأتي بكل عمل خفي إلى الدينونة ، حتى الغش الخفي .

(ب) أو أنه التمس المعاذير لنفسه في الغش فلم يدنه أحد . « لا يجدون لي فيها ذنباً هو خطية » . ليس فيها شر جسيم ، لا يوجد فيها إلا ما يمكن تبريره . هي مجرد خطايا تافهة ، لا تستحق التحدث عنها . ولذلك اعتقدوا بأن الله لن يلتفت إليها لأنهم هم أنفسهم لم يلتفتوا إليها . هذا شيء عادي ، هذا ما يعمله كل إنسان . بل هذا شيء جميل ، لأن من ورائه ربحاً جزيلا . وهذا في عرفهم ليس ذنباً هو خطية . لا أحد يسيء الظن فيهم من أجله .

لكن الله لا يرى كما يرى الإنسان ، ولا يحكم كما يحكم الإنسان .

٢ ــ وهو يتهم هنا بالعبادة الوثنية ، التي هي كسر لوصايا اللوح الأول من الوصايا العشر ، يتهم بذلك الاثم الذى هو بصفة خاصة باطل ، أى صناعة وعبادة التماثيل التى هى أباطيل ع ١١ : « **انهم فى جلعاد قد صاروا إثما بطلا لا غير** (١) » . يقيناً أنه باطل . إنه لا يفيد ، لكنه يخدع . وهنا يذكر النبى مكانين اشتهرا بالعبادة الوثنية :

(١) جلعاد ، وهى على الشاطىء الآخر من الأردن . وقد سبق أن دمغت فى (ص ٦ : ٨) بأنها « قرية فاعلى الإثم . مدوسة بالدم » .

« هل هنالك إثم فى جلعاد » ؟ هذا آمر غريب ، بل محزن . ما هذا ؟ إثم فى جلعاد ؟ عبادة وثنية فيها ؟ كانت جلعاد مدينة جميلة ، كثيرة الثمار ، تضرب بها الأمثال (إر ٢٢ : ٦) . وهل يليق بأن تكافىء الرب سوءاً هكذا ؟

لقد كانت واقعة على حدود المملكة ، ومعرضة لهجمات الأعداء . ولذلك كانت فى أشد الحاجة للحماية الإلهية ومع ذلك أيليق بأن تطوح بنفسها عن هذه الحماية ؟ هل هنالك اثم فى جلعاد » ؟ نعم .

(٢) وفى الجلجال أيضاً . « **فى الجلجال ذبحوا ثيرانا** » (ص ٩ : ١٥) . « **ومذابحهم** » هناك ، التى أقاموها إما للآلهة الغريبة ، تحديا لله نفسه ، أو لإله اسرائيل تحديا لمذبحه الذى حدده ، « **كرجم فى اتلام الحقل** » كأكداس من السماد فى اتلام الحقل الذى سوف يزرع (ص ٨ : ١١) .

« هل هنالك اثم فى جلعاد » فقط ؟ هل الشعب غارق فى الخرافات فى اطراف الأمة ، حيث يتاخم الأمم الأخرى ؟ كلا . فالحالة سيئة كما هى فى الجلجال فى جلعاد حفظ الله يعقوب اباهم (الذى كان يتكلم عنه) من ثورة غضب لابان . وهل ترتكبون أثماً هنالك ؟

ثانيا : وهنا نجد تهديدات بالغضب من أجل الخطية . « **أنا اسكنك الخيام كأيام الموسم** » ع ٩ و يقرأها البعض هكذا : « أنا أسكنك الخيام كأيام الوقت المعين » ، أى سأجعلك فى حالة كالتى كان فيها الاسرائيليون عندما سكنوا الخيام ، وتاهوا أربعين سنة كان هذا هو الوقت المعين فى البرية . لقد نسى أفرايم أن الله أخرجه من مصر ، وأتى به إلى الحالة التى كان

---

(١) « هل هنالك إثم فى جلعاد ؟ يقينا أنه باطل » حسب الترجمة الانكليزية .

فيها ، فأفتخر بثروته ، وسلك طرقاً خاطئة لينميها . ولذلك هدده الله بأن يسكنه الخيام ثانية ، ويجعله فى حالة فقيرة ، وضيقة ، مقفرة ، غير مستقرة .

(ملاحظة) عندما يحول الناس خيامهم إلى بيوت عن طريق الخطية فمن العدل أن يحول الله بقصاصاته بيوتهم مرة أخرى إلى خيام .

وعلى أى حال فهذا تهديد أكيد ع ١٤ « **إغاظة اسرائيل (١) بمرارة** » . انظر كيف ينخدع الناس فى تفكيرهم عن أنفسهم ، وكيف يزول الخداع وتنكشف لهم حقيقة أنفسهم يوماً ما . لقد توهم افرايم بأنه لم يرتكب إثماً يستحق أن يدعى خطية ع ٨ . أما الله فقد أخبره بأنه يوجد فيه ما هو خطية ، وسوف يدرك بانه خطية إن لم يتب و يصلح حياته .

١ ـــ لأنها كانت إساءة شديدة لله « اغاظة أفرايم بمرارة » بآثامه ، التى كانت كريهة جداً لله ، وسوف يكون له أيضاً « مرارة فى الأخير » (٢ صم ٢ : ٢٦) . لقد كان مصراً على أن يخطىء رغم علمه واقتناعه بأنه قد يراه أحد ، و يقول عنه أنه لم يقصد سوى إغاظة الله إلى أقصى حد .

٢ ـــ سوف تكون يقيناً مهلكة لنفسه . وهذا ما لابد أن يحل بمن يغيظ الله و يشعل نار غضبه .

(١) ولذلك فانه يأخذ الله حياته التى خسرها « **فيترك دماءه عليه** » . أى لا يبرئه ، بل يأتى عليه بالموت الذى هو أجرة الخطية . « دمه على رأسه » (٢ صم ١ : ١٦) لأن اثمه قد شهد عليه ، وهو وحده يتحمل التبعة .

(ملاحظة) عندما يهلك الخطاة يترك دمهم عليهم .

(٢) و يأخذ مجده الذى خسره « و يرد سيده عاره عليه » . إن الله هو « سيده » . أنه بعبادته الوثنية وخطاياه الأخرى قد جلب العار على ربه ، وعلى اسمه ، وعلى جماعته ، وأعطى الفرصة للآخرين ليعيروه . والآن « يرد سيده عاره عليه » وفق الكلمة التى نطق بها « الذين يحتقروننى يصغرون » (١ صم ٢ : ٣٠) .

---

(١) « افرايم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(مـلاحـظـة) إن الخـطـايا المـعيبة سوف تكون لها قصاصاتها المعيبة . إن كان افرايم قد ازدرى بألهه فسوف يصل إلى الحالة التى فيها يزدرى به كل جيرانه .

ثالـثـا : هـنـا نرى ذكر يات عن الرحمة السابقة وقد ذكرت هذه لتبكيتهم على جحودهم المزرى وتمردهم على الله . فليخجلوا عندما يذكرون .

١ ــ ان الله سبـق أن اقـامـهم من حالة وضيعة . عندما صار أفرايم غنياً ، وافتخر بغناه ، نـسـى مـا أمـرهـم الله أن يعترفوا به كل سنة « أرامياً تائهاً كان أبى » (تث ٢٦ : ٥) . لكن الله ذكره بهذا هنا لكى لا ينسى ع ١٢ .

ليـذكروا ليس فقط مجد أبيهم يعقوب ، وكيف كان مقتدراً مع الله ع ٣ و ٤ ، وهذا المجد لم يـكـن لهـم نـصـيـب فيه طالما كانوا متمردين على الله . بل ليذكروا كيف كان عبداً ذليلا عند لابـان . وهـذا كـان كـافـياً ليذل كبر ياء الذين افتخروا بثروتهم التى جمعوها . « **وهرب يعقوب إلـى صحـراء أرام** » . مـن أخـيـه الـذى كان يحقد عليه ، وهناك خدم خاله الجشع ، « **وخدم اسرائيل لأجل امرأة . ولأجل امرأة رعى .** » . لأنه لم تكن لديه ثروة ليقدم مهراً لخطيبته .

كـان يـعـقـوب فـقـيراً ، ووضيعاً ، وهار باً . ولهذا يجب أن لا يتكبر نسله . كان « انساناً بـسـيـطـاً (١) يـسـكـن الخيام » (تك ٢٥ : ٢٧) ، و يرعى الغنم . ولذلك لا تليق بهم روح الزهو والغرور .

لـقـد خـدم لأجل امرأه » لم تكن كنعانية ، كما كانت زوجات عيسو . ولذلك كان عاراً لهم أن ينحطوا و يتمثلوا بالكنعانيين ، ويختلطوا بالأمم . لقد حفظه الله بكيفية عجيبة فى هرو به ، وحـفـظه في خدمته ، حتى كثر بنوه . ومن ذلك الأصل ، فى أرض ناشفة ، نبتت أمة عظيمه حملت اسمـه ، الأمـر الـذى يـعـظـم صـلاح الله لـه ولهـم ، و يـتـركهم تحت لوثة الجحود المزرى ، وعدم الاعتراف بالجميل لذلك الإله الذى كونهم وأحسن إليهم .

٢ ــ وأن الله نجاهـم مـن حـالـة البؤس ورفعهم إلى الحالة التى هم فيها ، ليس فقط من الـفـقـر ، بـل أيضاً من العبودية ع ١٣ ، الأمر الذى يضعهم تحت التزام أقوى ليعبده ، وتحت جريمة أشنع إن عبدوا آلهة أخرى .

(١) « **أصـعـد الـرب اسـرائـيل من مصر** » بقصد أن يعبدوه . وإذ فداهم من العبودية كانوا ملتزمين بأن يعبدوه .

(١) « كاملا » حسب الترجمة الانكليزية وترجمة بيروت ، « سليماً » حسب ترجمة اليسوعيين .

(٢) « وحفظ » لقد حفظهم كما يحفظ الراعى خرافه . حفظهم من ثورة فرعون عند البحر الأحمر، وحفظهم من كل أخطار البرية ، وقدم إليهم كل حاجياتهم من الطعام والشراب .

(٣) وفعل هذا « بنبي » أي بموسى ، الذى وإن كان قد دُعى « فى يشورون ملكاً » (تث ٣٣ : ٥) ، إلا أنه فعل ما فعله لإسرائيل كنبى ، بارشاد من الله ، و بقوة كلمته . لم تكن علامة سلطانه صولجانا ملكيا ، « عصا الله » . بهذه كان يستدعى ضربات مصر، كما كان يستدعى بركات اسرائيل .

كان موسى كنبى رمزاً للمسيح (أع ٣ : ٢٢) ، و بالمسيح نتحرر من عبودية الخطية والشيطان بقوة حقه .

هذا يبين كيف كان ذلك الشعب تافهاً وجاحداً ، ناكراً للجميل .

[١] فى رفضهم لإلههم الذى أخرجهم من مصر. الأمر الذى ذكر بصفة خاصة كمقدمة للوصايا العشر وكمبرر للوصية الأولى ، لماذا يجب أن تكون آلهة اخرى أمامه .

[٢] فى احتقار واضطهاد أنبيائه ، الذين كان يجب أن يحبوهم و يقدروا قيمتهم ، كما كان يجب أن يحققوا غاية الله من إرساله إياهم ، من أجل خاطر ذلك النبى الذى أخرجهم من مصر بواسطته وحفظهم فى البرية .

(ملاحظة) إن البركات التى نلناها من كلمة الله تزيد شناعة خطيتنا وحماقتنا إن احتقرنا كلمة الله هذه .

٣ — وان الله عنى بتهذيبهم عندما كانوا يكبرون . فى ع ١٠ تجد هذا المظهر لصلاح الله معهم . كما أن الله بنبى أنقذهم هكذا ظل بأنبياء يكلمهم « **وكلمت الأنبياء** » . إن الإنسان الذى خلق من الأرض ينال طعامه من الأرض . وتلك الأمة التى نشأت بالنبوة ، أطعمت وعلمت بالنبوة . لقد وصلت الإعلانات الإلهية لتلك الأمة عن طريق الأنبياء ، مبتدئاً من موسى، فى كل تلك الأجيال .

(١) لقد كان لهم أنبياء أقيموا بينهم (عا ٢ : ١١) . وهكذا كانت لهم سلسلة متعاقبة من الأنبياء من موسى إلى ملاخى ، حتى انهم يندر أنهم كانوا بدون روح النبوة .

(٢) كان هؤلاء الأنبياء رائين ، لهم رؤى وأحلام يعلن الله لهم بها فكره فى الحال ، مؤكداً لهم تمام التأكيد بأن هذا هو فكره (عد ٢ : ٦) .

(٣) وهـذه الرؤى كثرت « **وكثرت الرؤى** » . لم يتكلم الله مرة أو مرتين ، بل مراراً . إن لم يبـالـوا بـرؤ يـا أرسـل إليهم أخرى . كان لدى الأنبياء رؤى متنوعة ، وكانوا يكررن الرؤ يا مراراً .

(٤) وتـكـلـم الله مـعـهم بالأنبياء « وكلمت الأنبياء (١) » ما كان يتقبله الأنبياء من الـرب كانوا يسلمونه إليهم بوضوح و بأمانة . عند جبل سينا توسل الشعب إلى الله أن يكلمهم عن طر يق أناس مثلهم . ففعل هكذا .

(٥) وعـنـدمـا كـان يـتـكلم معهم بالأنبياء كان يكلمهم بأمثال « و بيد الأنبياء مثلت أمـثـالا » لـكـي تكون رسائله لهم مفهومة ، وأكثر تأثيراً ، وأكثر رسوخاً في الذاكرة كثيراً ما كانت الـرؤى الـتـي رأوهـا أمـثـالا . وكـانـت أحاديثهم لهم مدعمة بالأمثال . وكما كلمهم الله بأنبيائه بأمثال هكذا كلمهم بابنه بأمثال « سأفتح بأمثال في » (مت ١٣ : ٣٤) .

(مـلاحـظـة) يحفظ الله سجلا عن العظات التي سمعناها ، سواء حفظنا نحن سجلا عنها أم لا . والـذيـن تـمـتـعـوا طو يلا بوسائط النعمة في طهارتها ، ووفرتها ، وقوتها وأعلن لهم الله مراراً وفيرة ، و باخلاص ، سوف يكون لديهم الكثير يقدمون عنه حساباً في يوم آخر ، وإذا ما أصروا عن السلوك في طر يق الإثم .

رابعا : هنا إشارات لرحمة أخرى . وهذه قد ذكرت في وسط الغضب ، وفي وسط الخطية ع ٩ « **وأنـا الـرب إلهـك مـن أرض مصر** » الـذي اتخـذتـك وقـتـئذ ، وهناك ، لتكون لي شعباً ، وأرتـضـيـت أن أكـون « إلهـك » مـنـذ ذلـك الـوقت ، في سلسلة متصلة من أعمال العناية الإلهية الرحيمة . ولازلت احتفظ لك بالعطف مهما كنت شر يراً .

« وأسـكـنـك الخـيام » لا كما كنت في البر ية ، بل « كأيام الموسم » عيد المظال الذي كان يمارس بفرح عظيم (لا ٢٣ : ٤٠) .

(١) سـيـرون ، بـنـعـمـة الله ، انهم وإن كانوا أغنياء ، ووجدوا ثروة (مادة) ، فانهم إنما يسكنون الخيام ، وليست لهم « مدينة باقية » مع توفر ثروتهم العالمية .

---

(١) « وتكلمت أيضاً بالأنبياء » حسب الترجمة الانكليز ية .

٢ ـــ لا يـزال مـبـرر لـكـى يـفـرحوا بالله ، ولديهم الفرصة لكى يفعلوا هذا فى احتفالات علنية . كان عيد المظال أول عيد مارسه اليهود بعد رجوعهم من بابل (عز ٣ : ٤)

[٣] كـان هـذا الـوعـد ــ كـبـاقـى الـوعود ـــ سوف يتم كاملا فى نعمة الإنجيل ، التى تهـيـىء مـسـاكـن (مـظـال) للـمـؤمـنين وهـم فـى طريقهم الى السماء ، وتقدم إليهم مادة للفرح المقدس ، الفرح فى الله ، كالذى كان يوجد فى عيد المظال (زك ١٤ : ١٨ و ١٩) .

الاصحاح الثالث عشر

لا يزال النبى فى هذا الأصحاح يضرب على نفس نغمة الأصحاحات السابقة ، ولو كانت مؤلمة . فالبشر لا يبالون بأن يسمعوا شيئاً عن خطيتهم ، أو عن الخطر الذى يتهددهم بسبب الخطية . ومع ذلك كان من الضرورى ، ومن الخير لهم ، أن يسمعوا كليهما ، ولم يكن ممكناً عن أن يسمعوا عن كليهما بأية طريقة أخرى أفضل من كلمة الله ومن خدامهم الأمناء ، وذلك إلى أن يتوبوا عن الخطية و يرفع الخطر. هنا نجد :

(١) توبيخ شعب اسرائيل وتهديدهم بسبب عبادتهم الوثنية ع ١ — ٤

(٢) توبيخهم وتهديدهم بسبب دعارتهم ، وكبريائهم ، و بذخهم ، وإساءة استعمالهم لثروتهم ونجاحهم ع ٥ — ٨

(٣) التنبؤ لهم بالهلاك المروع جداً القادم عليهم بسبب هذه الخطايا وكل خطاياهم الأخرى ع ١٢ و١٣ و١٥ و١٦

(٤) أما الذين كانوا لا يزالون يحتفظون باحترام الههم فقد شجعوا هنا بأن يرجوا ظهوره لاغاثتهم ولو خيب آمالهم ملوكهم ورؤساؤهم وكل معضديهم الآخرين ع ٩ — ١١ و١٤ .

١ لما تكلم افرايم برعدة ترفع فى اسرائيل . ولما أثم ببعل مات ٢ والآن يزدادون خطية و يصنعون لأنفسهم تماثيل مسبوكة من فضتهم أصناماً بحذاقتهم كلها عمل الصناع . عنها هم يقولون ذابحو الناس يقبلون العجول ٣ لذلك يكونون كسحاب الصبح وكالندى الماضى باكراً . كعصافة تخطف من البيدر وكدخان من الكوة .

٤ وأنا الرب إلهك من أرض مصر. وإلهاً سواى لست تعرف ولا مخلص غيرى .

كانت العبادة الوثنية هى الخطية التى أحاطت بالأمة اليهودية بسهولة حتى بعد السبى . لقد سقطت فيها العشرة الأسباط من البداية ، ولاسيا بعد أيام اخاب . وهذه هى الخطية التى يتهمون بها فى هذه الآيات . لاحظ هنا :

أولاً : الإحتياطات التى أعدها الله لمنعهم من السقوط فى العبادة الوثنية . هذه نراها فى ع ٤ . لقد فعل الله ما كان يليق فعله ليحفظهم قريبين منه . وماذا كان يمكن عمله أكثر من هذا ؟

١ — عرفهم بنفسه بأنه هو الرب إلههم « **انا هو الرب إلهك** » واتخذهم لنفسه شعباً بصفة خاصة . لقد أعلن لهم — سواء بكلمته أو بأعماله — فى كل المدة « **من أرض مصر** » هذه

الحقيقة قائلا « أنا هو الرب إلهك » . قال لهم هذا من السماء عند جبل سينا إنه هو الرب ، وإنه هو إلههم ، الذى أخرجهم « من أرض مصر » . واستمر يعلن لهم هذه الحقيقة ، و يبرهنها ، بأنبيائه ، و بأعمال عنايته .

٢ ــ وأعطاهم وصية بأن لا يعبدوا إلهاً آخر « **إلهاً سواى لست تعرف** » . لم يقل فقط لا تعترف بأى إله آخر ولا تعبده ، بل لا تكن لك صلة بأى إله ، ولا تمارس شعائر أو عادات الأمم التى أختلطت بها .

(ملاحظة) إنه جهل مبارك أن لا نعرف ما لا ينبغى أن نقترب منه فالذين « لم يعرفوا أعماق الشيطان » مدحهم الله (رؤ ٢ : ٢٤) .

٣ ــ وأعطاهم سبباً مقنعاً لهذا . « لا مخلص غيرى » . كل ما نتوقعه من إلهنا نجده فى مخلصنا ، فهو يهبنا السعادة هنا فى هذا العالم الآخر. وكما أنه حيثما وجدنا الحماية اصبحنا مدينين بالولاء ، هكذا حيثما وجدنا الخلاص ورجوناه اصبحنا مدينين بالعبادة .

ثانيا : الكرامة التى كانت لأفرايم لما حفظ نفسه من العبادة الوثنية ع ١ . « **لما تكلم أفرايم برعدة** (١) » أى لما سلك من نحو الله ــ كما سلك أبوه يعقوب ــ بالبكاء والتضرعات « بكى واسترحمه » (ص ١٢ : ٤) ولم يتكلم بكبرياء أو وقاحة ضد الله وأنبيائه ، لما كان يخاف الله خوفاً مقدساً ، و يعبده فى ذلك الخوف ــ حينئذ « ترفع فى اسرائيل » ، أى صار مقامه رفيعاً بين الأسباط ، و برزت مكانته . لقد ترفع يربعام هو وعائلته ، وقد كان من ذلك السبط .

« حين تكلم أفرايم ألقى الرعب » ، أى وقف كل الذين حوله فى رعب منه .

(ملاحظة) إن « الذين يتضعون (سيما أمام الله) يرتفعون » . عندما يتكلم الناس عن أنفسهم باحتشام وأدب ، عندما يتكلمون بتواضع عن أرائهم و بتعظيم عن اراء غيرهم ، عندئذ يرفعون أنفسهم ، و ينالون سمعة طيبة .

أما أفرايم فانه سرعان ما أضاع نفسه « **ولما أثم ببعل مات** » ، أى أضاع سمعته ، وتلاشت كرامته فى الحال ، ووضع فى التراب . وتعبر « بعل » هنا عن كل العبادات الوثنية . عندما ترك أفرايم الله ، وأنصرف الى عبادة التماثيل ، لقيت الدولة جرحها المميت ، ولم تعد تصلح لشىء فيما بعد .

(ملاحظة) إن ترك الله موت لأى شخص أو لأية جماعة .

---

(١) « حين تكلم أفرايم ألقى الرعب فى إسرائيل » حسب ترجمة اليسوعيين

ثالثا : النمو الأسيف للعبادة الوثنية . بينهم ع ٢ . « **والآن يزدادون خطية** » . عندما بدأ « يأثم ببعل » ازداد شراً وصار يزداد من سيء إلى اسوأ ، احب أوثاناً أكثر ، إزداد شغفاً بما عنده منها ، وازداد سخافة وسخرية في عبادتها .

(ملاحظة) إن طريق العبادة الوثنية ـ كطريق الخطايا الأخرى ـ سريع الانحدار ، ولا يستطيع الإنسان أن يتوقف فيه بسهولة . ومما يحزن جداً أن كل الذين تركوا الله يزدادون خطية أكثر فأكثر .

والآن لنتبع خطواتهم في ارتدادهم .

١ ـ «**صنعوا لأنفسهم تماثيل مسبوكة**» مفتخرين بأنهم يصنعون آلهة يسبكونها في أي شكل يريدون ولعل هذه كانت عجولا مصغرة كتماثيل أرطاميس الفضية (أع ١٩ : ٢٤) . ولعل المتحمسين لعبادة العجل كانوا يحملون معهم تماثيل للالهة التي يعبدونها ، « صنعوها لأنفسهم » خصيصاً .

٢ ـ وصنعوها « **من فضتهم** » ولذلك لم يشكوا في انها ملك لهم ، لأنهم اشتروها بأموالهم ، او صنعوها من فضتهم التي أذابوها لهذا الغرض . انظر مقدار النفقات التي تكبدوها في عبادة أصنامهم ، التي اكرموها بأحسن ما كانوا يمتلكون ، ولذلك صنعوا تماثيلهم المسبوكة من فضة .

٣ ـ وصنعوها « **بحذاقتهم** (١) » حسب تخيلهم . لقد تشاوروا فيما بينهم عن الشكل الذي يصنعون فيه صنمهم ، وعملوه بناء على هذه المشاورة ، إلهاً في أحسن شكل قرروه .

أو « على مثالهم » في شكل إنسان . وعندما عملوا أصنامهم اناساً مثلهم في الشكل جعلوا أنفسهم خشباً وحجارة مثلهم في الحقيقة . « مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها » (مز ١١٥ : ٨)

٤ ـ وكانت « **كلها عمل الصناع** » . لم تدع تماثيلهم بأنها هبطت من زفس (كوكب المشترى) كما أدعت أرطاميس (أع ١٩ : ٣٥) . كلا ، فلعل الصناع نقشوا اسمائهم عليها ، فثبت أن هذه الأصنام من « عمل الصناع » . أنظر (ص ٨ : ٦ ، إش ٤٤ : ٩ الخ) .

(١) « عل حسب فهمهم » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

٥ ــ ومع انها كانت صنعة أيديهم هكذا فقد كانت محبوبة نفوسهم لأنها قالوا عنها . **« عنها هم يقولون ذابحوا الناس يقبلون العجول (٢)** أما أن يكون المعنى هو أن الكهنة دعوا الشعب ليقدموا احترامهم ، أو أن الشعب ، الذين لم يكن مسموحاً لهم بالاقتراب منهم ، دعوا الناس الذابحين ، أى الكهنة الحاضرين نيابة عنهم ، لكى يقبلوا العجول باسمهم ونيابة عنهم ، لأنهم لم يكن ممكناً لهم الوصول إليها ليقبلوها . وهكذا كانوا مغرمين جداً بتقديم أعظم احترام لأصنامهم كهذه لأنهم تعلموا أن يحترموها .

مع أنها كانت عجولا ، إلا أنها طالما كانت الهة ، فان عابديها قدموا لها ــ سواء بانفسهم أو بواسطة وكلائهم ــ احترامهم . كانوا « يقبلون العجول » ، علامة على احترامهم ، ومحبتهم ، وولائهم لها . هكذا نحن أيضاً قد أمرنا بأن « نقبل الابن » (مز ٢ : ١٢) . وأن نقبله رباً وإلهاً .

رابعا : تهديدات بالغضب من أجل عبادتهم الوثنية . « الرب اسمه غيور . إله غيور هو» (خر ٣٤ : ١٤) ، ولا يعطى مجده لآخر» (إش ٤٢ : ٨) . ولذلك فان كل عابدى التماثيل يخزون ، سيما إذا كان افرايم هو الذى يفعل هكذا (مز ٩٧ : ٧) . ولأنهم مغرمون هكذا بتقبيل عجولهم لذلك يقنعهم الله بحماقتهم أقناعاً محسوساً ع ٣ . كانوا يمنون أنفسهم بقدر وفير من الأمن والراحة فى عبادة أوثانهم ، وأنهم بذلك يتوطد نجاحهم ورخائهم . أما الله فأخبرهم بأن آمالهم كلها ستخيب ، وبأنهم « يطردون بشرهم » (أم ١٤ : ٣٢) . هذا ما وضحه النبى بأربعة تشابيه .

١ ــ انهم « **يكونوا كسحاب الصبح** » الذى يبشر بنزول المطر على الأرض العطشة .

٢ ــ « **وكالندى الماضى باكراً** (١) » الذى يبدو كأنه عربون للمطر . « لكنه يمضى » و يزول ، و يتضح أن النهار جاف وحار كالمعتاد . هكذا الحال فى مظاهر تقواهم ، فانها سريعة الزوال (ص ٦ : ٤) . وهكذا خيبوا الآمال من جهة ما كان الله ينتظره منهم . ولذلك كان عدلا أن تفشل آمالهم فى النجاح ، وأن تخيب آمالهم فى أوثانهم . وهكذا تخيب آمال كل من يجعلون هذا العالم إلهاً لهم .

٣ ــ وهم « **كعصافة** » خفيفة تافهة و يطوح بهم « **كعصافة تخطف من البيدر** » « مز ١ : ٤ ، ٣٥ : ٥ ، أى ٢١ : ١٨) .

---

(٢) « و يقولون لهم ليقبل ذابحو الناس العجول » حسب ترجمة اليسوعيين ، و يقولون عنها يجب على الناس الذين يذبحون أن يقبلوا العجول » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) « كالندى الباكر الذاهب » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

٤ ـــ بل أنهم يكونون « **كدخان** » مؤذ ومزعج . أنظر (إش ٦٥ : ٥) ، و يطوح بهم « **كدخان من الكوة** (٢) » ، وسرعان ما ينقشعون ويختفون (مز ٦٨ : ٢) .

(ملاحظة) لا يمكن أن تنتظر تعزية قوية دائمة إلا في الله .

٥ أنا عرفتك في البرية في أرض العطش ٦ لما رعوا شبعوا . شبعوا وارتفعت قلوبهم . لذلك نسوني .

٧ فأكون لهم كأسد . أرصد على الطريق كنمر ٨ أصدمهم كدبة مثكل . وأشق شغاف قلبهم . وآكلهم هناك كلبوة . يمزقهم وحش البرية .

هنا نلاحظ :

١ ـــ الأطعمة الوفيرة التي قدمها الله لإسرائيل ، والامدادات التي باركهم بها في حينها ع ٥ « **أنا عرفتك في البرية** » أدركت حالتك ، وهيأت لك طعاماً ، حتى « في أرض العطش » عندما كنت في ضيقة شديدة ، وعندما لم يكن ممكناً أن تجد إمداداً بطريقة عادية . تأمل في وصف تلك البرية (تث ٨ : ١٥ ، إر ٢ : ٦) وقل : إن الله الذي عرفهم ، واعترف بهم ، وأطعمهم هناك كان صديقاً حقاً ، لأن « الصديق يعرف في وقت الضيق » . هو صديق يتوفر فيه كل الكفاية ، فقد استطاع أن يطعم جيشاً عظيماً كهذا ، انقطعت عنه كل الموارد الطبيعية ، وكان لابد أن يهلك كله لولا مجيء خبزه اليومي بمعجزة .

(ملاحظة) إن المساعدات التي تقدم وقت الضرورة تضع المرء تحت التزام خاص ، ويجب أن لا تنسى أبداً .

٢ ـــ جحودهم المزري وإساءة استعمالهم لمراحم الله . لم يعتن الله بهم فقط في البرية ، لكنه ملكهم كنعان ، تلك الأرض الجيدة ذات المراعي الفسيحة الدسمة ع ٦ « **لما رعوا شبعوا** » . لقد أعطاهم الله خيرات وفيرة ، وأطايب ، ولم يعوزهم شيء . لكن لأنهم ظلوا طويلا يعيشون على المن فقط فاتهم عندما دخلوا كنعان « **رعوا وشبعوا** » . ولم تكن هذه علامة طيبة . فقد كان ينظر إليهم نظرة أفضل لو أنهم كانوا أكثر اعتدالا في استعمال خيراتهم الوفيرة ، وتعلموا كيف ينكرون أنفسهم و يكبحون جماح أنفسهم .

وماذا كانت نتيجة ذلك ؟ « **شبعوا وارتفعت قلوبهم** » ترفههم وانهماكهم في شهواتهم جعلانهم متكبرين ، ووقحين ، وبليدين . وأحسن وصف لهم هو ما قاله موسى (تث ٣٢ : ١٣ ـــ ١٥) « سمن يشورون ورفس » . عند بشم الجسد بالخيرات ارتفعت النفس بالكبرياء .

(٢) « كالدخان من القمين » أو « المدخنة » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

عندئذ توهموا بأن ديانتهم أدنى من مستواهم ، ولم يستطيعوا أن يقنعوا أنفسهم بالتنازل إلى خدماتها . « الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب كل أفكاره أنه لا إله(١) » (مز ١٠ : ٤)

لما كانوا فقراء وضعفاء فى البرية رأوا أنه من الضرورى أن يسيروا مع الله . لكن لما شبعوا واستقروا فى كنعان بدأوا يفكرون بأنه لم تعد هنالك لهم حاجة إليه . « **ارتفعت قلوبهم . لذلك نسونى** » .

(ملاحظة) عندما تشبع الخيرات العالمية كبرياء الناس تجعلهم ينسون الله ، لأنهم لا يذكرونه الا عندما يكونون فى حاجة إليه .

عندما شبع اسرائيل فأى شيء أكثر يقدر أن يعمله لهم القدير؟ من أجل ذلك قالوا له « أبعد عنا » (أى ٢٢ : ١٧) . من المحزن جداً أن تلك المراحم ، التى كان يجب أن تجعلنا نفكر فى الله ، ونبحث عما يجب أن نرده إليه ، تجعلنا نفكر فيه ، ولا نبالى بما نفعله ضده . عندما نتمتع بالخيرات العامة العادية ينبغى أن نذكر بأنها آتية إلينا من الله ، حتى ولو لم تأتنا بمعجزة كما كانت تأتى لإسرائيل فى البرية .

٣ ــ استياء الله العادل من جحودهم الدنيء ع ٧ و٨ . تشير القصاصات التى هددوا بها ع ٣ إلى ارتحال كل خيرعنهم . أن التهديدات التى هددوا بها هنا تذهب إلى مدى أبعد ، وتشير إلى حلول كل الشرور عليهم . لأن الله الذى طالما تودد إليهم « تحول لهم الآن عدواً وحاربهم » (إش ٦٣ : ١٠) وقد عبر عن هذه الحقيقة هنا بكيفية مرعبة « أكون لهم كأسد .... وكنمر» . الأسد قوى لا يمكن مقاومته . أما النمر فقد لوحظ عنه هنا أنه مخادع و يقظ « **أرصد على الطريق كنمر(١)** » .

كما يكمن ذلك الوحش المفترس على الطريق ليصطاد المسافرين و يلتهمهم هكذا يسهر الله عليهم ــ بقصاصاته ــ للشر كما سهر عليهم للخير (إر ٤٤ : ٢٧) . لا تترك أية فرصة تعجل خرابهم وتزيده شناعة . « يكمن النمر حول مدنهم . كل من خرج منها يفترس . لأن ذنوبهم كثرت . تعاظمت معاصيهم » (إر ٥ : ٦) النمر مشهور بحدة النظر أكثر من كل الخليقة الأخرى . ولذلك فان هذه العبارة تشير إلى أن الذين يخاصمهم الله لا تسهر عليهم قوته فقط للضرر، بل أيضاً حكمته .

---

(١) « مثل نمر أرصدهم على طريق » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(١) « الشرير بحسب تشامخ وجهه لا يطلب الله . والله ليس فى كل افكاره » حسب الترجمة الانكليزية .

و يقرا البعض الجزء الأخير من هذه العبارة هكذا « أرصد على طريق أشور كنمر» . أن قصاصات الله تباغتهم حالما يذهبون إلى الأشوريين ليطلبوا حمايتهم ومساعدتهم .

ثم يضيف على هذه قائلا « **أصدمهم كدبة مثكل** » و بذلك تزداد وحشية وقسوة (٢ صم ١٧ : ٨ ، أم ٢٨ : ١٥) . وهذه تشير إلى شدة غيظ الله وإلى أنه سيشعرهم بهذا الغيظ « **وأشق شغاف قلوبهم** » .

مما يلاحظ أن الأسد يهجم على قلب فريسته ، وهكذا « **يأكلهم الله هناك كلبوة**[1] » . يرسل عليهم تلك القصاصات التى تفترس أرواحهم وتفنى أحشاءهم .

لقد ارتفعت قلوبهم ع ٦ ، لكن الله سوف يتخذ طريقة فعالة ليذلها « **يمزقهم وحش البرية** » . لا يكون الله لهم كأسد وكنمر فقط ، لكن الاستعارة تتم حرفياً لأن « الوحوش الرديئة » هى أحد الأحكام الرديئة الأربعة التى بها يهلك الله الشعب الأثيم (حز ١٤ : ١٥)

والآن كل هذا يعلمنا .

(١) عندما يساء إلى الصلاح يتحول إلى أشد قسوة . إن الذين يزدرون بالله ، و يسيئون إليه ، عندما يكون لهم مثل راع رقيق أمين ، يجدون أنه قد صار كوحش مفترس حتى لقطيعه . والذين « احتملهم الله بأناة كثيرة » ، ودعاهم عبثاً بمحبته الجزيلة للرجوع إليه « يظهر غضبه فيهم و يصيرهم آنية غضب مهيأة للهلاك » (رو ٩ : ٢٢) . يقول المثل اللاتينى : إذا أزدرى بالصبر تحول إلى غضب .

(٢) متى حلت قصاصات الله ــ بأمر منه ــ على الخطاة غير التائبين ، صارت مروعة جداً لا يمكن مقاومتها . إنها « تشق شغاف القلب » ، تملأ النفس اضطراباً ، وتمزقها إرباً إرباً ، ونحن نعجز عن مقاومتها ، كما يعجز الحمل عن مقاومة الأسد الزائر، لأنه « من يعرف قوة غضب الله » (مز ٩٠ : ١١) .

« فاذ قد علمنا مخافة الرب » ليتنا نقتنع بأن نصطلح معه ، لأننا لسنا أقوى منه (٢ كو ٥ : ١١) .

---

(١) « كأسد » حسب الترجمة الانكليزية .

٩ هلاكك يا إسرائيل أنك عليّ على عونك ١٠ فأين هو ملكك حتى يخلصك في جميع مدنك وقضاتك حيث قلت أعطني ملكاً ورؤساء ١١ أنا أعطيتك ملكاً بغضبي وأخذته بسخطي ١٢ إثم أفرايم مصرور. خطيته مكنوزة ١٣ مخاض الوالدة يأتي عليه . هو ابن غير حكيم إذ لم يقف في الوقت في مولد البنين .

١٤ من يد الهاوية أفديهم . من الموت أخلصهم . أين أوباؤك ياموت . اين شوكتك يا هاوية . تختفي الندامة عن عيني .

١٥ وإن كان مثمراً بين أخوة تأتي ريح شرقية ريح الرب طالعة من القفر فتجف عينه وييبس ينبوعه . هي تنهب كنز كل متاع شهي ١٦ تجازى السامرة لأنها قد تمردت على إلهها . بالسيف يسقطون . تحطم أطفالهم والحوامل تشق .

إن الآية الأولى من هذه الأعداد ع ٩ هي ملخص أو مضمون كل الآيات الأخرى . وفيها نجد :

١ ـــ ان كل تبعة هلاك اسرائيل واقعة عليهم « **هلاكك يا اسرائيل أنك عليّ على عونك** (١) » إن هلاكك منك

أو « لقد أهلكتك يا إسرائيل » ، أي لقد أهلكتك كل خطاياك وحماقتك التي سبق أن اتهمت بها . وكما أنه كثيراً ما وبخك وأدبك شرك (إر ٢ : ١٩) كذلك أهلكك الآن أخيراً .

(ملاحظة) إن الخطاة المصرين على خطاياهم يهلكون أنفسهم بأنفسهم . والاصرار على عدم التوبة هو أسوأ أنواع الانتحار . والذين « اهلكهم المهلك » (١ كو ١٠ : ١٠) . كان دمهم على رؤوسهم ، لأنهم هم الذين أهلكوا نفوسهم .

٢ ـــ وكل الجد في إنقاذ اسرائيل ينسب إلى الله . لكن معونتك فيّ » .

(١) أي كان من الممكن أن تجد في معونتك . كنت أريد أن اعينك وأن اشفيك ، لكنك لم ترد الشفاء ولا المعونة ، بل كنت مندفعاً نحو إهلاك نفسك . إن الذي يزيد شناعة هلاك الخطاة ليس فقط أنهم عملوا ما يؤدي إلى هلاكهم ، بل رفضوا عطايا الله التي قدمها إليهم ، وقاوموا الطرق التي اتخذها معهم لمنع ذلك الهلاك . « كم مرة أردت أن اجمع أولادك ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) . كان من الممكن مساعدتهم بسهولة وبطريقه فعالة ، لكنهم أبعدوا عنهم المساعدة .

(١) « هلاكك منك يا اسرائيل وإنما معونتك فيّ » حسب ترجمة اليسوعيين « يا اسرائيل انك قد أهلكت نفسك . لكن معونتك فيّ » حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) نعم قد تكون حالتك سيئة ، لكنها ليست ميئسة . « انك قد اهلكت نفسك » لكن تعال إلى فأعينك . هذا بمثابة لوح خشبى ألقى بعد تحطم السفينة . وهذا يعظم جداً ليس فقط قدرة الله ، لأنه يقدر ان يعين عندما تصل الأمور إلى أسوأ حالة ، يقدر أن يعين من لا يقدرون أن يعينوا أنفسهم ، بل يعظم أيضاً غنى نعمته ، فانه يريد أن يعين الذين أهلكوا أنفسهم وكان يحق بعدل أن يتركوا للهلاك ، و يعين الذين ظلوا طويلا يرفضون المعونة .

أو « يا اسرائيل هذا ما أهلكك أن عونك فىّ » . إن تعديك على الله وعلى مراحمه قد جرأك فى تلك الطرق الشريرة التى كانت سبب هلاكك .

أما فى باقى الآيات فاننا نرى :

أولا : كيف أهلك اسرائيل أنفسهم . قيل فى ع ١٦ عن السامرة إنها « **قد تمردت على إلهها** » خرجوا عن طاعتهم وولائهم له ، دخلوا فى محالفة مع اعدائه ، ثاروا عليه . وهذا ما أهلكهم . لأنه لم يقسى أحد نفسه على الله ونجح قط .

(ملاحظة) إن الذين يتمردون على إلههم يهلكون أنفسهم . لأنهم بذلك يحولونه لهم عدواً وهم لن يستطيعوا أن يقفوا أمامه .

١ — انهم « يذخرون لأنفسهم غضباً فى يوم الغضب » (رو ٢ : ٥) . وهكذا يهلكون أنفسهم . فى كل يوم يفعلون ما سيذكر ضدهم فى يوم آخرع ١٢ « **إثم أفرايم مصرور. خطيته مكنوزة** [١] » . لقد لاحظها الله ، وسجلها عليه . وسيبرزها ويحاسبه عليها فيما بعد . خطاياهم السابقة أدت إلى هلاكهم الحاضر، لأنها كانت « مكنوزة عند الله (تث ٣٢ : ٣٤ و ٣٥ ، أى ١٤ : ١٧) .

انها مكنوزة فى مكان أمين ، ولا يمكن أن تنسى ، ولا يمكن ان يفقد الدليل عليها . لكنها مكنوزة فى مكان سرى . هى مخبأة ، والخاطىء نفسه لا يراها . هى « مصرورة » فى ذاكرة الله الكلى ، العلم ، وفى ضمير الخاطىء نفسه .

(ملاحظة) لا يمكن أن تنسى خطية الخطاة إلا عندما تغفر. وهى محفوظة فى سجل دقيق سوف يفتح فى الوقت المناسب .

(١) « مخبأة » حسب الترجمة الانكليزية ، « مذخرة » حسب ترجمة اليسوعيين .

٢ ــ وهم لا يسرعون ليتوبوا و يساعدوا أنفسهم عندما يكونون تحت التأديبات الإلهية. إنهم يهلكون أنفسهم بأنفسهم لأنهم لا يفعلون ما يجب عمله نحو خلاصهم ع ١٣ .

(١) لقد جلبت عليهم الخطية التعب والضيق « **مخاض الوالدة يأتي عليه** » . سوف يتألمون بسبب الخطية ، فيشعرون بها . سوف يذوقون الأوجاع كالمخاض بسببها ، وتكون هذه الأوجاع قاسية جداً ومع ذلك فهي كمخاض الوالدة ، تكون مقترنة بالآمال ، وهى مقدمة للولادة . وبها يقصد لهم الله خيراً وإن كان يؤدبهم . انهم يؤدبون لكى لا يهلكوا .

(٢) وبهذه لايأتون ــ كما ينبغي أن يأتوا ــ للتوبة واصلاح الحياة ، اللذين يحولان حزنها إلى فرح حقيقي . « **هو ابن غير حكيم إذ لم يقف في الوقت في مولد البنين**(١) » « هو ابن غير حكيم لأنه ينبغي أن لا يبقى طويلا في مكان ولادة البنين » ، بل إذ قد حان وقت الولادة ينبغي أن يجاهد لكي يخرج من بطن أمه (مكان ولادة البنين) لئلا يختنق و يولد ميتاً . لو كان الطفل الذى تتمخض به أمه قادراً على إدراك موقفه لاعتبرناه غير حكيم إن فضل البقاء طويلا في الولادة ، فالأسير يود أن يطلق سراحه سريعاً لئلا يموت في الجب (إش ٥١ : ١٤) .

(ملاحظة) أن الذين يؤخرون و يرجئون التوبة ، التى بها وحدها يعينون أنفسهم ، يعتبرون بحق انهم يهلكون أنفسهم . والذين يؤخرون تجديد حياتهم ، ولا يريدون أن يسرعوا في إتمامه وانهائه ، يعرضون لخطر الفشل في تجديد حياتهم .

٣ ــ لذلك هلكوا لأنهم فعلوا ما يؤدى حتماً إلى هلاكهم ، وأهملوا ما كان يمكن أن يؤدى الى نجاتهم . هنا نرى وضعاً أليماً للهلاك الذى حكم به عليهم ع ١٥ و١٦ . من المسلم به هنا أن افرايم « **كان مثمراً بين أخوة** » . فاسمه يعني الإثمار. هو مثمر من جهة وفرة حاصلات بلاده ، وكثرة عدد سكانها . لقد كان سبطاً غنياً وكثير العدد ، كما تنبىء عنه . لكن الخطية حولت ذلك السبط المثمر إلى سبط مجدب .

كان يوسف « غصنا مثمراً » (تك ٤٩ : ٢٢) ، لكن الخطية لفحته فجف . وكان الأداة التى استخدمت « **ريحاً شرقية** » وهذه تمثل عدواً أجنبيا يغزوه .

وقد دعيت هذه الريح « **ريح الرب** » . ليس فقط لأنها تكون ريحاً عظيمة وقوية جداً ، بل لأن الرب هو الذى سيرسلها ، تأتى من الرب ، وتفعل ما عينه لها . وانظر إلى النتائج التى تفعلها في ذلك السبط النامي ، وإلى الخراب الذى تفعله الحرب .

(١) « إنه ابن غير حكيم فلا يثبت عند انحطام البنين » حسب ترجمة اليسوعيين ، « هو ابن غير حكيم لأنه ينبغي أن لا يبقى طويلا في مكان ولادة البنين » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) هل كان سبطاً غنياً ، سوف يجعله العدو الخارجي فقيراً جداً . « ريح الرب » سوف تأتي « طالعة من القفر » ريحاً باردة جداً لافحة « فتجف العيون وتيبس الينابيع » التى كانت تروى هذه الشجرة سوف تنضب مصادر ثروتها .

سوف يخرب الغازى المملكة ، وهكذا يفقر الفلاح . سوف يعرقل التجارة ، وهكذا يفقر التاجر . وعلى العظماء الذين تنحصر ثروتهم فى اثاثاتهم الفخمة أن لا يتوهموا بأنهم سوف يعفون من هذا القصاص ، فانه سوف « **ينهب كل متاع شهى**(١) » .

انظر الى حماقة الذين يكنزون كنوزهم على الأرض ، الذين يضعونها فى أوان شهية ، يحصرون فيها كل محبتهم ، و يؤملون أن يجدوا فيها عزاءهم وراحتهم .

هذا كنز يمكن أن ينهب ، ويمكن أن يسلبونهم إياه . هو كنز تأكله العث و يفسده الصدأ ، أو ينهبه اللصوص والجنود . لكن حكيم وسعيد هو الذى يكنز كنزه فى السماء ، وفى أوانيها الشهية ، التى لا يمكن أن تفسد ، والتى لا يمكن أن يجردوا منها . هو سعيد إلى الأبد ، ولذلك فهو حكيم .

(٢) وهل كان سبطاً عامراً بالسكان ، وفير العدد ؟ سوف يقرض العدو سكانه فيصير قليل العدد . « **تجازى السامرة**(١) » ، تصير مقفرة بلا سكان .

[١] يقطع حراس وفرح الجيل الحاضر حاملو الأسلحة سوف يحملونها عبثاً لأنهم « بالسيف يسقطون » ، ولا يوجد من يقف أمام العدو ، أو من يهتم بشئون المصلحة العامة أو الخاصة .

[٢] يقطع الذين هم نسل ورجاء الجيل القادم ، الذين يجب أن يقوموا مكان من سقطوا بالسيف . يجب أن تستأصل كل الأمة ، ولذلك « **تحطم أطفالهم** » بأكثر الطرق قسوة ووحشية .

والأفظع من ذلك أن « **الحوامل تشق** » . وهكذا تطير كرامة السامرة من الولادة ومن البطن ومن الحبل » (ص ٩ : ١١ ، ١٠ : ١٤) . أنظر بعض أمثلة عن تلك القسوة (٢ مل ٨ : ١٢ ، ١٥ : ١٦ ، عا ١ : ١٣) .

---

(١) « وتنهب كنز كل إناء شهى » حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية .

(١) « لينتقم من السامرة » حسب ترجمة اليسوعيين ، « تصير السامرة مقفرة » حسب الترجمة الانكليزية .

ثانيا : ولننظر الآن كيف كان الله عوناً لذلك الشعب المهلك لنفسه ، وكيف كان عونهم الوحيد ع ١٠ « اين هو ملكك(٢) » « أنا هو ملك » لأحكم عليك وأخلصك . بالرغم من انهم رفضوا أن يكونوا رعية له ، وتمردوا عليه ، إلا انه مع ذلك أراد أن يكون ملكهم ، وأبى أن يتركهم . إن مهمة وعمل الملك الصالح أن يحفظ شعبه ، ليس من أن يهلكهم العدو الأجنبى ، بل أيضاً من أن يهلكوا أنفسهم ويهلكوا بعضهم البعض . هكذا كان الله لا يزال يريد أن يكون ملك اسرائيل ، كما كان لهم « ملكاً منذ القدم » (مز ٧٤ : ١٢) .

(ملاحظة) لو لم يكن الله لنا أفضل مما نحن لأنفسنا لساءت حالتنا فعلا .

١ — يكون لهم ملك عندما لا يكون ملك آخر . انه يحميهم ويخلصهم عندما يقطع أولئك الذين كان يجب أن يدافعوا عنهم ويخلصوهم . أنا اعينك « **اين هو ملك حتى يخلصك فى جميع مدنك** » حتى يدخل ويخرج أمامك ، ويحارب حروبك ، عندما يغزو عدو أجنبى مدنك ، و يقضى على الخصومات الأكثر خطراً بين مواطنيك .

اين « قضاتك » الذين يجب أن يحفظوا السلام العام باجراء العدل العام ؟ لأن البر والسلام يتلاثمان . أين هم قضاتك الذين تاقت نفسك إليهم وإلى الاعتماد عليهم « **حيث قلت أعطنى ملكاً ورؤساء** » ؟ هذه تشير :

(١) إلى الرغبة الشريرة الحمقاء التى أبدتها كل الأمة ليكون لها ملك إذ تعبت من ملك الله نفسه عليهم ، الأمر الذى كانوا يتمتعون به مدة القضاة ، ذلك لأنهم رأوا أن هذه حالة حقيرة بالنسبة إليهم . لقد رفضوا صموئيل ، و برفضه رفضوا الرب ، عندما قالوا « أعطنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب » (١ صم ٨ : ٥) مع أن الرب كان ملكهم .

(٢) إلى الرغبة التى أبدتها العشرة أسباط طالبين ملكاً غير بيت داود ، لأنهم رأوا أن ذلك البيت قاس عليهم جداً ، وكانوا يرجون أن يحسنوا حالهم باقامة يربعام عليهم ملكا .

كانت هاتان الرغبتان على مظهرين .

(٢) « أنا أكون ملكك » حسب الترجمة الانكليزية ،

[١] لعدم تبصر البشر فى إدارة أمورهم . عندما يتعبون من نصيبهم الحالى يتوقون إلى الجديد ، و يظنون أن يحسنوا حالتهم بالتغيير. لكنهم عادة يفشلون ، ولا يجدون فى التغيير تلك الفائدة التى كانوا يمنون أنفسهم بها .

[٢] لعدم تقوى البشر من نحو الله ، إذ يظنون أن يعدلوا و يبدلوا ما رتبه الله . لقد أعطى الله اسرائيل قضاة وأنبياء لإرشادهم . أما هم فقد ملوا منهم وقالوا « أعطنا ملكا ورؤساء » . فأعطاهم الله بيت داود ، ووطده بعهد الملكية . لكنهم سرعان ما ملوا من هذا أيضاً ، وصرخوا قائلين « أى قسم لنا فى داود . ولا نصيب لنا فى ابن يسى » (١ مل ١٢ : ١٦) .

(ملاحظة) إن الذين لا يرتضون بما يرتبه الله لهم ، ظانين انهم يقدرون أن يرتبوا لأنفسهم ترتيباً أفضل ، انما يهلكون أنفسهم .

وعلى أى حال فان العناية الإلهية فى كلتا الحالتين أرضت هواهم وأعطتهم شاول أولا ، و يربعام ثانياً . وهل انصلح حالهم بهذا ؟ لقد اعطى فى « رعود ومطر» بغضب (١ صم ١٢ : ١٧ و ١٨) ، وسرعان ما أخذ بسخط على جبل جلبوع . « **أنا اعطيتك ملكا بغضبى وأخذته بسخطى** » .

وأعطى الملك للعشرة أسباط بغضب ليس فقط على سليمان بسبب تقصيره ، بل أيضاً على العشرة الأسباط الذين اشتهوا هذا بسبب عدم رضائهم على بيت داود وعدم محبتهم له . و بعد ذلك أراد الله أن يأخذ الملكية بغضب بقوة ملك أشور.

إذن « فأين هو ملكك » ؟ لقد ذهب ، وأنت « ستقعد أياماً كثيرة بلا ملك و بلا رئيس » (ص ٣ : ٤) ، سوف لا تجد من يخلصك أو يحكمك .

(ملاحظات) ـــ (الأولى) كثيراً ما أعطى الله بغضب ما نشتهيه بشهواتنا الخاطئة الفاسدة ، يعطيه بلعنة ، و باللعنة يسلمنا لشهوات قلوبنا هكذا أعطى إسرائيل السلوى .

(الثانية) وما نشتهيه بشهواتنا الفاسدة يخيب رجاءنا عادة ، ولا يمكن أن يخلصنا كما كنا نتوقع

(الثالثة) وما يعطيه الله بغضب يأخذه بسخط . ما يعطيه لأننا لم نحسن طلبه يأخذه لأننا لم نحسن استخدامه . انها لسعادة القديسين انه أعطى الله ام أخذ ، فانه بالمحبة يفعل ، و بالمحبة يقدم لهم مادة للشكر والتسبيح . « كل شيء طاهر للطاهرين » (تى ١ : ١٥) . وانها لشقاوة للأشرار انه ان أعطى الله أم أخذ فانه بغضب يفعل ، ولا شيء لديهم طاهر، لا شيء مريح .

٢ ــ سيفعل الله لهم مالا يستطيعه أى ملك لو كان لهم ملك ع ١٤ **« من يد الهاوية أفديهم »** . إن كان اسرائيل حسب الجسد يترك للهلاك فقد حفظ الله رحمة لإسرائيله الروحى ، الذين تتم فيه كل مواعيده . وهذا ــ كغيره ــ ما يطبقه عليهم الرسول بولس (١ كو١٥ : ٥٥) ، سيما قيامة الأموات المباركة التى سوف تكون للمؤمنين فى اليوم العظيم ، وقيامتهم الروحية من موت الخطية إلى حياة مقدسة ، سماوية ، روحية ، إلهية . لقد وعد هنا :

(١) أن الأسرى يطلق سراحهم « من يد الهاوية أفديهم » . ستكون نجاتهم بفدية . ونحن نعلم من هو الذى دفع الفدية ، وماذا كانت هذه الفدية ، فانها كانت ابن الإنسان الذى « بذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٨) . هو الذى فداهم . إن الذين بالتوبة والإيمان يبرأون ــ من أجل المسيح ــ من اثم الخطية ، ويخلصون من الموت وجهنم ، اللذين هما أجرة الخطية ، هم « مفديو الرب » ، الذين سوف يخرجون ــ فى اليوم العظيم ــ من القبر بانتصار ، وسيكون من المستحيل أن تمسك بهم ربط الموت كما لم تمسك بسيدهم .

(٢) ان العدو الغالب سوف يباد **« اين اوباؤك ياموت**(١) **»** . كان يسوع المسيح هو وبأ وهلاك الموت والقبر عندما « أباد الموت ذاك الذى له سلطان الموت » (عب ٢ : ١٤) ، وعندما انتصر على الهاوية بقيامته .

لكن ابادة الموت والقبر التامة سوف تتم بقيامة المؤمنين فى اليوم العظيم عندما » يبتلع الموت إلى غلبة » للأبد (١ كو١٥ : ٥٤) ، ويكون هو آخر عدو يبطل (١ كو١٥ : ٢٦) .

« اين أوباؤك ياموت » . ولذلك يقتبس الرسول هذه الآية ويقول « أين شوكتك ياموت » ، التى بها أزعجت العالم طويلا ؟

اين شوكتك ياهاوية (١) » أو « أين غلبتك يا هاوية » حسب تعبير الرسول بولس (١ كو١٥ : ٥٥) أين هلاكك الذى به أهلكت البشرية ؟ لقد أبطل المسيح الموت ، وكسر شوكته ونقل ملكيته . وهكذا مكننا من أن ننتصر عليه .

لقد أعطى الله هذا الوعد ، وسيبقى قائماً لكل الذين هم له . لأن **« الندامة تختفى عن عينيه**(٢) **»** . لن ينقض هذا الحكم الذى نطق به على الموت والهاوية ، لأنه ليس إنساناً فيندم (عد٢٣ : ١٩) . إذن فشكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح » (١ كو١٥ : ٥٧) .

---

(١) « وأكون هلاكك أيها الموت » حسب ترجمة اليسوعيين ، « وأكون أوباءك ياموت » حسب الترجمة الانكليزية وهامش ترجمة بيروت .

(١) « وأكون استئصالك أيتها الجحيم » حسب ترجمة اليسوعيين ، « اين هلاكك أيها القبر» حسب الترجمة الانكليزية .

(٢) «ان التعزية تخفى عن عينى » حسب ترجمة اليسوعيين .

الأصحاح الرابع عشر

تختلف نغمة هذا الأصحاح عن نغمة الأصحاحات السابقة . فتلك كانت تتضمن بصفة عامة توبيخات من أجل الخطية وتهديدات بالغضب . أما هذا فيتضمن نصائح للتوبة ومواعيد بالرحمة . وبهذه يختم النبى نبوته . لأن كل التوبيخات والتهديدات التى نطق بها قصد بها أن تمهد لهذه النصائح والمواعيد فهو يجرح لكى يشفى . والروح القدس يبكت لكى يعزى . هذا الأصحاح درس للتائبين . وفيه نرى :

(١) ارشادات للتوبة . ماذا يفعل التائب وماذا يقول ع ١ — ٣ .

(٢) تشجيعات على التوبة . وهى مستمدة من استعداد الله لقبول الخطاة الراجعين إليه ع ٤ و٨ والتعزيات التى اذخرها لهم ع ٥ — ٧

(٣) حثاً على التفكير الجدى فى هذه الأمور ع ٩ .

١ ارجع يا اسرائيل إلى إلهك لأنك قد تعثرت بإثمك ٢ خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب . قولوا له إرفع كل إثم واقبل حسناً فنقدم عجول شفاهنا ٣ لا يخلصنا أشور. لا نركب على الخيل ولا نقول أيضاً لعمل أيدينا آلهتنا . إنه بك يرحم اليتيم .

فى هذه الآيات نجد :

أولا : دعوة رحيمة مقدسة للخطاة ليتوبوا ع ١ . وهى موجهة لإسرائيل ، شعب الله . وقد دعوا للرجوع « إرجع يااسرائيل » .

(ملاحظة) ينبغى الكرازة بتجديد الحياة حتى للذين هم فى حظيرة الكنيسة ، كما يكرز بها للأمم . انت اسرائيل ، ولذلك فانك مرتبط بالهك لتقوم بواجبك من نحوه ، وتعترف بجميله . وأن تمردك عليه لمن أقبح الأمور، ورجوعك إليه من الزم الأمور. فليتأمل اسرائيل .

١ — فيما ارتكبه ليتوب عنه « قد تعثرت[١] باثمك » . كانت أوثانه صخرة عثرة . لقد سقطت فى الخطية فابتعدت عن الله ، وعن كل خير، وسقطت تحت ثقل الاثم واللعنة .

(١) « سقطت » حسب الترجمة الانكليزية

(ملاحظة) الخطية عثرة وسقوط . وعلى الذين سقطوا بالخطية أن يقوموا بالتوبة .

٢ ــ فيما يجب عمله فى التوبة . « إرجع إلى الرب الهك » . ارجع اليه كالرب الذى كنت تعتمد عليه ، وكالهك فى العهد ، الذى تتوقف عليه مصالحك .

(ملاحظة) من أهم الواجبات على من تمردو على الله أن يرجعوا إليه و يعملوا « اعمالهم الأولى » إرجع إلى من سقطت عنه ، الذى يستطيع وحده أن يقيمك .

« إرجع إلى الرب » ، لا تتطلع إليه فقط ، أو تتخذ بضع خطوات نحوه ، بل جد فى المسير إليه . كان عند قدماء اليهود قول مأثور مؤسس على هذه الآية هو « التوبة أمر عظيم لأنها ترفع البشر إلى عرش المجد » .

ثانيا : وأعطيت إليهم تعليمات ضرورية عن كيف يتوبون :

١ ــ ينبغى أن يفكروا فيما يجب أن يقولوه لله عندما يأتون إليه . « **خذوا معكم كلاماً** » ليس مطلوباً منهم أن يقدموا ذبائح وتقدمات ، بل صلوات وتضرعات تدور حول التوبة ، « ثمر شفاههم » (عب ١٣ : ١٥) . وليس ثمر الشفاه فقط ، بل ثمر القلب . وإلا صار الكلام فى مهب الريح .

قال أحد علماء اليهود . « ينبغى أن يكون هذا الكلام صادراً عما قيل أولا فى الإنسان الباطن . يجب أن يكون اللسان ترجمان القلب . ينبغى أن نأخذ معنا كلاماً صالحاً بأن نأخذ معنا أفكاراً صالحة وعواطف صالحة .

و يقول المثل اللاتينى « إن من يجيد أمراً إجادة تامة لا يعدم أن يجد كلاماً يتحدث عنه » .

(ملاحظة) عندما نأتى إلى الله ينبغى أن نفكر فيما يجب أن نقوله له لأننا إن تقدمنا إليه بلا طلب معين انصرفنا من أمامه بلا إجابة . « ماذا نقول » ؟ (عز ٩ : ١٠) ينبغى أن نأخذ معنا كلاماً من الكتاب المقدس ، نأخذه من روح النعمة والتضرعات ، الذى يعلمنا أن نصرخ يا أبا الآب ، و يشفع فينا .

٢ ــ و ينبغى أن يفكروا فيما يجب أن يعملوه . يجب أن لا يأخذوا معهم كلاماً فقط ، بل يجب أن يرجعوا إلى الرب . « خذوا معكم كلاماً . **وارجعوا إلى الرب** » ، بقلوبهم فى الداخل ، وبحياتهم فى الخارج .

ثالثا : ومساعدة لهم وتشجيعاً فى هذه الناحية يسر الله بأن يضع كلاماً فى أفواههم

ليعلمهم ماذا يجب أن يقولوه . يقيناً أننا يجب أن نرجو مجد نعمة فى عينى الله إن كان هو بنفسه قد أعد كلامنا ، وإن كان روحه القدوس يمليه علينا . ولا شك أننا ننجح إن كانت أعمال نفوسنا تتفق مع الكلام المقدم هنا . وهو:

١ ــ كلمات تضرعات هنا يوجهنا إلى أمرين نطلبها .

(١) أن نتبرر من الإثم . عندما نرجع إلى الرب أن نقول له « **إرفع كل إثم** » . كانوا وقتئذ يتألمون من جراء الخطية ، يئنون تحت ثقل النكبات . لكنهم أمروا بأن يطلبوا ، لا كما طلب فرعون قائلا إرفع هذا الموت عنا ، بل أرفع هذه الخطية .

(ملاحظة) عندما تحل علينا المصائب ينبغى أن يكون اهتمامنا بغفران الخطية أكثر من اهتمامنا برفع المصائب .

« إرفع كل اثم » إرفعه كثقل يكاد يغرقنا ، أو كصخرة عثرة طالما تعثرنا بها . إرفعه يارب لكى لا يظهر ثانياً لإزعاجنا وهلاكنا . إرفعه بغفران كامل مجانى ، لأننا لا يمكن أن ندعى رفعه بأى استحقاق فينا .

(ملاحظة) عندما يغفر الله الخطية يغفر « كل » خطية « كل ذلك الدين تركته لك » (مت ١٨ : ٣٢) ، وعندما نطلب مغفرة الخطية ينبغى أن نطلب مغفرة كل الخطايا ، دون استثناء خطية واحدة .

(٢) أن نقبل كأبرار فى نظر الله . « **واقبل حسناً**[١] » . هبنا أن ننال رضاك ومحبتك ، وانظر إلينا وإلى أعمالنا . إقبل صلواتنا بتحننك . ليتك تسر بذلك الخير الذى نستطيع أن نعمله بنعمتك .

« خذ الخير» (حسب الترجمة الحرفية) . خذه لتمنحنا إياه

« امنح خيراً » هذه تتبع الطلبة « ارفع كل اثم » . لأنه إن لم يرفع الاثم فليس لنا أى مبرر لننتظر أى خير من الله . أما انتزع الإثم فانه يمهد الطريق لمنح الخير، أى بعد إزالة الموانع من الطريق .

(١) « واقبل الخير» حسب ترجمة اليسوعيين ، « واقبلنا بتحننك » حسب الترجمة الانكليزية .

« امنـح خيـراً » وهم لا يحددون أى نوع من الخير، لكنهم يتركون الأمر لله . ليس الخير الذى يظهره العالم (مز ٤ : ٦) ، بل الخير الذى يمنحه الله .

« امنح الخير» الذى خسرناه ، والذى وعدت به ، والذى تستدعيه ضرورة حالتنا .

(مـلاحـظـة) عـنـدمـا نـرجع إلى الله يجب ان نرغب رغبة حارة ونصلى لكى يتحنن الله و يقبلنا ويمنحنا ثمار ذلك القبول المباركة وعلاماته .

« امنح الخير» الذى يجعلنا صالحين ، ويحفظنا من الرجوع ثانية للاثم

٢ ــ كـلمات وعود وتعهدات هذه أيضاً توضع فى أفواههم . لا لتحرك الله ، او لتلزمه بأن يرحمهم ، بل لتحركهم هم أنفسهم ، وتلزمهم بالرجوع لتأدية واجباتهم من نحوه .

(مـلاحـظـة) يجب أن تـكـون صلواتنا لطلب الغفران والقبول أمام الله مصحوبة بمقاصد مخلصة وتعهدات لتجديد الطاعة .

وقد طلب منهم هنا أمران يعدان و يتعهدان بهما .

(١) الـشـكـر . اغـفر لنا خطايانا ، واقبلنا « **فنقدم عجول (١) شفاهنا** » وهى كلمة تـسـتـخـدم للـتـعـبير عن المحرقات وتتفق مع النص العبرى . وقد اقتبس الرسول بولس هذه العبارة وفسر ذبيحة التسبيح بثمر شفاه معترفة باسمه (عب ١٣ : ١٥) .

(مـلاحـظـة) ان الـتـسـبيح والشكر هما ذبائحنا الروحية ، وإذا ما صدرا من قلب مستقيم صـارا « مقبولين عند الرب أكثر من ثور بقر» (مز ٦٩ : ٣٠ و٣١) والشعور بالغفران والقبول أمام الله يـوسـع قـلـوبنا فى التسبيح والشكر. والذين قبلوا حسناً يقدمون ، بل يجب أن يقدموا ، عجول شـفـاهـهـم . ومـا أتـفه ما يردونه ازاء غنى ما يقبلونه . ومع ذلك فانها ان كانت باخلاص صارت مقبولة أكثر من « عجول الصيرة » (ملا ٤ : ٢ ، إر ٤٦ : ٢١) .

(٢) اصـلاح الحـيـاة . لـقـد طلب منهم ليس فقط اعترافاً شفوياً ، بل اصلاح حقيقى . وهنا نتعلم .

---

(١) « ثمر» حسب الترجمة السبعينية .

[١] فى رجوعنا إلى الله ينبغى أن نتعهد بترك الخطية . لا يمكن أن نتوقع أن يرفعها بمغفرتها أن كنا لا ننبذها بتركها .

[٢] ان تخصص ما نريد ان نتعهد به ، ونعتزم عمله من جهة الخطية ، كما ينبغى أن نخصص الخطية التى نعترف بها . لأن التعميم معناه الخداع .

[٣] ان نتعهد ، بصفة خاصة ، و بصراحة ، بترك تلك الخطايا التى نحن خاضعون لها جداً ، والمحيطة بنا بأكثر سهولة ، والتى طالما تغلبت علينا . يجب أن نتحفظ من اثمنا ونحصن أنفسنا ضده (مز ١٨ : ٢٣) . كانت الخطية التى طلب منهم هنا التعهد بتركها ، والتى اعترفوا انهم ارتكبوها ، هى اعطاء المجد ، اللائق بالله وحده ، لغيره . وقد يتعهدوا بعدم ارتكاب هذه الخطية قط .

أولا : كانت الخطية هى وضع ثقتهم فى الخليقة ، تلك الثقة التى تليق بالله وحده . ولقد تعهدوا بأنهم سوف لا يعتمدون على المحالفات الخارجية . **« لا يخلصنا اشور »** . نتعهد بأن لا نلتمس المعونة من الأشوريين كما كنا نفعل (ص ٥ : ١٣ ، ٧ : ١١ ، ٨ : ٩) . سوف لا نطلبها ، ولا نثق فيها ، ولا نعتمد عليها . لأن لنا إلهاً نلجأ إليه ، إلهاً فيه كل الكفاية نثق فيه ، فاننا نحتقر الإلتجاء الى الأشوريين لطلب معونتهم .

كذلك تعهدوا بعدم الاعتماد على معداتهم الحربية التى فى بلادهم ، سيما تلك التى منعوا من تكثيرها . **« لا نركب على الخيل »** اى لن نتودد إلى مصر . لأنهم كانوا يأتون بخيلهم منها (تث ١٧ : ١٦ ، إش ٣٠ : ١٦ ، ٣١ : ١ و ٣) عندما يهجم علينا الأعداء سوف نعتمد على إلهنا ليعين جنودنا المشاة ، ولا نفكر مطلقاً فى أن « نركب على الخيل » .

او « لا نركب على الخيل » للاسراع ، وطلب الإغاثة من هذا او ذاك ، بل نتخذ أقرب طريق ، وأأمن طريق ، بالإلتجاء إلى الله (اش ٢ : ٥) .

(ملاحظة) التوبة الحقيقية تمنعا من الثقة فى أى ذراع بشرية ، وتأتى بنا إلى الاعتماد على الله وحده لطلب الخير الذى نحتاجه .

ثانيا : وتعهدوا أيضاً بعدم ارتكاب هذه الخطية قط . أى تقديم الولاء للخليقة اللائق بالله وحده **« لا نقول أيضاً لعمل أيدينا آلهتنا »** كان يجب أن يتعهدوا بعدم عبادة الأوثان قط . والسبب فى ذلك معقول جداً ، هو أنه من السخافة جداً . ومن غير المعقول مطلقاً ، أن نصلى لإله هو من « عمل أيدينا » . يجب أن نتعهد بأن لا نضع قلوبنا على أمجاد هذا العالم ، أو نفتخر بمظاهر عبادتنا الخارجية ، لأن هذا فى الواقع معناه أننا نقول لعمل أيدينا أنت آلهتنا .

٣ — ووضعت فى أفواههم كلمات حجج . « **انه بك يرحم اليتيم** » . يجب أن نتشجع فى صلواتنا ، ليس بأى استحقاق يجده الله فينا ، بل فقط بالرحمة التى نرجو أن نجدها فى الله . هذه فى نفسها حقيقة عظمى ان الله يعنى عناية خاصة باليتيم (مز ٦٨ : ٤ و ٥) هذا ما اظهره فى ناموسه (خر ٢٢ : ٢٢) . وهذا ما يظهره فى اعمال عنايته (مز ٢٧ : ١٠) .

ان امتياز الله الذى ينفرد به هو أنه عون من لاعون له . فيه توجد رحمة لأمثال هؤلاء ، لأنهم احوج من يحتاجون إلى الرحمة . فيه يجدونها . فهى محفوظة لهم فيه ، ومنه يجب أن يطلبوها « أطلبوا تجدوا » .

وقد وردت هذه العبارة هنا كحجة قوية لطلب الرحمة والنعمة ، وكمشجع لإيمانهم .

(١) انهم يقدمون حجتهم من حالتهم التعسة . نحن يتامى ، لاعون لنا .

(ملاحظة) ان الذين يحسون حقاً بعجزهم فى أنفسهم ، و يكونون مستعدين للاعتراف بهذا ، هم الذين يحق لهم أن يتوقعوا أن يجدوا المعونة من الله . هذه خطوة طيبة نحو التعزية إننا إن لم تكن لنا الجراءة بعد أن ندعو الله أباً لنا ، فاننا ننظر إلى انفسنا كيتامى بدونه ، ولذلك نحن نرتمى عند قدميه ، لكى ينظر إلينا برحمته .

(٢) و يقدمون حجتهم من تعود الله على العطف على من كانوا فى مثل هذه الحالة « انه بك يرحم اليتيم » ، لا يجوز أن يرحم ، بل يرحم فعلا ، ولابد ان يرحم .

(ملاحظة) إنه لمشجع لإيماننا ورجائنا ، لدى الرجوع إلى الله ، انه نجد له انه أب من لا أب له ، ومعين من لا معين له .

٤ أنا أشفى ارتدادهم . أحبهم فضلا . لأن غضبى قد ارتد عنه ٥ أكون لاسرائيل كالندى . يزهر كالسوسن . و يضرب أصوله كلبنان ٦ تمتد خراعيبه . و يكون بهاؤه كالزيتونة . وله رائحة كلبنان ٧ يعود الساكنون فى ظله يحيون حنطة و يزهرون كجفنة . يكون ذكرهم كخمر لبنان .

هنا نجد جواب سلام لصلوات اسرائيل الراجعين إليه . لقد طلبوا وجه الله ، ولن يطلبوا عبثاً . يقيناً أن الذين يرجعون الى الله بتأدية واجباتهم يلتقيهم الله فى الطريق برحمته . ان تكلمنا مع الله بصلوات طيبة تكلم معنا بمواعيد طيبة ، كما « أجاب الملاك بكلام طيب وكلام تعزية (زك ١ : ١٣) . ان اخذنا معنا الكلام السابق عند مجيئنا إلى الله رجعنا من عنده بالكلام التالى لتدعيم ايماننا . وانظر كيف يتفق هذا الكلام مع ذاك .

اولاً : هل خافوا وفزعوا من غضب الله ، ولذلك رجعوا إليه ؟ إنه يؤكد لهم رفع غضبه لدى خضوعهم **« لأن غضبي قد ارتد عنه »** . لقد وضع هذا كأساس لكل المراحم الأخرى التي وعدوا بها هنا . سأفعل هذا وذاك « لأن غضبي ارتد عنه » ، وبهذا فتح الباب لكل الخيرات لكي تتدفق عليهم (إش ١٢ : ١) .

(ملاحظة) ان اشتد غضب الله ــ بعدل ــ على الخطاة ، فانه ليس غضباً لا يخمد . انه يمكن أن يرتد عمن يرتدون عن آثامهم . والله مستعد أن يتصالح مع من يتصالحون معه ومع ارادته الكاملة .

ثانيا : هل تضرعوا لرفع الإثم ع ٢ ؟ انه يؤكد لهم هذه الحقيقة **« أنا اشفي ارتدادهم »** . وهذا ما سبق أن وعد به (إر٣ : ٢٢) .

(ملاحظة) ان كان الارتداد عن الله مرضاً خطيراً فانه ليس مرضاً عديم الشفاء ، لأن الله وعد برحمته أنه ان لجأ الخطاة المرتدون إليه كطبيبهم ، وخضعوا لطرقه التي يتخذها ، فانه يشفي ارتدادهم . انه يشفي اثم ارتدادهم . برحمته الغافرة ، و يشفي ميلهم للارتداد بنعمته المجددة . لا يعود الاثم هلاكا لهم .

ثالثا : هل تضرعوا إلى الله لكي يقبلهم حسناً ، يقبلهم بتحننه ع ٢ ؟ إجابة لهذا وعدوا **« أحبهم فضلا(١) »** . كان الله قد أبغضهم لما ساروا في الخطية (ص ٩ : ١٥) ، أما الآن ، وقد رجعوا وتابوا ، فانه يحبهم . لا يكفّ فقط عن أن لا يغضب عليهم ، بل يسر بهم ، و يدبر لهم الخير .

« أحبهم فضلا محبة كاملة ، فلا يعود يبقى أي أثر لغضبه السابق . محبة سخية مجانية ، يفتح يديه لهم في محبته لهم ، لا يستكثر أن يعطيهم أي شيء ، أو يفعل لهم أي شيء . محبة مبتهجة ، يحبهم بلا تردد و بدون أي عائق . في يوم توبتك سوف لا يقول « كيف أقبلك ثانية » كما قال في يوم ارتدادك « كيف أجعلك(٢) » (ص ١١ : ٨) . محبة دون أي استحقاق فيك . ان الذين يحبهم فضلا ، لا لأنهم يستحقون المحبة ، بل لمجرد مسرته الصالحة . انه يحب لأنه يريد أن يحب (تث ٧ : ٧ و٨) .

رابعا : هل تضرعوا إلى الله لكي يمنح خيراً ، ويجعلهم صالحين ؟ ع ٢ . اجابة لهذا أعطى لهم هذا الوعد **« أكون لاسرائيل كالندى »** ع ٥ . لاحظ هنا :

---

(١) « تبرعاً » حسب ترجمة اليسوعيين ، « مجاناً » حسب الترجمة الانكليزية

(٢) « أعاملك » حسب ترجمة اليسوعيين ، « أنبذك » حسب الترجمة الانكليزية

١ ــ ما هي الرحمة التي يمنحها لهم الله . هي بركة أبيهم يعقوب « ليعطك الله من ندى السماء » (تك ٢٧ : ٢٨) . نعم إن الله لا يعطيهم ما يحتاجون فقط ، بل يكون هو نفسه ذاك الذى يحتاجون ، كل ما يحتاجون . « أكون لاسرائيل كالندى » . هذا يضمن « كل بركة روحية في السماويات » (أف ١ : ٣) . وهذا يلي شفاء ارتدادهم ، لأن الرحمة الغافرة تكون دائماً مقترنة بالنعمة المجددة .

(ملاحظة) الله نفسه يكون للإسرائيليين الحقيقين كالندى . هو يعلمهم ، وتعاليمه تنزل عليهم « كندى السماء » (تث ٣٢ : ٢) . وهم يعرفونه اكثر فأكثر لأنه يأتي إليهم « كالمطر » (هو ٦ : ٣) . هو ينعشهم بتعزياته فتصير نفوسهم « كجنة رياً » (اش ٥٨ : ١١) . هو يكون للتائبين الحقيقيين كالندى لاسرائيل عندما كانوا في البرية ، إذ كان الندى محملا بالمن (خر ١٦ : ١٤ ، عد ١١ : ٩) . إن نعم الروح القدس « كالمن المخفى » (رؤ ٢ : ١٧) ، مخفى في الندى . يعطيهم الله خبزاً من السماء كما أعطى لاسرائيل في الندى بوفرة (يو ١ : ١٦) .

٢ ــ ما هي ثمار تلك الرحمة التي تمنح لهم . ان تلك النعمة التي منحت لهم مجاناً ، فضلا ، « لا تكون باطلة » . تلك النفوس ، أولئك الإسرائيليون ، الذين يكون لهم كالندى ، والذين تستقر عليهم نعمته .

(١) ينمون . إذ صار الردىء حسناً بنعمة الله ، فانه بنفس النعمة يصير أحسن . لأن النعمة متى كانت حقيقية لابد أن تنموا .

[١] ينمون الى فوق ، وتزدادون إزدهاراً . « **يزهر كالسوسن** » ان نمو السوسن سريع جداً كباقي الزهور التي من فصيلته . قد يبدو أن جذور السوسن تلاشت في بطن الأرض طول الشتاء ، لكنها عندما تنتعش بندى الربيع تزهر في وقت وجيز . هكذا تنعش نعمة الله المتجددين حديثاً ، فينموا سريعاً جداً في بعض الأحيان . عندما يصل السوسن إلى قامته يصير زهراً جميلا (مت ٦ : ٢٩) . كذلك النعمة أيضاً فانها جمال النفس (حز ١٦ : ١٤) . وجمال القداسة ينشأ من ندى الصبح (مز ١١٠ : ٣) .

[٢] ينمون إلى أسفل ، و يزدادون تأصلا وثباتاً . صحيح أن السوسن ينمو سريعاً ، و يزداد جمالا ، لكنه يذبل سريعاً فيسهل اقتلاعه ولذلك أعطى الوعد لاسرائيل هنا بأنه يعطى مع زهر السوسن جذور الأرز : « **يضرب أصوله كلبنان** » ، كاشجار لبنان ، التي لا يمكن اقتلاعها لأنها ضربت أصولها عميقاً (عا ٩ : ١٥) .

(ملاحظة) ان النمو الروحي يتضمن بصفه خاصة نمو الجذور ، الأمر الذى لا تراه العين . كلما ازددنا اعتماداً على المسيح ، واستمدينا منه العصارة والفضيلة ، ازدادت حياتنا الروحية ثباتاً في المبدأ . وكلما ازددنا ثباتاً ازددنا تأصلا .

[٣] ينمون في محيط دائرتهم ع ٦ « **تمتد خراعيبه** » ، أي فروعه ، في كل جانب « **و يزهرون كجفنة** » أي ككرمة ع ٧ . والكرمة تمتد فروعها أبعد من فروع أية شجرة أخرى . شبه يوسف بغصن مثمر (تك ٤٩ : ٢٢) . عندما ينضم إلى الكنيسة الكثيرون من الخارج ، عندما ينشأ جيل يبشر بالخير ، عندئذ تمتد فروع إسرائيل . عندما يزداد المؤمنون في الأعمال الصالحة ، و ينمون في معرفة الله وكل موهبة صالحة ، عندئذ يمكن أن يقال إن فروعهم قد امتدت . « الإنسان الداخلي يتجدد يوماً فيوماً » (٢ كو ٤ : ١٦) .

(٢) يجدون نعمة عند الله والناس . النعمة أمر محبوب ، وتجعل من تحل عليهم محبوبين لقد شبهوا هنا بالاشجار .

[١] الشهية للنظر « **يكون بهاؤه كالزيتونة** » الدائمة الخضرة . « زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة دعا الرب اسمك (ار ١١ : ١٦) . الفرائض والطقوس الدينية هي بهاء الكنيسة ، وهي فيها دائمة الخضرة . والقداسة بهاء النفس وجمالها والذين يؤمنون بقلوبهم و يعترفون بأفواههم ، و يزينون ذلك الاعتراف بسيرة حسنة ، فان بهاءهم يكون كالزيتونة (مز ٥٢ : ٨) . لقد وعدت اشجار البر أن ورقها لا يذبل (مز ١ : ٣) .

[٢] وشبهوا بالأشجار الشهية الرائحة « له رائحة كلبنان » ع ٦ ، « **يكون ذكرهم** (١) **كخمر لبنان** » ع ٧ . كانت هذه هي تسبحة أبيهم يعقوب « رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب » (تك ٢٧ : ٢٧) .

شبهت الكنيسة بجنة عطور وأطياب (نش ٤ : ١٢ و ١٤) ، وقيل عن ثيابها رائحة ثيابك كرائحة لبنان » (نش ٤ : ١١) . كل مؤمن حقيقي « مرضى عند الله ومزكى عند الناس » (رو ١٤ : ١٨) والله « يتنسم رائحة الرضى » من ذبائح أولاده الروحية (تك ٨ : ٢١) . وهم « مقبولون عند كثرة أخوتهم » (إش ١٠ : ٣) . النعمة عطر للنفس ، عطر للسمعة ، تجعلها مثل الدهن الطيب (جا ٧ : ١) .

« يكون ذكرهم كخمر لبنان » . لا تكون نعمهم المنعشة الآن كخمر لبنان ، بل أيضاً « ذكرهم » ، أمجادهم التي تبقى من بعدهم . أعضاء الكنائس المنتعشة « ينادى بايمانهم في كل العالم » (رو ١ : ٨) ، « و يذكر اسمهم في كل دور فدور » (مز ٤٥ : ١٧) ، « وذكر الصديق للبركة » (أم ١٠ : ٧) ، وهكذا الحال مع الذين بالإيمان شهد لهم (١) (عب ١١ : ٢) .

---

(١) « رائحتهم » حسب الترجمة الانكليزية .

(١) « نالوا سمعة طيبة » حسب الترجمة الانكليزية .

(٣) يكونون مثمرين ونافعين . شبهت الكنيسة هنا بالكرمة والزيتونة ، اللتين تثمران ثماراً نافعة لإكرام الله والناس . بل أن نفس ظل الكنيسة محبوب ع ٧ « **يعود الساكنون فى ظله** » ، فى ظل الله ، أو « تحت ظل المسيا » حسب تفسير الكلدانين . المؤمنون يسكنون فى ظل الله (مز ٩١ : ١) وهنا يكونون آمنين ومستريحين .

لكن الأرجح انهم « ساكنون فى ظل اسرائيل » ، فى ظل الكنيسة

(ملاحظة) ان مواعيد الله تخص فقط الساكنين فى ظل الكنيسة ، المتممين فرائض الله ، والملتصقين بشعبه ، ليس الذين يلجأون إلى ذلك الظل للاحتماء من حرارة الشمس ، بل الذين يسكنون فيه (مز ٢٧ : ٤) .

قد تطبق هذه على مؤمنين معينين . عندما يرجع أى انسان ، رجوعاً فعلياً ، إلى الله فان كل الساكنين فى ظله تتحسن حياتهم — الأولاد ، والخدم ، والرعايا ، والأصدقاء . « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » (لو ١٩ : ٩) .

الساكنون فى ظل هذه الكنيسة يعودون ، تغود الحيوية إلى نفوسهم الخائرة ، وهم ينتعشون و يتعزون . « يرد نفسى » (مز ٢٣ : ٣) .

« يحيون حنطة ([1]) » . والحنطة أن زرعت تموت أولا ، ثم « تحيا وتأتى بثمر كثير» (يو ١٢ : ٢٤) . لقد وعد شعب الله أن يكونوا بركة للعالم ، كما أن الحنطة والخمر بركة للعالم . وانها لرحمة عظيمة جداً وثمينة جداً ان نكون نافعين لجيلنا . ومع هذه الرحمة التعزية والكرامة والمجد .

٨ يقول إفرايم مالى أيضاً وللأصنام . أنا قد أجبت فألاحظه . أنا كسروة خضراء . من قبلى يوجد ثمرك ٩ من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها . فان طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها . وأما المنافقون فيعثرون فيها .

والآن لنسمع ختام الأمر كله .

أولا : عن أفرايم . لقد تكلم الله عنه وتكلم معه ع ٨ .

وهنا نرى :

(١) « يحيون بالحنطة » حسب ترجمة اليسوعيين ، « يحيون (ينتعشون) كالحنطة » حسب الترجمة الانكليزية .

١ ــ توبته واصلاح حياته « **يقول أفرايم مالى أيضاً وللأصنام** » ؟ البعض يقرأون هذه العبارة ، على أساس أن الله يتحاجج مع افرايم عن سبب ضرورة تركه عبادة الأصنام : « يا افرايم ، مالى وللأصنام » ؟ أى اتفاق بينى و بين الأصنام ؟ أية شركة بين النور والظلمة ، بين المسيح و بليعال ؟ (٢ كو ٦ : ١٤ و ١٥) . لذلك يجب أن تنقض معاهدتك معها إن أردت ان تدخل فى العهد معى .

أما كما نقرأها نحن ، فقد وعد الله أفرايم بأن يحفظه فى هذا : « يقول افرايم » الله يضع فى قلبه أن يقول « مالى أيضاً وللأصنام » . لقد سبق أن وعد ع ٣ « لا نقول أيضاً لعمل أيدينا آلهتنا » . لكن مواعيد الله لنا أكثر ضماناً وأكثر قوة من مواعيدنا لله فى أماتة الخطية . لذلك نجد الله نفسه هنا « ضامن عبده للخير» (مز ١١٩ : ١٢٢) ، و يضع هذا الكلام فى قلبه وفى فمه . وكل خير نقوله أو نفعله فى أى وقت يكون الله هو الذى عمله فينا .

سبق أن تعهد أفرايم بجزم أن لا يدعو أصنامه آلهة له ، أما الله فقد جعله يتعهد ــ أكثر من هذا ــ أن لا تكون له أية علاقة بها « مالى أيضاً وللأصنام » ؟ سوف يهجرها ، سوف يلاشيها نهائياً بأقصى درجات الكراهية لأنه لا يكفى أن نتحول عن الخطية فى حياتنا ، بل يجب أيضاً أن نتحول ضدها فى قلوبنا . هنا نرى :

(١) قوة النعمة الإلهية . كان « افرايم موثقاً بالأصنام » (ص ٤ : ١٧) ، كان مغرماً بها جداً ، لدرجة أنه كان يظن بأنه لا يستطيع التنحى عنها . ومع ذلك فقد وعد الله بأن يعمل فيه هذا التغيير بحيث يكرهها بمقدار ما أحبها .

(٢) بركة الآلام التى يقدسها الله . لقد تألم أفرايم بسبب عبادته الوثنية . فقد أتت عليه بقصاص بعد الآخر، وكانت هذه هى الثمار أخيراً « نزع خطيته » (إش ٢٧ : ٩) .

(٣) طبيعة التوبة . هى عزم وطيد لقطع كل علاقة بالخطية . هذه هى لغة التائب « إننى أخجل جداً لأنه كانت لى علاقة بالخطية . لكن كفانى ما ارتكبته منها . إننى أبغضها . وبنعمة الله لن تكون لى علاقة بها ثانية ، أو بمسبباتها » . سوف تخاطب أصنامك « وتقول لها أخرجى » (إش ٣٠ : ٢٢) . سوف تقول للمجرب « اذهب عنى ياشيطان » (مت ١٦ : ٢٣) .

٢ ــ كيف سر الله بأن يعلم توبته واصلاح حياته . « **أنا قد أجبت فألاحظه** (١) » . و يقرأ البعض هكذا « أنى سمعت . وسوف اتطلع إليه »

(١) « إنى أجبتك وراعيتك » حسب ترجمة اليسوعيين ، « إنى سمعته ولاحظته » حسب الترجمة الانكليزية .

(ملاحظة) إن إله السماء يلاحظ تأملات الخطاة الراجعين إليه وعزمهم نحو التوبة . هو ينتظر و يرغب فى توبة الخطاة ، لأنه لا يسر بهلاكهم (حز١٨ : ٢٣ و ٣٢ ، ٣٣ : ١١) . انه « ينظر إلى الناس » (أى ٣٣ : ٢٧) ، « يصغى إليهم و يسمعهم » (إر٨ : ٦) . وإن وجد أى ميل للتوبة فانه يسر به . عندما « ينتحب افرايم » أمام الله فانه يصير « ابناً عزيزاً وولداً مسراً » (إر٣١ : ٢٠) . إنه يلتقى التائبين بالرحمة كما قوبل الإبن الضال من أبيه عند رجوعه إليه .

لقد « لاحظ » الله أفرايم ، لكى يرى إن كان سيصنع أثماراً تليق بمظاهر التوبة هذه التى أظهرها ، وإن كان سيستمر فى هذا التفكير الصالح . لقد لاحظه ليصنع له خيراً ، و يعزيه ، حسب مقتضيات حالته .

٣ ــ الرحمة التى قصدها له الله لتعزيته واستمراره فى عزمه . لا يزال الله يريد أن يكون له الكل فى الكل سبق أن شبه اسرائيل بشجرة ، أما الآن فقد شبه الله نفسه بشجرة . إنه سيكون لشعبه .

(١) كأغصان شجرة « **أنا كسروة خضراء** » . وهكذا أكون لك « سروة » أى شجرة سرو ، (شجرة الشربين) . كان شجر السرو فى تلك البلاد ضخماً جداً ، ويحمى من الشمس والمطر . والله يكون لكل التائبين الحقيقيين مسرة وحمى ، تحت حمايته وتأثيره يسكنون فى أمن وفى راحة . إما أن يكون لهم « شمساً ومجناً » أو « ظلا ومجناً » حسبما تقتضيه حالتهم (مز٨٤ : ١١ ، اش ٢٥ : ٤) « تحت ظله يشتهون أن يجلسوا » (نش ٢ : ٣) . سوف يكون لهم كل الأجواء (اش ٤ : ٦) .

(٢) كأصل شجرة . « **من قبلى يوجد ثمرك** » إما أن يكون المقصود بهذا : الثمر المقدم إلينا ، فنحن مدينون له بكل بركاتنا ، أو الثمر الذى نقدمه نحن ، فنحن نستمد منه النعمة والقوة لنتمكن من تأدية واجباتنا . مهما كانت ثمار البر التى نقدمها فان كل المجد فيها يرجع إلى الله . لأنه هو العامل فينا أن نريد الخير وأن نعمله (فى ٢ : ١٣)

ثانيا : عن كل من يسمع و يقرأ كلمات نبوة هذا الكتاب ع ٩ . « **من هو حكيم حتى يفهم الأمور** » . لعل النبى كان معتاداً أن يختم عظاته بهذه العبارة . ولهذا فانه الآن يختتم بها السفر كله ، الذى ضمنه ــ كتابة ــ بعض اجزاء عظاته الكثيرة التى ألقاها . لاحظ هنا :

١ ــ صفات الذين ينتفعون بالحقائق التى سلمها . « من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها » . ان الذين يهتمون بفهم ومعرفة هذه الأمور يظهرون بهذا أنهم حقاً

حكماء وفهماء ، وبهذا أيضاً يزدادون حكمة وفهماً . وإن كانوا لا يفهمونها ولا يعرفونها فلأنهم جهلاء وغير حكماء .

إن الحكماء في تأدية واجباتهم ، والفهماء في التدين العملي ، هم أكثر من يعترفون و يفهمون الحقائق الإلهية وأعمال العناية الإلهية ، التي هي للآخرين سر ولغز (يو ٧ : ١٧) ، « سر الرب لخائفيه » (مز ٢٥ : ١٤) .

« من هو حكيم » ؟ هذه تتضمن أمنية أن الذين يقرأون و يسمعون هذه الأمور يفهمونها . ألا ليتهم يكونون حكماء . وتتضمن شكوى من أن الحكماء قليلون « من صدق خبرنا » (إش ٥٣ : ١) :

٢ ـــ سمو الأمور التي يعلمنا إياها الله . **« ان طرق الرب مستقيمة »** ولذلك فانه من الحكمة ومن الواجب أن نعرفها ونفهمها . إن طريق وصايا الله ، التي يطلب منا أن نسلك فيها ، مستقيمة ، تتفق مع قواعد المنطق والعدالة ، وتؤدى مباشرة إلى سعادتنا الأبدية . وطرق أعمال العناية الإلهية ، التي يسلك فيها الله من نحونا ، كلها مستقيمة لن يوجد خطأ في أي شيء يعمله الله ، لأنه كله يعمل حسناً جداً . قصاصاته لغير التائبين ، ومراحمه للتائبين ، كلها مستقيمة . ومهما أسيء فهمها ، وعكس الغرض منها ، فسوف يتبرر الله و يتمجد فيها كلها . طرقه « مستوية » (مز ١٨ : ٢٥ و ٢٩ ، ٣٣ : ١٧ و ٢٠) .

٣ ـــ اختلاف وجهة نظر الناس من جهتها .

(١) ان طرق الله مستقيمة رائحة حياة لحياة للصالحين **« الأبرار يسلكون فيها »** . يتمثلون بإرادة الله ، سواء في وصاياه ، أو في اعمال عنايته ، و يتلذذون بهذا . يفهمون جيداً فكر الله ، سواء في كلمته أو في اعماله . يرتضون به جداً ، و يوفقون أنفسهم حسب قصد الله في هذه أو تلك « الأبرار يسلكون في هذه الطرق » نحو غايتهم العظمى ، ولا يقصرون فيها .

(٢) وطرق الله المستقيمة رائحة موت لموت للأشرار . **« واما المنافقون فيعثرون فيها »** لا يعثرون فقط في طرقهم الخاطئة الملتوية ، بل حتى « في طرق الرب المستقيمة » . المسيح الذي هو حجر أساس للبعض ، قد يكون للبعض الآخر « حجر صدمة وصخرة عثرة » (رو ٩ : ٣٣) فما رتب للحياة يصير لهم للموت بسبب سوء تصرفهم بازائه . لأنهم لا ينتفعون بأعمال العناية الإلهية فانها تقسيهم في الخطية ، وتؤدى إلى هلاكهم .

واعلان الله لنفسه فى أحكام فمه ، وأحكام يده ، يكون لنا حسبما نتأثر به . يقول المثل اللاتينى : « إن تأثير الشىء المقدم يتوقف على صفات من يقبله » . والشمس التى تذيب الشمع هى التى تقسى الطين .

على أن المنافقين الذين يتعثرون عثرات أشد خطراً هم الذين يتعثرون فى طرق الرب ، الذين يتحطمون على صخر الدهور ، الذين يمتصون السم من بلسان جلعاد .

فليرتعب من هذا الخطاة فى صهيون (إش ٣٣ : ١٤) .

فى هذا الكتاب

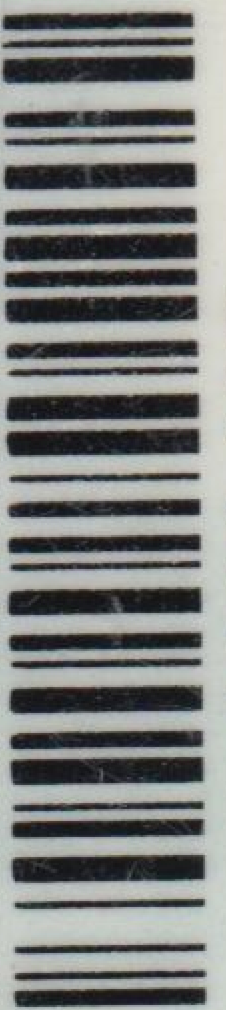
رقم الإيداع بدار الكتب ٨٣/٣٣٩١

الترقيم الدولى ٤ ــ ٠٢٥ ــ ١٨٧ ــ ٩٧٧

طبع على مطابع شركة تريكرومى للطباعة
ت ٩٣٥٧٥٦ القاهرة

تفسير الكتاب المقدس

تفسير انجيل متى (جزءان)
تفسير انجيل مرقس
تفسير انجيل لوقا (جزءان)
تفسير انجيل يوحنا (جزءان)
تفسير رسالة فيلبى
تفسير رسالة روميه
تفسير رسالتى الرسول بولس إلى تيموثاوس
تفسير المزامير للقديس أغسطينوس
تفسير نشيد الإنشاد
تفسير سفر الجامعة
تفسير سفر نحميا
تفسير سفر استير
تفسير سفر عاموس
تفسير سفر نبوة يونان
تفسير سفر ميخا
تفسير سفر عوبديا
تفسير سفر أيوب (جزءان)
النار الممحصة (تفسير رسالة بطرس الأولى)
تفسير سفر هوشع



مكتبة المحبة

٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤(٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨(٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢(٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٢(٢٠٢)